SAMEDI 18 FEVRIER 1928 — السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٢٨ — العدد ١٠٣

السياسة الأسبوعية

AL SIASSA HEBDOMADAIRE

موضوعات
هذا العدد

موضوعات
هذا العدد

مطالعات في الكتب

بين العقل والقلب
أو
الفكر والعاطفة

على القضايا المقررة ، أن العقل يجب أن يتحكم من العاطفة ، بل يجب على كل من أراد أن ينجح في هذه الحياة الدنيا أن يستمع لصوت العقل ولا يأبه كثيرا بما يمليه عليه وجدانه وقلبه . هكذا يقولون ، وهم مصيبون نيابة ولون ، ولكن الى حد محدود . وهنالك يجب أن لا يتسيطر العقل على أعمالنا والا أفسدها وجعل الحياة خامدة هادئة ليس فيها جذوة تضطرم ، ولا روح تشرئب الى المعالي أو تأبى الضيم والاستكانة . فكم أضاع العقل ، أو بعبارة أصح التفكير المنطقي ، فرصة جميلة في حياة الافراد والامم . وانما الارادة القوية هي وليدة العاطفة المتأججة لا التفكير المنطقي الرزين الذي طالما يشك في غايات الاشياء ويراها تافهة لا معنى لها ، وبذلك تنكسر حدة العاطفة وتخمد . وأما العواطف المضطرمة ، والنفوس الثائرة ، والخواطر الحساسة انما هي التي تكيف حياة الامم والافراد في المعارك الحاسمة . وها هي الثورة الفرنسية التي غيرت وجهة التاريخ الحديث لما كان مبدؤها عواطف تذكيها عواطف ، واحساسات قلبية قوية لم تقو أية قوة أخرى على ردها أو قمعها ، لانها صادرة من قلوب متألمة من الحالة حينذاك ، وأفئدة مصدوعة ، وآمال جسام . وبهذه الآلام والآمال تتكون الارادة القوية لتذليل العقبات وتحقيق الآمال . وهذا لا يكون قط في حالة التفكير المنطقي ووزن الاشياء ، والنظر الى أبعد غاياتها . قل أناتل فرانس في صورة من المرائي : « وأي الافكار لعمري لأزيد ؟ أتراه التفكير الذي نعلم به أننا لا نعلم من أين جئنا والى أين نذهب . وان الحياة التي هي عبودية طبيعية ولذة مستغلقة ، وانها أسفل وأسرع زوالا وأقل ثباتا من كل ما نراه ؟ أفهو التفكير الذي يوحي به الانسان بعد ما يفكر أننا نسكن نطفة صغيرة من نور الهرة [illegible] الذي هو أيضا لا يزيد على كونه جدولا صغيرا من جداول الكون ، وأننا سنذهب في [illegible] . فلا شك في أن من يفكر بمثل هذا التفكير لا يمكن أن يبني آمالا [illegible] الحياة [illegible] أسفل وأسرع زوالا وأقل [illegible] من كل ما نراه » . ونحن هنا لا نحكم بأفضلية العاطفة ، وانما نقول ان [illegible] لا يستعمل فيه العقل كثيرا ، [illegible] لا يمكن [illegible] وهو واجهة اذ يستعمل فيها [illegible] [illegible]

والرجولة ؟؟ فليس اذاً أن نستمع كثيراً لاقوال من يقولوا بضبط العواطف ذلك الضبط المميت والذي يجعل الحياة أشبه بمقبرة للاموات منها بحياة متقدة حية يترقرق فيها معين السعادة ، بل يجب على الانسان ان يستمع لصوت ضميره الذي هو وحي الطبيعة الصادقة ، يحتسي منها نبع الوجدان الصافي ويستضئ بصادق الاحساس والشعور . ثم قل لنا أي أمة مهضومة الحقوق استمعت لتفكيرها المنطقي ثم نالت ما ترجوه من أماني وآمال ، أو ردت اليها حقوقها الضائعة ؟ ذلك لعمري لا يكون الا بالتهاب العاطفة الوطنية الكامنة في أعماق الطبيعة البشرية . فكل الاشياء التي تتعلق بكرامة الامم والافراد يجب ان يكون الحكم فيها للقلب والعاطفة . فاذا ما نابك خطب أو أي شيء يتعلق بكيانك فاستمع لصوت ضميرك ولا تستمع لاقوال الكتب ونظريات المتعلمين الذين يفكرون ولا يحسون ، فنظرياتهم حجج منطقية صحيحة ولكنها بعيدة عن الحياة وعن سفرها الواسع ، كذلك فان مثل هذه الحجج والنظريات ليس فيها روح ولا فيها حياة طبيعية صادقة .

« مطالع »

من هو الشاعر ؟

قال أفلاطون : « الشاعر ابن الآلهة وترجمانها على الارض » . فان صح هذا القول وصح ما نلقب به كل من نظم القصائد عندنا فان لدينا جحفلا عرمرما من أبناء الآلهة بل أضحى الشرق أوليمبا آخر تتطاير على سفوحه الارباب وأبناؤها . ولما كنا لا نعهد بيننا مثل تلك الصورة الخيالية الرائعة كان أفلاطون مصيبا وكنا غير صادقين . بل آن لنا أن نفهم من هو الشاعر وما واجبه ثم نعبر بذلك عمق شعرائنا . آن لنا أن نميز بين الشاعر السماوي ابن الآلهة وبين الناظم المهرج الذي يصف الالفاظ صفا هندسيا . .

فالشاعر الحقيقي هو العائش في مملكة النفس وحيداً وسط العالم كما يحيا العصفور الشادي على شجرة نضرة و . . . . والبوم ، متطلعاً بالايمان الحق ممتزجا بالعقل والتمييز ، محاطاً بالاحلام الملكوتية ، مشوبا بالحيرة ، متنقلا بين عالمي الفكر والوجدان ، دارسا خواطر العقول ومظاهر النفوس ، ناظراً باتباه الى ذلك العالم الداخلي المدهش : عالم الادراك العجيب ، مبهوتا لعجائب المعقولات والمحسوسات ، تائها في أعماق الاسى ، حائما في أثير الحب السماوي ، مرتلا أغاني الحكمة والعاطفة والزهد والصدق ، متنقلا بخياله بين [illegible] الى أعمال الاجيال ، حائما فوق عالمها الدارس ، متطلعا بأعين الغابرين ، مقاسما لمرئي وجدانهم ، ساخراً بآتيا من أعمال البشرية الجانية ، متأملا في حقائق الوجود وأسرار الكون ، خاشعا أمام الجمال والحق ، ساجدا أمام الخلود ، مفكرا في معنى الزمان والمكان ، ممتطيا أجنحة العناصر لترتقي به الى [illegible] السما بقوة [illegible] الموسيقى الملائكية المرنة [illegible] عرش الله ، متوجا باكليل مضفور من أوراق شجرة الحياة [illegible] على المجزرة المقدسة ذات [illegible] روح القدس .

والشعر الحقيقي الذي يصدر من مثل ذلك الشاعر [illegible] [illegible]

السياسة في الخارج

[illegible] من السياسيين [illegible] البائع المتجول في [illegible] العالم العربي رأينا أن نجيب طالب المكاتب التي رات عرضها في الجهات المدونة بعد

في لندن

تباع السياسة اليومية والسياسة الاسبوعية بالمكتبة الانجليزية والاجنبية
English & Foreign Library
٨٧ (شافتسبري افنيو) — لندن
87 Shaftesbury Av.
London W.
والثمن [illegible]

في باريس

تباع السياسة اليومية والسياسة الاسبوعية بالكشك رقم ٢١٣
[illegible] الكابوسين رقم ١٢
أمام [illegible]
والثمن [illegible]

في السودان

[illegible]

أحجية الشطرنج

— ٦٩ —

مسألة يراد حلها من ثلاث امبات من وضع المسيو ميران

قطع الابيض اربع : شاه ، وزير ، فرس بيدق .

قطع الاسود : شاه

وضع الاسود

وضع الابيض

***

الدور نمرة ٦٩

لعب في مسابقة بالهند

	الابيض ايلك	الاسود كوتالوفسـ
١	ب — ٤ و	ح — ٣ فم
٢	ب — ٤ فو	ب — ٣ حم
٣	ح — ٣ فر	ف — ٢ حـ
٤	ب — ٤ م	ب — ٣ و
٥	ب — ٣ فم	خو — ٢ و
٦	ف — ٣ م	ت
٧	و — ٢ و	ب — ٤
٨	حم — ٢ م	ب في ب
٩	ق في ب	ح — ١ م
١٠	ف — ٢ م	ح — ٤ م
١١	ت	ح — ٣ ف
١٢	رم — ١ و	ب — ٤ ف
١٣	ب في ب	ب في ب
١٤	رو — ١ فو	م — ١ رم
١٥	ح — ٣ خو	ف — ٣ م
١٦	ح — ٥ و	ف — ٢ م
١٧	ف — ٦ رم	ت
١٨	ف في ف	ح في ف
١٩	ب — ٣ رو	[illegible]

الرياضة الاسبوعية

الالعاب الافريقية الاولى

تقام بمدينة الاسكندرية فى شهر ابريل سنة ١٩٢٩

السنة الثانية من الاولمبية التاسعة

قانون عام وبرنامج

قواعد عامة

الالعاب الافريقية تضم اللاعبين من جميع بلدان افريقا على السواء بقدر الامكان . ولا يسمح لغير الهواة بالاشتراك فيها

١ — تعريف الهواة

تعريف الهواة لكل نوع من الالعاب يضعه الاتحاد الدولى المتولى شؤونه، فاذا لم يوجد اتحاد دولى يتولى شؤون احد الالعاب فاللجنة المنظمة تسن القاعدة لهذا التعريف.

ايما اتحاد فى بلد يقوم بادارة لعبة خاصة عليه أن يشهد لكل طالب يتقدم للمسابقة فيها بأنه من هواتها شهادة يوقعها له على صيغة الطلب طبقا للقواعد الموضوعة من الاتحاد الدولى الذى يلى ادارة هذه اللعبة . فاذا لم يوجد فى بلد اتحاد فهذه الشهادة توقيعها للطالب هيئة لاعبة معترف بها أو ذو سلطة يمكن الرجوع الى رأيها فى شؤون اللعب بدلا من تلك الهيئة، ان لم توجد فى ذلك البلد هيئة لاعبة .

فى حالة تقديم طعن فى صحة استحقاق طالب صفة الهواة فالاتحاد الدولى صاحب الشأن هو الذى يفصل فى هذا الطعن

ولو قدم الطعن قبل البدء فى الالعاب والاختبارات التى يجرى لها يعرض هذا الطعن على هيئة التحكيم المنوط بها الفصل فى شؤون اللعبة التابع لها المقدم فى صفته الطعن ويحكم فيه فورا ويكون حكما قاطعا فيما يتعلق بأمر الاشتراك فى هذه اللعبة ، وذلك بقصد توقيع الجزاءات المنصوص عنها فى المادة ١٥ وعلى وفق الاجراءات المبينة بالمادة ١١ من هذا القانون .

٢ — الشروط المطلوب توافرها فيمن يمثل بلداً لا يباح الاشتراك فى الالعاب الافريقية لسوى اللاعبين المثلين أمم أفريقيا أو دولها أو البلاد المحمية فيها أو المستعمرات التى بها أو الاراضى الواقعة تحت نظام الانتداب من أراضيها

وفى الالعاب الافريقية الاولى يكفى لاباحة الاشتراك فيها للاعبين مجرد كونهم مولودين بافريقيا ويحسب نسبة كل منهم الى مسقط رأسه فى أى مكان بها ان لم تكن لهم جنسية أفريقية شرعية.

٣ — [illegible]

ليس من حد لسن طالبى الاشتراك فى الالعاب الافريقية

٤ — اشتراك النساء

يقبل اشتراك النساء فى الالعاب الافريقية الاولى للعبة اللاون — تنيس فقط

٥ — البرنامج

يقرر البرنامج الرسمى للالعاب الافريقية كما يأتى :

العاب الرياضة البدنية وركوب الدراجات

العاب الجباز : رفع الاثقال واستعراضات جمازية

العاب المعارك : المبارزة والمصارعة على الطريقة اليونانية الرومانية

الملاكمة على الطريقة الانكليزية

الالعاب المائية : [illegible] والسباحة

العاب : لاون تنيس وكرة القدم

٦ — استعراض

للجنة القائمة بتنظيم الالعاب أن تنظم استعراضات فى لعبتين مما لم يرد ذكره بالبرنامج.

وقد اختارت مصر لعبتين هما : التجاطب بالنبوت والفروسية

٧ — التنظيم

اللجنة التى تقوم بتنظيم الالعاب فى بلد والتى يكون قد عهد اليها أمر تنظيم حفلة الالعاب الافريقية هى المسؤولة عن الالعاب وعليها اتخاذ التدابير اللازمة لذلك.

٨ — الاشتراك

طلبات الاشتراك تقدم اللجنة الاولمبية الاهلية لكل بلد وترسل منها لا من سواها الى اللجنة منظمة الالعاب ، وعلى هذه اللجنة أن تفيد اللجنة الاولمبية بوصول هذه الطلبات اليها. فاذا لم توجد لجنة أولمبية أهلية فى بلد فتقدم الطلبات الى الجماعة اللاعبة المعترف بصفتها فى ذلك البلد، وهى ترسلها الى اللجنة منظمة الالعاب

ويقدم لغاية ١٥ فبراير سنة ١٩٢٩ من كل بلد يشترك فى الالعاب الافريقية بيان تام بالاختبارات التى سيقوم بها .

طلبات الاشتراك المقدمة بأسماء أصحابها يجب أن يكون ورودها الى اللجنة لغاية ٥ مارس ١٩٢٩ والتعديلات الخاصة بها لغاية ١٠ مارس ١٩٢٩

هذه البيانات وهذه التعديلات يجوز إبلاغها الى اللجنة تلغرافياً

ويجب أن تكون الطلبات الاسمية التى تصل الى حيازة اللجنة المنظمة محررة على نماذج خاصة فى نسختين وأن تكتب بها أسماء اللاعبين بأحرف مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح جداً

وعلى اللجان الاولمبية الاهلية التى تعمد الى استعمال المخابرات التلغرافية أن تبلغ اللجنة المنظمة قبل استعمالها المخابرات على هذه الصورة كلمة الاصطلاح التى تتعرف بها أو الاشارة الرمزية الدالة عليها فيما تتبادله من التلغرافات مع اللجنة المنظمة . ويعتمد تاريخ صدور التلغراف حجة لها أو عليها عند الفصل فى : هل راعت المواعيد المقررة ؟

لا تكون طلبات الاشتراك معتبرة الا اذا روعيت فيها الأحكام المذكورة آنفا ، ولا يجوز مطالبة المشتركين بدفع رسم دخول عن الاشتراك

٩ — عدد المشتركين

النهاية التى لا يتجاوزها عدد المشتركين من من كل بلد لكل اختبار هى : —

ا — فى الاختبارات الفردية عن كل بلد ثلاثة متبارون ولا يصح الانابة عنهم

ب — فى الاختبارات بالفرق عن كل بلد فرقة واحدة ولها احد عشر [illegible] الاكثر فى لعبة كرة القدم [illegible] فى [illegible] فى لعبة كرة [illegible] فى اللاون تنس (اللعبة المزدوجة)

١٠ — رفض طلبات الاشتراك

للجنة المنظمة الحق فى رفض أى طلب اشتراك [illegible] من غير أن تلزم بابداء سبب الرفض [illegible] هذا [illegible]

١١ — الطعن [illegible]

[illegible]

الاختبار

[illegible]

نتيجة المسابقة — وذلك عن كل لعبة — تقدم للجنة منظمة الالعاب فى ظرف ثلاثين يوما بعد توزيع الجوائز، وتقرر هذه اللجنة قراراً بشأنها بعد اجراء تحقيق عنها ، وقرارها يكون نهائيا ولا يرد التأمين المدفوع من الطاعن مالم يكن ثبت أن الطعن مبنى على أسباب وجيهة.

١٢ — تنظيم اللعب والحكم فى الاختبارات :

يؤلف لكل لعبة هيئة تحكيم وهيئة مكان ، ويجب على أعضاء الهيئتين احداهما أو كلتاهما الحضور الى محل الواقعة قبل البدء فى أول مسابقة من المسابقات فى لعبتهم بخمسة أيام على الاقل لمراجعة صحة تقييد الطلبات ليستندوا عليها فى أداء وظائفهم.

ويجب أن يكون أعضاء الهيئتين احداهما أو كلتاهما والرسميون جميعا من الهواة . فاذا لم يتم تشكيل هيئة التحكيم فى الوقت الذى يجب أن تكون فيه تامة فتنظر اللجنة المنظمة فى الامر وتقرر إكمال العدد الناقص من الاعضاء وهيئات التحكيم للالعاب التى لا يديرها اتحاد دولى يصير تأليفها بمعرفة اللجنة المنظمة للالعاب الافريقية، ويجب أن تكون كل هيئة مؤلفة من ثلاثة أعضاء من جنسيات مختلفة ويعينون هم رئيسا منهم .

١٣ — الشكاوى

تفصل هيئة المكان فى الشكاوى الخاصة بالامور التى تقع فى مكان اللعب ويكون حكمها نهائيـاً .

وقرارتها فيما عدا ذلك وفى المواد الاخرى، تستأنف بمعارضة يرفعها الى رئيس هيئة التحكيم المختصة العضو المعين لذلك من اللجنة الاولمبية الاهلية بالبلد المعارض، أو من ينوب للقيام مقام هذا العضو.

ويجب تقديم المعارضة بعد صدور الحكم الذى استوجبها بساعة واحدة على الاكثر مالم يكن الاتحاد الدولى المختص مقررا لتقديم المعارضات مواعيد تخالف ذلك

ويكون الفصل فى المعارضة بمعرفة هيئة التحكيم بعد إجراء تحقيق عنها ويكون حكمها نهائيا

١٤ — الجوائز

جوائز الالعاب الافريقية عبارة عن مداليات ودبلومات ودبلوم للفرقة الظافرة فى المسابقات بين الفرق

ولكل من المشتركين فى الالعاب مدالية تذكارية

وبالجملة توزع ثلاث مداليات فى كل اختبار من الاختبارات الآتى ذكرها : —

أولا — فى الاختبارات بين فرد وفرد

ا — للاول فائز مدالية من فضة مطلية بالذهب ودبلوم

ب — للثانى مدالية من الفضة ودبلوم

ج — للثالث مدالية من البرونز ودبلوم

ثانيا — فى الاختبارات بين فرقة وفرقة

ا — للفرقة الظافرة دبلوم ولكل واحد من أعضاء الفرقة مدالية من الفضة المطلية بالذهب ودبلوم

[illegible]

١٦ — النص الرسمى

اذا حصل خلاف فى تفسير القواعد المنصوص عليها فى البرنامج فيعتمد على النص الفرنسى فقط باعتبار انه الرسمى

١٧ — الاتحادات الدولية

بيان الاتحادات الدولية التى تسرى قوانينها على الالعاب هى : —

الاتحاد الدولى لهواة ألعاب الرياضه البدنية

« « لأندية التجديف

« « لهواة الملاكمة

الاتحاد الدولى لراكبى الدراجات

« « للمبارزة

« « لكرة القدم

« « لالعاب الجباز

« « للعبة اللاون تنيس

« « للمصارعة على الطريقة اليونانية الرومانية

« « لهواة السباحة

« « لرفع الاثقال

١٨ — الالعاب لا تسرى عليها قوانين الاتحادات الدولية

١ — اذا لم يكن اللعب مقررا من اتحاد دولى

٢ — او اذا كان الاتحاد الاهلى المعترف به من اللجنة الاولمبية الاهلية غير معترف به من الاتحاد الدولى

٣ — أو فى حالة انحلال احد الاتحادات الدولية

وفى أى حالة من هذه الاحوال تكفل اللجنة المنظمة اتخاذ التدابير اللازمة

١٩ — نفقات الانتقال

لا دخل للجنة المنظمة فى نفقات الانتقال مهما كانت . غير أنها تبذل ما فى استطاعتها لتخفيض هذه النفقات الى أدنى حد وتقدم المعلومات اللازمة لمن يطلبها من ذوى الشأن

٢٠ — نصوص خاصة

جميع الاحوال غير المنصوص عليها فى هذا القانون ينظر ويبت فيها بمعرفة اللجنة المنظمة

برنامج عام

العاب الرياضة البدنية

تكون السلطة فى العاب الرياضة البدنية للاتحادين الآتيين :

الاتحاد الدولى لهواة ألعاب الرياضة البدنية

الاتحاد المصرى لاندية الالعاب

الجرى

شوط ١٠٠ متر على أرض مستوية السطح

« ٢٠٠ « « « « «

على خط مستقيم

شوط ٤٠٠ متر على أرض مستوية السطح

« ٨٠٠ « « « « «

« ١٥٠٠ « « « « «

« ٥٠٠٠ « « « « «

« ١٠٠٠٠ « « « « «

« ١١٠ « بارض مقام عليها حواجز [illegible]

(ماراثون) ٤٢ كيلو متر [illegible]

[illegible]

السبت ١٨ فبراير سنة ١٩٢٨ — السنة الثانية — العدد ١٠٣

السياسة الاسبوعية

ادارة الجريدة بشارع البتيديان رقم ١٠

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

تليفون نمرة ٤٥٧٢ و ٦٥٠٠

رئيس التحرير المسئول محمد حسين هيكل

الاشتراكات

عن سنة داخل القطر ٦٠ قرشا

خارج القطر ٢٠ شلينا

AL SIASSA HEBDOMADAIRE
10, Rue Gobiadgen — Le Caire
Téléph. 4572 — 6500

تطور المسألة السورية

هل الى سبيل الحل ؟

للأستاذ محمود عزمى

[illegible] المسألة السورية فى عمومها خلال ماكتبناه الاسبوع الماضى عن « الموقف السياسى عند [illegible] الشرقية » ، ووقفنا عند حد المؤتمر [illegible] الذى عقد أخيراً خلسة فى بيروت لتقرير [illegible] الوطنى يتقدمه « تحقيق الوحدة السورية [illegible] بدون مصالحها التى تعتبرها سوريا تحفظات [illegible] بها السوريون أدخلوها دستورهم [illegible] فى غير متناولهم وبهذا يضعون الحد [illegible] بين اختصاص الحكومة السورية واختصاص [illegible] الفرنسية السامية فلا تتعرض العلاقات [illegible] الى ما هى معرضة اليه من خطر » ، [illegible] هذا الحد الى ذكر تلك المفاوضات التى [illegible] على أثر عقد المؤتمر الوطنى بين من يمثلونه [illegible] المفوضية السامية، والى قولنا ان الفرنسيين [illegible] لنا « يريدون اجراء الانتخابات العامة [illegible] سوريا لكن على أساس لا يزال مجهولا الى اليوم [illegible] أحد اذا كانت تجرى لاجل انتخاب [illegible] تأسيسية تضع الدستور أو أنها تجرى على [illegible] قواعد ثابتة لاجل انتخاب أعضاء البرلمان »

***

[illegible] حدث خلال الاسبوع المنقضى ، بل [illegible] اللحظة التى تناولت الايدى « السياسية [illegible] » فيها ، ما جعل المسألة السورية [illegible] وما جعل المتفائلين يحسبون تطورها فى [illegible] الحل الموفق بين رغبات الطرفين .

[illegible] أن رئيس الدولة السورية قد استقال، كما [illegible] الوزارة السورية ، وذلك أن الاسباب [illegible] التى استندت اليها الاستقالة والتى أيدها كتاب قبول [illegible] الاستقالة من جانب المندوب السامى الفرنسى فى [illegible] ، كما أن الشخص الذى انتدبته [illegible] السامية بالتوجه اليه لتكليفه [illegible] الوزارة الجديدة ، كل ذلك يدل على [illegible] النية قد عقدت على تنفيذ برنامج يحقق [illegible] المسألة السورية من طور وقوفها الذى [illegible] الى طور العمل الذى نرجو أن [illegible] ونرجو أن يكون موصلا الى أن [illegible] تلك الربوع الجميلة ربوع سوريا [illegible]

***

[illegible] الداماد أحمد نامى بك استقالته من [illegible] الدولة السورية الى مسيو « بونسو » [illegible] السامى الفرنسى . وجاء فى كتاب [illegible] لان كل المهمات التى أوجبها الداماد [illegible] على نفسه عند توليه الحكم « تعجيل حلول الساعة [illegible] فيها شواهد النضوج الشعب السورى [illegible] الحكومة الفرنسية » [illegible] الأولى مباشرة أن المندوب [illegible]

أسابيع « ان تلك الساعة قد أتت ، وان الامة ستستشار قريبا فى نظام حكمها النهائى » ، ثم أشير فى الكتاب نفسه الى أن حكومة الداماد « قد تظاهر تجاه بعض الافكار أنها غير حائزة الصفة التامة لترأس الاعمال الانتخابية بالتجرد التام».

ورد مسيو « بونسو » على كتاب استقالة الداماد فقال فيما قال : « لقد قبلتم السلطة فى ساعة الخطر ، والآن تتخلون عنها حينما استقر الامن وحينما أصبحت رغائب الامة على وشك التحقيق» . ثم قال : «وانكم لتاركون السلام والفلاح المجدد هناك حيث كنتم تجدون الثورة وفواجعها وتدميراتها». وقال آخر الامر : «ان هذا الترقى فى التربية السياسية الذى تم فى ظلكم يسمح لسوريا الآن بمعالجة قضية تشكيلاتها الدستورية » .

ومعنى هذا وذاك، مما ورد فى كتاب الاستقالة وفى الرد عليها ان الحكومة الفرنسوية قد اقتنعت الآن ان السلام والفلاح قد أخذا ينشران ألويتهما فى البلاد السورية ، وانها قد تبينت نضوج الشعب السورى السياسى فآلت على نفسها ان تهيء له فرصة معالجة « تشكيلاته الدستورية » واعتزمت دعوة الامة السورية الى انتخابات تجريها حتى تتمثل فى هيئة تعالج عنها هذه «التشكيلات الدستورية »

***

وهذه الاقوال واضحة فى أن النية قد اتجهت حقا الى معالجة المسألة السورية معالجة قائمة على فكرة التقدير المتبادل للظروف ومقتضياتها وعلى فكرة الانتهاء من حال قلقة ليست هى فى مصلحة واحدة من الناحيتين .

وهذا نفسه هو الذى أذاعته المفوضية السامية فى بيروت بين الصحفيين الذين استدعتهم لتبليغهم كتاب استقالة الداماد والاجابة عليه إذ قالت لهم انها « ستعنى كل العناية بانتقاء وزارة جديدة تشرف على سير الانتخابات التى قرب عهد الشروع فيها . وعندما يلتئم المجلس يضع القانون الاساسى وينتخب رئيسا للدولة وتسير الحكومة حينئذ على ما تريد الامة » .

واذن فقد صحت عزيمة القوم على أن يدعوا الى تأليف وزارة مؤقتة تنحصر مهمتها فى الاشراف على الانتخابات العامة لهيئة تكون لسوريا بمثابة « جمعية تأسيسية » تضع للبلاد دستورها وتحدد شكل الحكم فيها وتنتخب رئيسها الاعلى .

***

واذا كانت هذه المهمة تستدعى دقتها أن يعهد بها لوزارة تكون من ناحية حائزة الثقة [illegible]

(البقية على الصفحة الثانية)

هل أذنت شمس البلشفية بالافول ؟

التاريخ يعيد نفسه

نفى الزعماء الى سيبريا

مر على البلشفية عشرة أعوام وهى تحاول أن تنشر لواءها على العالم والعالم يرفض أن يدين بتعاليمها . ومامن نظام أنبأ الناس بقرب انهياره كالنظام البلشفى، ومع ذلك فلا يزال فى الظاهر ثابتا راسخ الاركان . الا أن المستر لوتون مؤلف كتاب «الثورة الروسية » ومن أعظم المطلعين على أحوال روسيا الداخلية يعتقد أن شمس البلشفية قد أذنت بالافول وان المحاكمات الاخيرة التى جرت فى روسيا وأسفرت عن الحكم على رهط من كبار الزعماء ليست سوى بدء النهاية .

وقد نشرت احدى كبريات المجلات الانجليزية مقالة للمستر لوتون فى هذا الشأن أعرب بها الكاتب عن اعتقاده ان الحكم البلشفى قد دنا من الزوال وان ما نشهده اليوم فى تلك البلاد من محاكمة الزعماء والنفى والتشريد ليس سوى تكرار لما قد حصل فى كل ثورة تاريخية مشهورة . قال الكاتب : —

لاريب فى أننا اليوم نشهد احتضار النظام البلشفى، فان نفى كبار الزعماء الى مجاهل روسيا النائية ليس سوى دليل على اشتداد الازمة فى تلك البلاد . وسيكون لهذه الازمة أثرها فى العالم أجمع لان ما يحدث اليوم هنالك يشبه تماما ما وقع من الحوادث التى أفضت الى الحرب العظمى الماضية .

ومع ذلك فان سواد الناس لا يدركون خطر الموقف — وقد كانوا لا يدركونه فى سنة ١٩١٤ يوم اطلقت الحرب تجأة من عقالها . واذا نبهت امرءاً الى الخطر المقبل قال لك فى شىء من الدهشة: وماعلاقة نفى الزعماء الروس بسياسة العالم أجمع؟

وقد كنا نتساءل فى سنة ١٩١٤ : وما علاقة مقتل الارشيدوق فرديناند النمسوى بحرب عالمية عامة ؟

وفى الواقع ان نفى زعماء البلشفية ليس سوى نذير بانهيار صرح الديموقية . فان الاحكام التى صدرت على اولئك الزعماء هى دليل اليأس والقنوط . وقد كان اولئك الزعماء من أخلص زعماء لينين ومن أعظم حماة البلشفية القديمة ، بل هم أشد اليهود نفوذاً فى بلادهم .

فيا لعظم سخرية القدر ! . . . لقد كان القوم فى عهد القيصرية منفيين فى أبعد مجاهل سيبريا حيث قست المصائب قلوبهم وجعلتهم يتعطشون للانتقام . فلما نشبت الثورة الروسية عادوا من منفاهم فالقوا حكما ارهابيا جهنميا لم يكن شديد الوطأة على العامة فقط بل على الكثيرين من الاشتراكيين المعتدلين أيضا . فأخذوا يسقون بدورهم خصومهم السياسيين نفس الكأس [illegible] مما كان يجرى فى عهد القيصرية . [illegible]

المعتدلون الى خطر تلك الخطة لم يكن منهم الا أن زادوا صلفا وجبروتا . ولكن الايام دارت دورتها وهاهم الآن يعانون الشرور التى كانوا قد أعدوها لغيرهم . ولا شك ان آلامهم تزيد كلما تذكروا انهم يعانون وطأة شر النظام الذى ابتكروه وان الذين حكموا عليهم ذلك الحكم هم اخوانهم فى الشقاء قديما الذين ماكادت مقاليد السلطة تؤول اليهم حتى شرعوا فى تعذيبهم . ومما يزيد فى مصابهم انهم لا يستطيعون أن يهربوا من منفاهم، اذ ليس فى العالم بلاد تسمح لهم بأن يلتجئوا اليها . وستكون وطأة هذه الاحكام أشد على راكوفسكى وكنيف لان أولهما كان حتى عهد قريب يعيش فى السفارة الروسية بباريس عيشة البذخ والاسراف، وثانيهما يعيش فى السفارة الروسية برومامعيشة كبار الاغنياء.

ومع ان هؤلاء القوم هم شركاء رفقائهم الشيوعيين فى الجريمة الا اننا لا نستطيع أن نبخسهم حقهم من الاعجاب . فقد أعلنوا الثورة على الثورة. ومثل هذا الامر يحتاج الى شجاعة متناهية . ودروس التاريخ تفيدنا ان الذين يثورون على الثورة ينتهون غالبا الى المشنقة . أما كون الزعماء الروس الثائرين لم يصلوا الى مثل تلك النهاية فراجع الى خوف جلاديهم من أن يعيد التاريخ نفسه فتنقلب الدائرة عليهم ويجىء دورهم كما حدث فى أيام الثورة الفرنسوية . ولا شك انه لو قضى على الزعماء الثائرين بالموت لأدى ذلك فى الحال الى انهيار صرح البلشفية كله ولكان ذلك بمنزلة انتحار عام

على ان النفى لن يكون العلاج الشافى لتلك الحالة . فان ابعاد الاشخاص لا يزيل أسباب الاستياء. نعم ان الانشقاق الذى وقع فى الاسرة البلشفية صبغة شخصية ، ولكن أسباب الانشقاق ليست شخصية فقط . وفى الواقع ان لينين لما كان حيا كان أعظم صولة من القياصرة الذين سبقوه . فلما توفى دب دبيب المنافسة بين أتباعه فكان ستالين السكرتير العام للحزب السوفيتى يحسد تروتسكى رئيس الجيش ويناوئه . ونظرا الى كونه سكرتير الحزب تمكن من الاتصال بكل عضو من أعضاء الحزب ومن معرفة ميوله والتسلط على الصحافة والتحكم بالمؤتمرات . وكان بحكم وظيفته ينفق الاموال بلا حساب ويتحكم بالجيش ويتصرف كما يشاء بأرواح العباد وأموالهم .

ومن المدهش ان هذين الشخصين — أى ستالين وتروتسكى — ليسا روسيين . فان أولهما من أهالى جورجيا وثانيهما من اليهود ، وكلاهما من [illegible] انضما الى الجمعيات الثورية [illegible] وكان والد ستالين [illegible] فى بلاده [illegible] احدى المدارس

اللاهوتية . ولكن سلوكه فيها حمل أصحابها على طرده . ولم يكن سلوك تروتسكي في المدارس أكثر اعتدالا، فقد اشتهر بتحريضه على الفتنة وبمخاصمته أساتذته ورؤساءه . وكان على خلاف دائم مع ابيه أيضا لطارده هذا وهو بعد صغير السن . ولما شبت نار الثورة صودرت جميع أملاك أسرته فهاجر أبوه الشيخ الى موسكو وقطع مسافة ثلاثمائة ميل مشيا على قدميه في البراري المغطاة بالثلوج، فلما وصل الى موسكو أعلن — على كره منه — انه من أنصار الثورة ولكنه أصيب بعد أيام قليلة بالتيفوس فقضى نحبه.

وبين ستالين وتروتسكي فرق كبير في الطباع والاخلاق. والذين يعرفون تروتسكي يعلمون انه ليس من صميم الثورة البولشفية وانه لم ينضم اليها الا قبيل انتصارها بقليل أي عند مالاحت له بارقة الامل بتغلبها على القيصرية . وكثيرا ماصرح علنا بأنه يكرهها، لان مصدرها آسيوي ولانها لاتنطبق على روح العصر . وفي الواقع ان تروتسكي كان في حداثته خياليا . والبلاشفة يكرهون الخياليين كرها شديدا . وقد ظل من أنصار مذهب الفردية حتى الى مابعد انضمامه الى مذهب ماركس . وكثيراً ما اتهمه بعض الذين يعرفونه بانه شديد الغرور لاتلين قناته لاحد .

أما ستالين فبالعكس من ذلك: يكيف خططه على الاحوال المحيطة به للوصول الى غاياته التي لايتحول عنها . ومن مبادئه ان للثورة ان تفعل كل مالشاء للدفاع عن نفسها . وهو يعتقد انها — أي الثورة — بمأمن من الفشل مادام هو زعيمها وبيده السلطة العظمى فيها . ومما يجدر بالذكر ان لينين كان يشكو من شراسة ستالين . والمعروف عنه انه في أيام القيصرية رأس مرة عصابة من اللصوص وهجم على رسول أحد بنوك « تفليس » واغتصب منه ما كان يحمله من الاموال بعد معركة دموية .

ولما مرض لينين مرضه الاخير تنبأ بقرب وقوع صراع بين ستالين وتروتسكي . وكان يروعه تزايد سلطة ستالين على الحزب واشتداد شراسته.

ولقد أفضى سقوط تروتسكي الآن الى ذعر عظيم . فقد كان معظم الناس يعتقدون أن سلطته لا تقل عن سلطة لينين نفسه . ولذلك لم يكونوا يصدقون أن في الامكان اذلاله . ولو درسوا عبر التاريخ مادهشوا لما حصل . ومن الامور التي لا شك فيها ان كل من رأس الحزب السوفياتي تمتع بسلطة استبدادية لاحد لها . ومن قوانين ذلك الحزب ان من حكم عليه بالطرد من الحزب فقد وظيفته وجاز القبض عليه ونفيه . وهذا ماحل بتروتسكي . على أن لهذا الزعيم أنصارا كثيرين داخل الحزب وخارجه. والارجح أن نفيه لن يكون خاتمة جهاده.

وفي الواقع أن مركز ستالين ليس مما يحسد عليه وان يكن قد انتصر في الظاهر على خصمه، نعم أنه قد فاز بعض الفوز ولكنه قد جعل زعماء الشعب شهداء وجعل أنصار أولئك الزعماء أعداء له سيئا مرون عليه . فالمعارضون اليوم هم في الموقف الذي كان فيه الفوريون في عهد القيصرية

وليس في وسعنا أن نشرح هنا بالاسهاب أسباب الخلاف بين ستالين وتروتسكي . وانما نقول بوجه الاجمال أن المعارضين في روسيا يعتقدون أن الثورة قد فشلت وانها قد أمست في دور الاحتضار . وكان تروتسكي يقول منذ البدء أن روسيا لا يمكن أن تعيش في عزلة عن العالم . ولا يزال مصراً على اعتقاده هذا، ويقول

اذن الخطة السائرة عليها الحكومة الحاضرة ستؤدي الى الاصطدام بمصالح الفلاحين . وأنت تعلم أن الفلاحين هم الكثرة الساحقة في روسيا.

ويدعى تروتسكي أن ستالين ليس حريصا على مبادئ الثورة التي فيها وحدها خلاص روسيا، وأنه اذا استمر على خطته فان النهاية ستجيء قبل ميعادها . وهو ينعته بقوله : انه بونابارتي يحكم باستبداد وبيروقراطية وارهاب وأنه لايحجم عن التساهل مع الاغنياء لمصلحته الذاتية ولمنفعته الشخصية.

أما ستالين فيرد عليه ويتهمه بضعف ايمانه بالثورة وبأنه قد أصبح عدوا لها . وكلما ألقى خطبة عمومية أعرب عن ثقته بأن الثورة باقية الى ماشاء الله . وهو شديد المراقبة للفرص فلا يدعها تفلت من يده اذا سنحت له . وقد قلنا إنه يكيف سياسته على الاحوال والحوادث، فهو يتسامح للعامة في بعض الامور قضاء لاغراضه، فاذا انقضت تلك الاغراض انقلب على العامة وأنكر ما تسامح به . واذا قيل له في ذلك قال انه انما يوجه دفة سفينته تبعا للريح وامتثالا لوصية لينين الذي كان يراعي مقتضيات الحال احتفاظا بالسلطة . الا انه يتجاهل كون سلطته شخصية واستبدادية معا وكونها لا تخدم الا مصالحه .

وفي أثناء ذلك يستمر صرح الثورة الاقتصادي في انهيار . فالمعامل لا تستطيع الا استخدام عدد قليل من العمال ولا تدفع لهم من الاجور الا ما يسد الرمق . ولا تستطيع تلك المعامل أن تقدم لروسيا ما هي في حاجة اليه . وهي تبيع منتجاتها بأسعار عالية جدا خارجة عن طاقة العامة . ولذلك لا يجد الفلاحون ما يحتاجون اليه من المصنوعات . وبازاء ذلك يرفضون أن يبيعوا الا الجزء اليسير من غلاتهم وحاصلاتهم .

فحكومة ستالين اذن محاطة بكل العوامل التي تدعو الى الثورة . الا أن معامل الذخائر الحربية تشتغل ليل نهار . والروس — حتى النساء منهم — يدربون على الحركات العسكرية في طول البلاد وعرضها . ويقول كبار رجال البلاشفة في موسكو أن الحرب هو العلاج الوحيد الذي في وسعه أن يشفي روسيا من داء التحزب والانقسام . فاذا نشبت حرب بين روسيا وغيرها من الدول فان افكار الجيش الاحمر تنصرف عن الاهتمام بالمساوئ الداخلية الى الدفاع عن الوطن . أي أن الحرب ستنفخ نار الحماسة في صدور الجميع . ومما يدعو الى التفكير ان أوربا كانت على قاب قوسين من حرب عمومية منذ عهد قريب يوم تدخل البلاشفة في الخلاف الذي وقع بين بولونيا ولتوانيا . ومع ذلك لم يدر أحد بالخطر المحدق.

وبين رجال السياسة فريق من الناس يعتقدون انه اذا وقعت حرب بين روسيا وغيرها من الدول كانت تلك الحرب خاتمة النظام البلشفي . أما البلاشفة أنفسهم فلا يصدقون هذا القول بل يعتقدون أن حربا كهذه تكون بركة لروسيا وشؤما للدولة أو الدول التي تحاربها . وفي الواقع أن كل حالة هي أفضل لروسيا من حالتها الحاضرة التي هي حالة فقر مدقع.

ومهما يكن من الامر فان بقاء النظام [illegible] بعد عشرة أعوام ليس دليلا على انه [illegible] وليست العشرة الاعوام بل مائة العام [illegible] يذكر في حياة الامم . ولكن [illegible] فان عمر البلاشفة قليل [illegible]

تطور المسألة السورية

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الشعب وتكون من ناحية أخرى قادرة على ان تسير الامور في هدوء وسكينة ، وما دامت مسألة رئاسة الدولة سيبت فيها عن طريق الجمعية التأسيسية نفسها ، فقد رأت المفوضية السامية الفرنسية في بيروت أن تبقى منصب رئاسة الدولة السورية شاغرا وأن تكتفي بان تعهد لواحد ممن تتوافر فيه المؤهلات لتحقيق تلك الصفات جميعا بتأليف الوزارة والسير بالامور حتى تتم الانتخابات وتجيء الجمعية التأسيسية .

وقد لاكت الالسن لهذه المناسبة اسم هاشم بك الاتاسي رئيس وزارة سوريا في عهد فيصل وأحد ممثلي المؤتمر الوطني الاخير في المفاوضات التي جرت مع دار المندوب السامي هناك على أثر عقده كما لاكت اسم الداماد احمد نامي نفسه على أن يكون أحدهما هو الذي يعهد اليه بأمر تأليف الوزارة .

لكن لم يكن من السهل أن يعهد بهذه المهمة للداماد وهو القائل في كتاب استقالته : إن حكومته « قد تظهر تجاه بعض الافكار أنها غير حائزة الصفة التامة لترأس الاعمال الانتخابية بالتجرد التام » ، وكذلك لم يكن من السهل أن يعهد بالوزارة الجديدة الى من كان رئيسا للوزارة السورية في عهد فيصل ، وقد كان عهد عداء لفرنسا ، لذلك اتجهت الانظار نحو الشيخ « تاج الدين الحسني » وهو من المشهود لهم بالاعتدال في حزم ، وبالوطنية في صدق ، وبتسيير الامور في حكمة وهوادة.

***

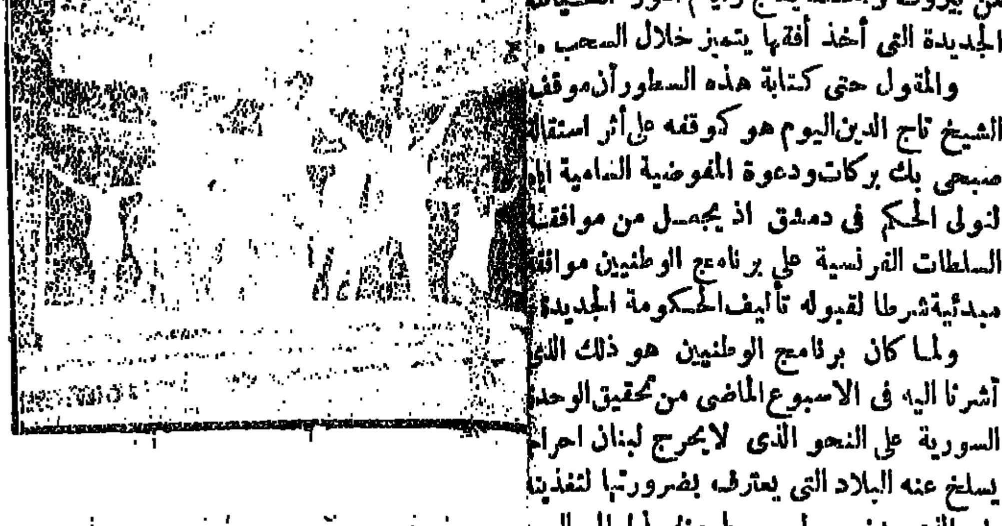
وقد خاطبت « المفوضية الفرنسية السامية » الشيخ تاج الدين، عن طريق وكيلها في دمشق، في أمر تأليف الوزارة المؤقتة التي تشرف على الانتخابات قصد الوصول الى « جمعية تأسيسية » تضع لسوريا دستورها تحدد فيه المصالح الفرنسية تحديداً يحول فيما بعد دون تعريض العلاقات بين سوريا وفرنسا لشيء من الخطر أو مجرد القلق . ودعا الشيخ تاج الدين بعض أصدقائه « الوطنيين »

من بيروت وأخذ يعالج وايام أمور السياسة الجديدة التي أخذ أفقها يتميز خلال السحب .

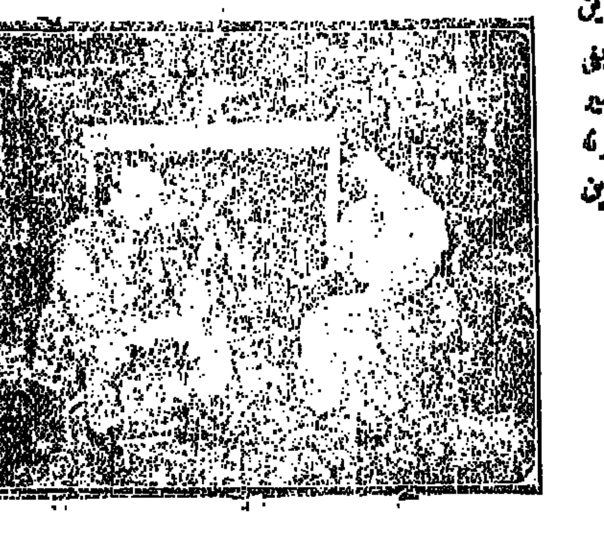
والمقول حتى كتابة هذه السطور أن موقف الشيخ تاج الدين اليوم هو كموقفه على أثر استقالة صبحي بك بركات ودعوة المفوضية السامية اياه لتولي الحكم في دمشق اذ يجعل من موافقة السلطات الفرنسية على برنامج الوطنيين موافقة مبدئية شرطا لقبوله تأليف الحكومة الجديدة.

ولما كان برنامج الوطنيين هو ذلك الذي أشرنا اليه في الاسبوع الماضي من تحقيق الوحدة السورية على النحو الذي لايحرج لبنان احراجا يسلخ عنه البلاد التي يعترف بضرورتها لتغذيته بل الذي يضمن لسوريا منفذا الى البحر ويضم الى حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة العلويين والبلاد الاخرى التي ضمت الى لبنان دون حاجة ماسة ، ومن تحديد فرنسا مصالحها الجدية ينص عليها في الدستور السوري ، ومن اشتراك المنفيين في الانتخابات الحرة الطليقة ، لما كان برنامج الوطنيين هو هذه المطالب المعتدلة المشروعة فانه يلوح لنا ان الشيخ تاج الدين سيوفق الى تحقيق شرطه وانه سيؤلف الوزارة السورية التي تعهد اليها المقادير بالاشراف على شؤون الدولة في فترة من فتراتها التاريخية .

وانا لنرجو ان يتم ذلك كله في أقرب اللحظات فلا تكون « السياسة الاسبوعية » بأيدي قرائها فيما وراء « سيناء » الا وقد انجلى الموقف وأشرفت سوريا على تحقيق مطالبها في سبيل الدستور تحيا به حياة هادئة منتجة يغتبط لها الاصدقاء وفي مقدمتهم أهل مصر جميعا .



الفتاة الجديدة في المانيا — تندفع الفتاة الالمانية اليوم في الالعاب الرياضية اندفاعا سريعا عظيما. وهنا بعض فتيات الالمانيات أعضاء في معهد آناهرمان للرياضة البدنية في برلين يتزلجن ويعدون على الجليد والثلج وهن في ثياب الاستحمام الرقيقة البسيطة



صورة منزلية لحياة مستر بولدوين رئيس الوزارة الانجليزية في منزله الريفي المسمى آستلي هول في وركستر شير ويرى جالسا بجانب الموقد وبيده غليونه الذي لا يفارقه وبجانبه مسز بولدوين زوجته تقرأ له من كتاب .

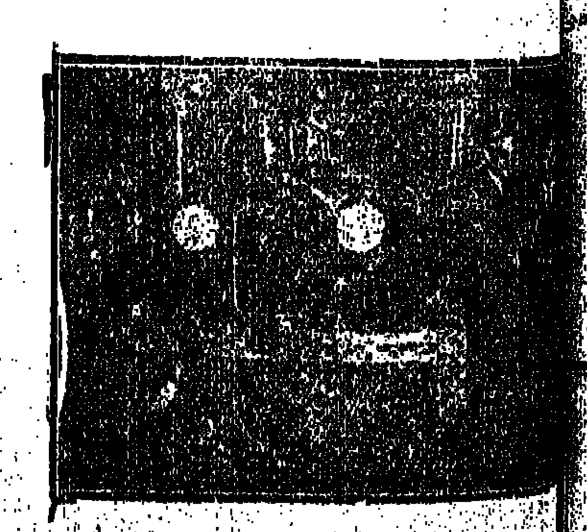


مس بيترس لوشرت بطلة لعبة التزحلق (سكيتنج) في أمريكا ومندوبتها في الالعاب الاولمبية في شتاء هذا العام في سانت موريتز لهذه المسابقة

بطل لامثيل له — وليام ايفرت بجامعة تيلسي الامريكية نال ثلاث جوائز جامعات احداها من جامعة اكسفورد ورئيس نادي رياضية وبطل في الالعاب الرياضية ورئيس فرقة في الجامعة ومدير فرقة المرتلين في كنيسة الجامعة



« علامة استفهام غالية الثمن » مس جريتا جاربو نجمة السينما السويدية ابتكرت هذا الزي في لبس الفراء فياقة فرائها من « السابل » الثمين ترتفع الى أعلى رأسها وحول رقبتها بطريقة أشبه بعلامة استفهام



مستر هنري فورد وابنه إدسل بجانب احدى سيارات فورد الجديدة يوم افتتاح معرضها الاكبر في ماديسون جاردن

توماس اديسون الذي أسدى أجل الخدم الى البشرية باختراعاته العديدة يحتفل ببلوغه الخامسة والثمانين في هذا الشهر

دمعة حائرة

[illegible] البحر على راكبه فيعلوه الماء وقبل [illegible] رذاذ الموج دمعة .
[illegible] ساحة الوغى حبا في الفخار [illegible] ويرفرف السلام [illegible]
[illegible] كل جريح من جروحه بدمعة .
[illegible] انتصاراته تقابله زوجته [illegible] دمعة .
[illegible] عهد الشباب والحب وأود أن [illegible] من زيارته دمعة .
[illegible] عود من القديم [illegible]
[illegible]

اجتمعنا تكون في العينين كما كانت عند الفراق دمعة . وهل لو مت قبل هذا اللقاء هل تذرفين على قبري دمعة ! . . محمد بدر الدين سالم
عن لورد بيرون

« القبلة »

تلامس كفانا فألقت بنفسها
على الصدر مني . والهوى يتحكم
فوالله ما دلست ساحة [illegible]
[illegible] لنا . والحب طهر [illegible]
وحرمت [illegible] والعدو على فمي
وكم من محب يشتهي ما أحرم
وكم من أناس [illegible] قبلة الهوى
ليرضوا أهواءهم [illegible]
احمد عبد الحميد [illegible]

الفـــــردوسى

الشاعر الفارسى الكبير ناظم الشاهنامة

الفردوسى شيخ شعراء فارس وكبير بلغائها ومؤرخيها وفخر آثرها تمخض عنه العالم فى عصر تقلص فيه ظل الحكم العربى عن تلك البلاد وتوطد فيه سلطان أهلها من الاعاجم، فكانت أجل أعماله وأخطرها بالفارسية لذلك لاتكاد المؤلفات العربية تنوه بذكره بل لاتسمع عنه فيما بينها نجدها حافلة بأخبار علماء الفرس وفلاسفتهم الذين كتبوا بالعربية . على أن هناك مايدعو الى ترجيح الظن أن تلك المؤلفات أغفلت ذكره عمداً: ذلك انه كان متهما فى دينه كما اتهم قبله غير واحد من أجلاء فارس، وبأنه كان يعمل لترويج الدعوة الى رفع شأن ذكرى الاكاسرة من آل ساسان وغيرهم وهم مجوس تفادى المؤلفون فى تلك الاحقاب من الاشادة بذكرهم وتعداد مفاخرهم حرصا على إعلاء كلمة الاسلام وفضله.

ولقد جنى عليه نبوغه وبذل مجهوده فى نظم «الشاهنامه» وهى التاريخ الكامل لبلاد الفرس التى يقترن اسمها بالفردوسى على كر الدهور، فلقى من كيد الحساد والشانئين ما كدر عليه صفو حياته وشرده فى البلاد شيخاً أحوج مايكون الى الراحة، علاه الجزع جنبيه ويقض مضجعه ويلتمس الأمن على أبواب الامراء والعظماء فلا يجده حذو مليك اشتهر بحب العلماء وسعة السلطان. لكن النفس الكبيرة لها ثورة ولا تقر على ضيم يراد بها، فكما أن ذلك المليك أخاف الفردوسى وأرهبه، كذلك الفردوسى صاغ له من الهجو ما هو أشد فتكا من القنابل ومن الذم سيفا يقطع مناط التائم.

ولد أبو القاسم منصور المعروف بالفردوسى فى سنة ٣٢٩ ﻫ (٩١١ م) باحدى ضواحى مدينة طوس من أعمال خراسان . وكان والده أحد أولئك الأمراء الأعاجم الذين احتفظوا بحكم البلاد تحت سيطرة العرب.

فلما شب الفردوسى انقطع لتلقى العلم حتى حصل على ثقافة عالية وملك ناصية اللغة العربية وآدابها كما درس اللغة الفهلوية وهى اللسان الفارسى القديم دراسة مستفيضة حتى أسلست له قيادها فهو لذلك أشبه الناس بابن المقفع الكاتب العظيم وكلاهما يمت بنسبه لفارس وكلاهما أجاد اللغتين وكلاهما اتهم فى دينه . غير أن الظروف التى أحاطت بالفردوسى مخففة لما اتهم به على عكس ابن المقفع حيث كانت الشبهات ضده قوية ومآخذه ضعيفة.

ولما كان الفردوسى متهوسا طوال أيام شبابه لتقصى أحوال اللغة الفهلوية واستخراج مكنوناتها فقد ألقى اليه البحث بالكتاب المسمى (خداينامه) أى كتاب الملوك وهو كتاب نقله الى العربية عبد الله بن المقفع وأصله من وضع بعض علماء الفرس برياسة الدهقان دانيشور فى نهاية الدولة الساسانية أخذوه من الوثائق والروايات الخاصة بالملوك السالفين التى أمر بجمعها كسرى أنوشروان، فاشتغل الفردوسى بنظم هذا الكتاب وهو فى سن السادسة والثلاثين يعضده فى ذلك أبو منصور أمير طوس ويمده بما يحتاج اليه فكان هذا العمل مبدأ كتاب الشاهنامه الذى معناه أيضا كتاب الملوك.

فلما ولى محمود بن سبكتكين الغزنوى ملك تلك البلاد، وكان سلطانا عظيما شديد الهيبة امتدت غزواته الى الهند، قرب اليه العلماء وجعل له مجلسا قوامه سبعة من الشعراء فكانت اذن لمة فرصة سانحة يصل بها الفردوسى الى المرتبة اللائقة بفضله وهو لايدرى أتقدر عليه الخير هذه المرتبة أم تصيبه بشىء من الرزايا. ولكن النتيجة على كل حال كانت بروز أثر جليل دل على عبقرية نادرة وعلم واطلاع واسعين لايتناسب بهما علم واطلاع.

ففى ذات يوم قدم الفردوسى أحد أصدقائه للسلطان محمود، فلما اتصل به أعجبه حسن بيانه وحضور ذهنه وبراعة علمه: فقد سأله لاول مرة مثل بين يديه عن بلده فقص عليه تاريخها بما لا يدع سؤالا لمستزيد، وفى الحال أمر بأن ينتظم فى سلك مجلس شعرائه السبعة وتجرى عليه الارزاق من البلاط ثم سماه الفردوسى تيمنا به اذحول جماعته الى نعيم

وما لبث غير قليل حتى ازداد اطمئنان السلطان اليه والوثوق بكفايته : وكان بن سبكتكين قبل ذلك قد جمع كثيرا من الوثائق الخاصة بتاريخ فارس فدفعها الى الفردوسى وعهد اليه بنظم الشاهنامه وأمر خازن بيت ماله بأن يدفع اليه ألف دينار ذهبا عن كل ألف بيت ينظمها لكن الفردوسى لم يكن من الناس العاديين وكان صدره يحوى كثيراً من النبل وشرف القصد فكان يجيش منذ الطفولة بخير وطنه طوس، اذ كان يعانى من قلة الماء غير قليل فكانت آماله كلها متجهة نحو ازالة هذه البلوى باقامة سد يتوافر به الماء . فلما هيئت له المنحة وجد فيها الوسيلة لادراك ضالته المنشودة بيد أنه أشفق من ضياعها ان هو تناولها ألفا ألفا كما أمر السلطان فرغب فى ألا يأخذ منها الا ما يقيم به أوده ليتجمع الباقى فيتسلمه دفعة واحدة، وحينئذ يستطيع بناء السد الذى فكر فيه.

وهذا مثل من المثل العليا ضربه الفردوسى للتضحية فى سبيل النفع العام وحب الاوطان . على أن هذا النبل وتلك الخلال الكريمة كان يقابلها فى نفس شخص آخر لؤم وحسد أضاعا على الرجل هناءه وجشماه من المتاعب ما لا قبل له به، ذلك أن خازن بيت المال شق عليه أن يكون للفردوسى لدى السلطان تلك الحظوة فأضمر له السوء واتخذ رغبته هذه وسيلة للشر عليه بما يمسك به نفسه فظل يقاسى كثيراً من مرارة العيش الى أن أتيح له من كرم رستم بن فخر الدولة الديلمى ما أعانه على تذليل بعض الصعاب اذ طلب اليه نسخة من قصة (رستم واسفانديار) وهى قصة تتعلق بالبطولة والشجاعة وضمنها الفردوسى فى قالب شعرى، فلما وصلت القصة لابن فخر الدولة بعث للفردوسى بألف دينار ووعده خيرا كثيرا اذا هو التحق به.

على أن وقوع هذه الحادثة كان لخازن بيت مال السلطان محمود فرصة للايقاع بالفردوسى وايغار صدر السلطان عليه فاتهمه بعدم الاخلاص للمليك اذ كان النفور واقعا بين محمود الغزنوى ورستم الديلمى بسبب المذاهب الدينية حيث كان الاول سنيا والثانى شيعيا، فلقى الفردوسى من هذه المحنة كربا عظيما، كما أصبحت الحال باعثة على الحسد من الشعراء فى الحط منه . على أن الدهر لم يكتف بذلك بل أفقده ولدا فى السابعة والثلاثين من عمره فكانت هذه المصيبة ثالثة الاثافى

لكن تلك الرزايا لم تكن لتثنى عزمه عن اكمال العمل العظيم الذى كلف انجازه فبعد انقضاء ٣٥ عاما أى فى سنة ١٠١١م تم كتاب الشاهنامه فى نحو ستين ألف بيت من الشعر تحوى التاريخ الوطنى لبلاد الفرس بأكملها فلما قدمت للسلطان محمود فرح بها فرحا شديداً وأمر خازنه أن يجزل العطاء للفردوسى فيعطيه ذهبا بقدر مايحمل الفيل . لكن الخازن الحسود راجع السلطان وقال: إن هذه المنحة كريمة للغاية ولا يستحقها ذلك العمل ويكفى الفردوسى أن يكون ذلك الحمل من الدراهم .

فلما حملت الجائزة للفردوسى وكان فى الحمام ظنها من الذهب الموعود به فكاد يطير له فرحا ، ولكن سرعان ما تبددت هذه الآمال الواسعة عند ما فتحها ووجدها من الفضة، فقال للرسول فى شىء من الذهول: إنكم لم تنفذوا أمر السلطان ويظهر أنكم اخطأتم فأبلغه الرسول ماوقع بين الخازن والسلطان، وحينئذ تميز غيظا وفى سورة غضبه أعطى ثلث الجائزة للرسول والثلث الثانى للحمامى، والثالث لبائع شراب ثمناً لكوب شربه . ثم التفت الى الرسول وقال له ابلغ السلطان عنى انى لم أكن أبغى المال ثمنا للجهد الذى بذلته . فلما سمع السلطان ذلك أسف على اخلاف وعده ولام الخازن على تحويله عما أمر به. لكن هذا الخازن كان ماهرا فى الوقيعة والدس .

وما لبث أن تسلط على فكر السلطان وحول غضبه على الفردوسى نفسه اذ ذكر له ان عمل الفردوسى كفران بالنعمة لايليق، بل فيه وقاحة وجرأة على المليك، ثم اتهمه تهما شنيعة احفظت السلطان عليه حتى بلغ من غضبه أن عزم على أن يلقيه فى الصباح تحت قوائم الفيلة لتقتله .

وكان للفردوسى صديق حضر تلك المناقشة وعلم ما اعتزمه السلطان فأشفق عليه وأبلغه الحادثة فبات الفردوسى بليلة الهموم حتى اذا انبلج ضوء الصباح تسلل فى سكون الى الروضة الخاصة بالسلطان فقابله فيها وبالغ فى الاعتذار اليه حتى رضى عنه وزال ما به .

بعد ذلك رأى الفردوسى أن المقام فى غزنة أصبح غير مأمون وأن بقاءه يكون محفوفا بالمكاره فاستقر فكره على مغادرتها، ثم ذهب الى منزله فأحرق مسودات ألوف من الشعر كان نظمها وقصد الى مسجد غزنة الكبير فكتب فى المكان الذى اعتاد السلطان الصلاة فيه مامعناه: «إن بلاط السلطان محمود كالبحر الزاخر الذى لايرى شاطئه فاذا غصت فيه طلبا للآلى ولم أجدها فليس ذلك ذنب البحر ولكنه جدى العاثر»

ثم كتب ورقة وأعطاها لصديقه الذى كان حمل اليه جائزة السلطان وأوصاه أن يعطيها السلطان بعد عشرين يوما فى وقت صفوه، ثم رحل لايملك سوى الأسمال التى يلبسها حتى بلغ جرجان ووفد على الامير قابوس فأكرم وفادته بادىء الامر، لكن لما اتصل به خبره مع السلطان محمود خشى عاقبة الامر فصرفه بعد أن منحه هدية سنية ، فولى وجهه شطر الخليفة القادر ببغداد ومدح وزيره بقصيدة عربية فأكرم الوزير مثواه، وقدم للخليفة بعد أن قص عليه ما لقيه من سوء المعاملة فى غزنة ، فلما مثل بين يدى الخليفة مدحه بقصيدة يبلغ عدد أبياتها ألفا فسر به كثيراً وقربه اليه .

ويزعم الرواة أن هذه الحظوة لم تدم طويلا لان الفردوسى قضى حياته وبذل مواهبه فى تخليد ذكرى الاكاسرة المجوس، وهو أمر لم يرق فى عينى الخليفة، فنظم الفردوسى قصة يوسف مع امرأة العزيز فى نحو ٩ آلاف بيت وسماها «يوسف وزليخا» ليتقرب بها للخليفة تكفيرا عن مجهوده فى نظم الشاهنامه

لكننا نرجح أن تغير الخليفة عليه كان ناشئا من تقديره للخطر الذى يحيق به اذا كان السلطان محمود أقوى ملك فى زمانه وجانبه مرهوب .

أما الرسالة التى تركها الفردوسى للسلطان محمود فقد سلمت اليه بعد العشرين يوما التى حددها، فلما قرأها رأى فيها هجوا شديدا لم يخطر له على بال

وهذا الهجو المتنوع لا تزال نسخ الشاهنامه تصدر به فاستشاط السلطان غيظا وبعث فى طلب الفردوسى حيثما كان، وعين جائزة سنية لمن يأتيه به، لكنه كان قد أفلت كما تقدم. فلما علم السلطان بمقره لدى الخليفة أرسل اليه يطالب تسليمه، وحينئذ رأى الفردوسى أن لا مفر من تجنب الاشكال فرحل من بغداد يضرب فى الارض حتى وصل الى قوهستان وكان أميرها صديقه الحميم فاستقبله على حدود امارته استقبالا فخما .

ولما استقر به المقام أخبر الامير بانه أعلم ذما مرأ يذكر فيه ماأصابه من الرزايا من السلطان محمود لكن هذا الامير كان راجح الفكر وكان من جهة أخرى صديقا للسلطان فبعث اليه برسالة يسأله الصفح فيها عن الفردوسى، فصادفت هذه الرسالة هوى كمينا فى نفس السلطان اذ كان الندم يساوره وتقريع الضمير يباوده عن الانصراف التى لحقت بالفردوسى. لكن اعتزازه بالملك كان حائلا دون التجاوز عنه . فلما بلغته تلك الرسالة لم يكتف بالعفو فحسب، بل أمر بقتل خازن بيت ماله سبب كل تلك المحن .

فى ذلك الحين كان الفردوسى شيخا قد أضناه الكبر وتصاريف الدهر، فعاد الى بلدته طوس متهدم الجسم ولم يلبث الا قليلا حتى أدركته الوفاة (٤١١ ﻫ) وله من العمر ثمانون عاما قضى منها أحد عشر عاما متشرداً فى البلاد .

ولما توفى رفض أبو القاسم الجرجانى شيخ علماء طوس أن يصلى عليه متهما إياه بالكفر، ولكنه رأى فى الليلة التالية أنه ينعم فى جنات الخلد يلبس ثيابا من سندس أخضر وعلى مفرقه تاج من الزمرد، فلما أصبح أعلن ذلك للملأ .

ويزعم الرواة أن محمود بن سبكتكين أرسل للفردوسى مائة ألف دينار من الذهب وكتابا يعتذر فيه عما أصابه من الضرر بسببه. فلما وصل رسل السلطان بهذه المنحة الى باب مدينة طوس كانت جنازة الفردوسى خارجة من الباب الآخر. فقدم المال لابنته فرفضت قبوله، لكن أخته تذكرت أمنيته فى الصبا فأخذت المال وشادت به السد على نهر طوس .

محمود فريد
بالمعارف

أهوال الاستبداد

تأليف الكونت الكسى تولستوي وترجمة الاستاذ خليل بيدس

هي من افضل الروايات الكبيرة قصصاً ، وأجلها أحاديث وأروعها موضوعاً ، وأغربها حوادث ووقائع ، وأحفلها بأنبل الاغراض يجد فيها القارئ لذة الرواية ، وعبرة التاريخ ، في لغة رصينة وديباجة قشيبة ، لايسمو اليها الا النزر القليل من كتابها الروائيين صفحاتها ٣٠٠ ، مزينة بالصور ، وثمنها ١٢ قرشاً والبريد وتطلب من المطبعة المصرية بمصر (صندوق البريد ٩٥٤)

الخمر فى شعر أبى نواس

أبونواس وهذه كنيته واسمه الحسن بن هانىء ... من تغزل فى الخمر واستهتر فيها واتخذ الراح هوى ومن الكأس خدينا ، ولقد ... الناس بالخمر قديما وحديثا وقالوا فى ذلك ... أكثروا بين منظوم ومنثور وربما اتفق ... منهم من المعانى مالم يفطن اليه أبونواس ولكن ... أحد منهم بالخمر مثل ماهام بها أبونواس ... يفتتن بالكأس أحد افتتانه .

ولقد يقرأ الانسان شعر أبى نواس فى الخمر ... الى تجويده الالفاظ فيها واختياره المعانى ... فى وصفها واخلاصه فى ذلك إخلاصا ... الشعراء به فلا يكاد يصدق ان هذا التدله ... قد قيل فى وصف الخمر، اذ كان العهد بمثل ... أن يقال فى الغزل بالحسن الجميل من بنى ... الانسان لافى غيره من بنات الدن وسلالة ... الكروم . بل ان الانسان ليقرأ خمريات أبى نواس ... يأخذه من الحنان عليه والموجدة له مايأخذه ... ذلك حين يقرأ سير العشاق وتواريخ الذين ... الهوى وأفسد حياتهم الحب ، وليس ذلك ... ما أودعه أبونواس فى شعره الذى قاله فى الخمر ... روحه الخالصة وأسبغه عليه من نيته الصادقة ، ... كان أبونواس حين يشبب بالخمر ويتغزل فيها ... الى محاكاة أحد من الشعراء أومرضاة ... أحد من الناس ، إنما كان يقول مايعتقد ويصور ... ، ومن أجل هذا جاء شعره فى الخمر عذبا ... تشربه النفوس وتتقبله الافهام .

وليس من همنا فى هذه الكلمة أن نمشى فى ... ما كان لابى نواس من تاريخ فى الخمر ، فان ... مقاما آخر ، انما قصدنا فى هذه الكلمة الى ... بين المعانى الفذة التى ترددت فى شعر أبى نواس ... بها الخمر ، فأما هيام الشاعر بها ذلك الهيام ... جعله ينظم فيها من الشعر مايربى على دواوين ... من الشعراء فانا نحيله على من يطيق وصفه ... من الكتاب والادباء .

ولسنا ننتقص من أبى نواس أونحط من ... حين نقول انه من المقلين فى المعانى مع ... وان كان من المكثرين فى النظم ، وانما نريد ... المعانى هنا ما انصب على جوهر الخمر خاصة ... وصف المجالس ونعت الندامى ، ومماطلة ... وغير ذلك من المعانى فليس لنا به شأن ... خارج عن الغرض الذى نرمى اليه فى هذه ...

... معانى أبى نواس فى الخمر هو وصفها ... أفلن فى هذا المعنى وبالغ فيه حتى ... عن الحقيقة الى الخيال ، وللشعراء الذين ... أبانواس جولات فى هذا المعنى ولكنه ... حتى غطى عليهم وسد الطريق على ... منهم، ولسنا نبخل عليك بأمثلة من ... أبى نواس فى هذا الباب حتى تؤمن بما ... مقيدة لاعن تقليد . يقوله

... من حكم
بنت عن ليل ولم أنم
... اشتهرت
تحار الشيب فى الرحم
... لها
بعد ما جازت مدى الهرم
... بدلت
وهى ترب الدهر فى القدم
... الصلت
...

ويقول فى موضع آخر:

معتقة كما أوفى لنوح
سوى خمسين عاما الف عام
أقامت فى الدنان ولم تشرها
ولكن زانها طول المقام
أشبهها وقد صفت صفوفا
باشياخ معممة قيام
يشيح التعلر أرؤسها ويسفى
عليها الريح عاما بعد عام
الى أن لم يذر دهر عليها
بها باقياً ولا أثر الختام
فجاءت كالدموع صفا وحسنا
كقطر الطل فى صافى الرخام

ويقول أيضاً :

أسقنيها سلافة سبقت خلق آدما
فهى كانت ولم يكن ماخلا الأرض والسما
رأت الدهر ناشئا وكبيرا مهرما
فهى روح مخلص فارق اللحم والدما

ولعمرى أن هذا لهو الاغراق فى الوصف وهو وان كان كذلك الا انه قد دل على شاعرية كبيرة وخيال غير محدود ، لا يتقيد بالحس ولا يرتبط بالمشاهد انما يسبح فى حجب الماضى حتى ليستشفها ويشرك القارىء فى الاشراف عليها ، وهذه الصفة وان كانت لاتمد من مفاخر كثير من أنواع الخمر فى الوقت الحاضر الا أن الوصف فى ذاته مما يهز النفس ويثير الاعجاب .

ولقد ردد أبو نواس هذا المعنى فى شعره كثيرا وألبسه حللا من الالفاظ مختلفة يستطيع القارىء أن يجدها فى الجملة من شعره فى الخمريات .

وقال أبو نواس فى سنا الخمر فأبدع وردد فيه فأمتع ، وما زال هذا السنا يروق ويغرى خياله ويشحذ شاعريته حتى ترك سنا البرق ظلاما بجواره — واليك نتفا من شعره فى هذا المعنى :

ومقرور مزجت له شمولا
بماء والدجى صعب الجناب
فلما أن رفعت يدى فلاحت
بوارق نورها بعد اضطراب
تزاحف ثم مد يديه يرجو
دفاء حين جارت بالتهاب
فأبصر فى أنامله احمرارا
وليس له لظى حر الشهاب
فقلت له رويدك ان هذا
سنا الصهبا من تحت النقاب

ويقول :

وكأن شاربها لفرط شعاعها
بالليل يكرع فى سنا مقباس

ويقول:

وسيارة ضلت عن القصد بعدما
ترادفهم أفق من الليل مظلم
فأصغوا الى صوت ونحن عصابة
وفينا فتى من سكره يترنم
فلاحت لهم منا على النأى قهوة
كأن سناها ضوء نار تضرم
اذا ما حسوناها أقاموا مكانهم
وان رحلت غضوا الركاب وعوموا

ومن المعانى التى أولع بها أبونواس فى وصف الخمر وعرضها فى شعره على صور شتى وصف نكهة الخمر وطيبها وأنها حتى لتفضل فى ذلك أريج الرياض قد باكرها الغيث ولضوع المسك ... سلم جوهره وخلص عنصره ، ونحن نسوق اليك أبياتا من شعره فى هذا المعنى ... حين

الا فاسقنى مسكية العرف مزة
على نرجس تعطيك أنفاسه الخمر

وحين يقول :

تهدى الى الشرب طيبا عند نكهتها
كنفح مسك فتيق الفأر مفتوت

وحين يقول :

وكأن شاربها لطيب نسيمها
وافت مشاربه سحاب قرنفل

وهذا المعنى وإن كان لم يجىء فى شعر أبى نواس جملة واحدة فى مكان واحد الا أنه مع ذلك قد أنتشر فى الديوان وشاع فى الشعر حتى كان منه بمنزلة الرياحين من الموائد تكسوها زينة وتكسبها لذة وجمالا .

ولابى نواس غرام بوصف الثورة التى تحدث من مزج الماء بالخمر وهو كثير الوصف لهذا المعنى ولسنا ندرى ماذا كان أبو نواس يبلغه من قوة الوصف وبلاغة التعبير لو ان ماءه استبدل « بالعمودا » فهى من غير شك أشد اهاجة للخمر من الماء . ومن المواطن التى عرض فيها الشاعر بهذا المعنى قوله .

كأنها فى زجاجها قبس
يذكو بلا سورة ولا لهب
فهى بغير المزاج من شرر
وهى اذا صفقت من الذهب
اذا جرى الماء فى جوانبها
هيج منها كوامن الشغب
فاضطربت تحته تزاحمه
ثم تناهت تفتر عن حبب

وقوله :

تنزق عند المزج فى صحن كأسها
تنزق صعب الرأس يوم رهان

وقوله :

كأنها والمزاج يقرعها
تأجيج نار رمتك بالشعل

ولقد اتفق لابى نواس من المعانى فى وصف الخمر غير ماذكرناه مالا يخضع للحصر فى مثل هذه الكلمة القصيرة غير أنا قد حسبنا ان المعانى التى أشرنا اليها هى كبرى معانيه وخلاصتها فى جوهر الخمر خاصة ، أما المعانى التى جاءت من الخمر بمنزلة المكملات لها مثل وصف الندامى وذكر السقاقين وفعل الراح بشاربها وكيف تسطو على الهموم فتزيحها عن النفس الى غير ذلك من حواشى المعانى فهى أكثر من أن تسد وأعظم من أن تحصر ، ولسنا نحب أن نختم هذه الكلمة قبل أن نقدم للقراء أبا نواس كما يصف هو نفسه فى حالات خلاعته وفى مجالس مجونه وفى هذا يقول :

انى وان كنت ماجنا خرقا
لا يخطر النسك لى على بال
لذو حياء وذو محافظة
مبتاع حمد الرجال بالغالى
مادنس المال عرض ذى شرف
فان عرضى يصان بالمال

وبعد : فرحم الله أبا نواس لقد كان شاعرا عظيما .

محمد خالد

القسم النسوي الاجتماعي

أثر المرأة في نهضات الشعوب
واجب المرأة المصرية

مهما قيل في المرأة ومهما تطير من موقفها المتطيرون ، ومهما ألح في التحذير منها ومن خلقها الشعراء والكتاب فهناك حقيقة ثابتة يجمع عليها ذلك أنها مركز الدائرة في تطور الانسانية والقلب الحساس في نهضات الشعوب وثورات الفكر في أم الارض جميعا .

أي مبدإ من المبادئ الحديثة التي تقررت لخير الانسانية بعد جهاد عنيف مع قوى الرجعية والاستبداد لم يكن صوت المرأة الضعيف الحنون أروع الاصوات وأشدها لقرع آذان الحكام والمستبدين ، بل أي حق تقرر لشعب من الشعوب ولم تكن دماء المرأة أول الدماء التي جرت ، ولم يكن رأسها أول الرؤوس التي أدركها قضاء الاستبداد ونقمة الرجعية ؟!

لقد شهد العالم في ختام القرن الثامن عشر أنبل المعارك الانسانية ، وجرت على أرضه أذكى الدماء ، وتطايرت في سمائه من أجل الحرية أقدس الاشلاء ، وكان نصيب المرأة في هذا الصراع عظيما ، فقد حملت النساء الاعلام وانبعثت من حناجرهن أرق الاصوات وأروعها نقمة في وجه الظلم وثورة على قيود الفكر والحكم . وسارت النساء في طليعة المتظاهرين حين هجموا ليدكوا صرح « الباستيل » وليخرجوا من حجراته المظلمة ضحايا الظلم وشهداء عصر الظلام . وكانت النساء في طليعة المتظاهرين حين تسوروا قصر « التويلري » يطلبون من الحاكم المستبد خبزا وماء ! .

وتطورت الثورة الفرنسية الكبرى وساهمت المرأة في فظائعها كما ساهمت في مجدها وفضلها وكما حلى صدرها بأوسمة فخارها فلن يغيب عن الفكر تلك الكلمة الخالدة التي نطقت بها « مدام رولان » وهي تصعد الى « المقصلة » : « كم من الجرائم ترتكب باسمك أيتها الحرية !! »

***

وتلت الثورة الفرنسية الكبرى ثورات أخرى تباينت شدة وضعفا وشغلت العالم المتحضر حينئذ طوال القرن الماضي ، وكانت كلها تأييدا لمبادئ الثورة وقومات ضرورية للقضاء على مابقي للرجعية من قوة ، وعلى ماكان لايزال يضطرب في صدور دعاتها من أمل . وكان للمرأة فيها جميعا نصيب كبير فلا تخلو قصص الاستشهاد من قصص شهيدات كثيرات ، ولا تخلو مواقف الشرف للدفاع عن حرية الفكر من مواقف نبيلة كانت المرأة بطلتها وعذوبتها أشد ماتكون ثورة وأقوى ماتكون إيمانا .

وبالاجمال فقد كانت المرأة من أول الموقدين لشعلة النور التي أضاءت أفق الحرية وبسطت راية السلام ، وأيدت تعاليم الايمان بالحق والاعتراف بالواجب .

***

ودرج العالم الى القرن العشرين وقد استقرت فيه النظم وهدأت ثورة الانباع ، وتقدست راية النصر للحرية ودعاتها ، ولكن الشرق كان لا يزال أسير الاستبداد يغط في نوم عميق الى أن نبهته الحرب الكبرى فشبت في أرجائه الثورات واضطرم صدره بروح السخط والتمرد ، ولا زالت هذه الروح تسوده وستبقى أبدا مسيطرة عليه مادامت للاستبداد بقية ، وما دام لدعاة الرجعية فيه بصيص من أمل أو رجاء

وامتدت الى مصر شرارة من هذا السخط المتقد ، وغلت أرجاؤها نقمة ودوت طوائفها جميعا تهتف للحرية وتقدس ضحايا الحرية ، وشهد العالم لاول مرة في تاريخ مصر فتيات المدارس تنفرج شفاههن عن النداء المحبوب ، وشهد المرأة المصرية لاول مرة تقف في الجهاد السياسي جنبا الى جنب مع الرجل .

وتطورت الثورة المصرية وكان للمرأة في جميع أطوارها أثر حسن بما ألفت من جمعيات وما قدمت من احتجاجات ، غير أن أثرها لم يعد أن يكون هادئا رزينا فلم تكد عناصر الثورة تهدأ في البلاد حتى خفت صوت المرأة وسكنت حركاتها جميعا ، وعادت الى حياتها الاولى : حياة الدعة والسكون .

واذا كان من المسلم به أن الثورة السياسية في مصر قد هدأت بعض الشيء فما لا شك فيه أن في البلاد حركة تطور عامة تستلزم تضافر الجهود وشحذ العزائم ، وتستلزم من جميع العناصر والقوى مشاركة ومعاونة . ومما لا شك فيه أيضا أن حركة الانتقال التي تسود كل مرافق الحياة في مصر هي ثورة أعمق أثرا وأكبر انتاجا وأوسع أفقا من الثورة السياسية لانها تتناول تكوين الشعب وخلقه خلقا جديدا . أما الثورة السياسية فلا تتناول إلا ناحية واحدة من نواحي الحياة .

ولنا أن نتساءل الآن : لماذا لا تعمل المرأة المصرية ولماذا اقتصر عملها ، ويقتصر دائما على العمل السياسي ؟ بل لنا أن نتساءل : لماذا لم تحرك الثورة المصرية في المرأة سوى عواطفها السياسية فلم تفد البلاد منها سوى نتاجا سياسيا محضا مع أن المرأة في الامم الاخرى شاركت الرجل في كل الشؤون وكان لها أثر ظاهر في كل نواحي الحياة الاجتماعية ؟

هل تريد المرأة المصرية ثورة أعنف من التي مرت بالبلاد حتى تحملها على المشاركة في كل ميادين العمل والانتاج ؟ أم هي في حاجة الى أن يدفعها الرجل قهرا الى هذه المشاركة كما فعل مصطفى كمال مع المرأة التركية ؟

يلوح لنا أن المرأة المصرية في حاجة الى أحد هذين الدافعين ، لان مابدا حتى الآن من نشاطها لا يبشر بأنها على استعداد للعمل من تلقاء نفسها . ويلوح أيضا أن نشاطها كله متجه الى تتبع تطورات المودات في أنحاء العالم وأنها في هذا المضمار تكاد يكون لها السبق بين نساء العالم أجمعين .

***

بالامس دعت لادي لويد عقيلة فخامة المندوب السامي الى سوق خيرية أقامتها لانقاذ الطفولة في مصر ، فضربت للمرأة المصرية مثلا ساميا للعمل الهادئ المنتج الذي يمكنها أن تزاوله دون أن تثير حولها ضجة ، وفي الوقت ذاته تؤدي الى وطنها وأمته أجل الخدمات .

الى أمثال هذا العمل النبيل الخير ندعو نساءنا ، لاندعوهن الى ثورة ولا الى ميدان قتال ، لا ندعوهن الى تمرد على التقاليد والعادات حتى لا تقوم حولهن ضجة الجامدين يرمونهن بالمروق والالحاد ! انما نريد منهن مجهودا ساميا في حدود طاقتهن وظروفهن ، ليبقين في حجابهن اذا كن يحببن هذا الحجاب ، ليبقين في منازلهن اذا كن يحببن هذه المنازل ، ليبقين بعيدات عن عمل الرجال اذا كان عمل الرجال سبة لهن في نظر الجامدين والمحافظين . ولكن ليعملن عملا للمشاركة في بناء النهضة القومية ، ليضعن حجرا بجانب حجر الرجل في أساس هذا البناء .

ليعملن هذا العمل السامي الهادئ وليبقين في انتظار الثورة العنيفة التي تدفعهن الى خلع تقاليد الماضي

***

ان العالم كله في تطور ، والمرأة في أنحائه جميعا أول من يتأثر بهذا التطور ، والعصر عصر مادة ، والتزاحم يزداد كل يوم على اقتسام غلات العالم . فما لم تتضافر قوانا جميعا فلن نستطيع الوقوف في وجه التيار . أوليست المرأة احدى هذه القوى ؟ اذن لما تتأخر عن الصفوف ولماذا تقف بنهضتها في منتصف الطريق ؟

يلوح أن آثار العهد البائد ، آثار التحكم القديم ، لازالت تعمل عملها ولازالت تؤثر في المرأة المصرية فتجعل منها أداة خاملة عاجزة لا تصلح للعمل في هذه المدنية الباهرة التي شمل ضوءها انحاء العالم كله

نحن في حاجة ماسة الى المرأة ، في حاجة اليها ان تغشى مجتمعاتنا وحفلاتنا لكي تهذب الذوق العام ، نحن في حاجة الى مجهودها وعملها لان المرأة تعمل مع الرجل في بلاد الحضارة كلها وانتاج العنصرين لاشك أوفر من انتاج العنصر الواحد .

ولكننا لانجرؤ ان نطالب من المرأة المصرية اليوم كل هذا العبء العظيم ، لانجرؤ ان نطالب اليها الاضطلاع بهذه الرسالة الكبرى ، وانما نتركها كما قلنا الى ثورة عنيفة تدفع بها راغمة في سبيل التطور الذي جرت فيه نساء العالم ، وانما كل مانطلب منها اليوم ونخاله في تمام مقدورها ، انما هو المشاركة الهادئة في بنيان نهضتنا القومية . لتعن المرأة المصرية الآن بتثقيف نفسها وتهذيب بنات الوطن ، لتعن بالامومة والطفولة ولتشارك في النهضة الاقتصادية والعلمية والادبية في البلاد بالقدر الذي تمكنها منه ظروفها وحدتها الحاضرة . أما أن تسكت وقوى الوطن كلها تعمل ، أما أن توجه جهودها جميعا الى قشور المدنية وطلائها الظاهر : الى المودات وما اليها من تبرج وخروج عن حدود المألوف والمعقول ، فلا نرضاه لها ولا ترضاه هي لوطنها ولا لنفسها .

هذا هو ما نريده من المرأة المصرية الآن . أما الثورة فهي لابد واصلة ، أما التطور العام فهو لابد جار عليها وعلى غيرها من نساء العالم اللائي لازلن على مفترق الطرق يضطربن بين القديم والجديد .

محمد زكي عبد القادر
ليسانسيه في الحقوق

المرأة المصرية
آثرها في تقويم أخلاق الابناء

لم يعم تعليم المرأة في مصر بعد ولم يبلغ الدرجة التي يتطلع اليها كل شعب لبلاده ، ولو أننا في عهد زاهر وفي فجر نهوض بلغت فيه الثقافة النسائية مبلغا لم تصل اليه قبل ، غير أن النسبة بين المتعلمات من المصريات وبين الجاهلات منهن لا تزال واسعة : فالجاهلات لا يزال عددهن أفدح بكثير من عدد المتعلمات ، ولا شك أن لذلك أثره في تربية الابناء في المدرسة الاولى فضلا عما فيه من هبوط في مستوى أسباب الحياة المصرية بأكملها :

وليس يعنيني الآن إلا أن أبين مدى التأثير الذي تحدثه معاملة المرأة لابنائها وخطره الخاص والعام على الشخص وعلى المجموع وعلى الفرد وعلى الامة .

لا يمكن أن تعجب من حسن أو كمال في شخص من الاشخاص إلا وترجع به الى من تعهدته وهو في المهد صبيا ولقنته الاسماء والمسميات ورسمت أمام ناظره الصور والاشكال ، وعلمته الاشارة والحركة ، ترجع اليها فتنسب ما في الشخص من حسن الى عنايتها ، وما فيه من قبح الى اهمالها ، اذا فالمرأة هي مصورة طباع الطفل ومشكلة أخلاقه وصفاته فاليها في حالة الخير يرجع الفضل ، وعليها في حالة الشر تقع التبعة .

من النساء المصريات من ضربن في التعليم بسهم وهن أقدر على تربية الابناء من غيرهن ويدركن معنى تقويم الطفل وتثقيفه ويدركن الخطر الذي ينجم عن تركه واهماله وعدم الالمام بوسائل تهذيبه .

ولكن خذ مثلا تلك التي اذا بكى الطفل ، وكثيرا ما يبكي ، أفهمته أن هناك شيئا اسمه (البعبع) و (العفريت) و (أبو رجل مسلوخة) وغير هؤلاء من أعداء الطفل ومرهبيه ومولدي الرعب في نفسه ومسببي الهلع لقلبه . وبالتكرار يفهم الطفل من أين يأتي الخوف وكيف يخاف وممن يخاف فيشب هيابا وجلا جبانا يكفي أن يرى سائلا في الطريق فترتعد منه الفرائص ويبتعد عنه . وهكذا ! وناهيك بأمة يكون رجالها على مثل هذا الخلق .

ثم اشفاقها عليه وما يجره هذا الاشفاق على الابن من وهن في قوته الخلقية وما يذكيه من تراخ في نشاطه في مختلف الشؤون فهي تمنعه من ركوب الخيل والعدو والترييض والتدريب على الحركات وغير ذلك من رياضة البدن . كل هذا خوفا واشفاقا عليه وهو ضرر وهي قسوة لو تفقه الام . ثم انتقل بنا الى الانجليزية مثلا وانظر الى طفلها الذي يعدو بالجري فوق مرتفعات الاهرام وعند أطلال سقارة والاقصر مشمر الذراع عاري الركبتين في الدفء أوقات البرد غير هياب ولا وجل يتسلق الاشجار والشجيرات ، وهي ترقب عمله فرحة مستبشرة مشجعة ، ثم هي لا تملك أمامه [illegible] فمتى تعنى المرأة المصرية بأبنائها كغيرها من نساء العالم فتنتعش الاخلاق قليلا قليلا

محمد حسني عبد الحميد

بين الصداقة والحب
صورة من صور العواطف النفسية

للاستاذ طه عبد الحميد الوكيل

اذا كان من حب فهو بين الجنسين المختلفين تعود فيه هو الى بقاء النوع .

والحب بين الرجل والمرأة لايعرف تكافؤا مساواة . فالمرأة فيه إما سائدة أو مسودة . [والر]جل فيه إما سيد أو عبد . والحب ضعف [illegible] . وهو اما سطوة أو استسلام . ليس من [illegible] الحب بمقدار واحد . ولا الاطمئنان في [illegible] ولا اقتناع معه — لان بهذا شيء معقول ، [illegible] لايعرف عقلا ولامعقولا . وانما هو عاطفة [illegible] .. زئبق رجراج . أو هو ذلك الترمومتر [illegible] لايثبت على حال واحدة .

[illegible] ليس للحب من دوام الا اذا تمسح في [الص]داقة فتفضلت عليه من جانب ثروتها الباقية [على] الزمن بما يجدده ويحييه .. والحب في حاجة الى مايجدده ويحييه .. وليس من سبيل غير [الص]داقة لاحيائه وتجديده .. فالصداقة الحقة كلها وجود .. وهي ملائكية من صفاتها البقاء [والخ]لود . أما الحب فرب أرضي من صفاته الفناء [و]رب معوز محتاج .. فالحب — حتى حب [illegible] — أن لم يستعن بالصداقة يكون لاخطر ولاقيمة له . فهو — كائنا ما كان — ان لم [تتفضل] عليه الصداقة الخالدة بالصدقات... حياته [illegible] أو هو لحظات .

[و]الصداقة أوسع آفاقا من الحب ، لانها [illegible] على أن تكون بين الجنس الواحد ، [illegible] تتعداه الى أن تكون بين الجنسين المختلفين [illegible] الحب لن يمكن أن يكون إلا بين هذين [illegible] مهما اتخذ له بين الجنس الواحد من شبيه [illegible] الذي يطلع علينا به «مارسل بريفو» .. [illegible] الفتاة لتتعشق الفتاة . فلو انهما امرأتان [illegible] أن تقول بالذكورة في احداها تتغلب [illegible] في الاخرى . أو ترد الانوثة في احداها [illegible] لاذكورة في خديتها المحبوبة . [illegible] فتاتان فهما كالفتيين .. ليس الامر هنا [بالص]داقة ولاهو بالحب . انما هي الا العاطفة الجنسية [illegible] المراهقة ذي المشاعر الغامضة المبهمة . [illegible] الى أن الحب لا يكون الا بين الجنسين [illegible] مهما اتخذ له من مظهر بين الجنس [illegible] فاذا لاح لك هنا شكسبير في أناشيده [illegible] فان لم يكن ذلك الشاب الجميل ابنا لشكسبير [illegible] ينظر للمرأة من وراء ذلك الوجه الجميل [illegible] رمزا لها .. وكذلك وجه ذلك الشاب الجميل [illegible] اسكار وايلد . فالرجل مفطور بطبيعته [illegible] الى المرأة .. فاذا وجدها ألقى عصاه .. [illegible] فهو يتلمسها في النظائر والاشباه .. [illegible] مهما يكن من أمر تلك العاطفة لشكسبير [illegible] العاطفة لدورة بمقدار ماهي عظيمة .. [illegible] هذه العاطفة ذلك الضلال في [illegible] الذي يكون حيث لاتكون المرأة .. ليس [illegible] بالحب ولا هو بالصداقة ، وانما هو [illegible] المراهقة ، أو هو أشبه ببحران من [illegible] اذا كان له من عرض فعلى الرغام .. [illegible] من حياة فهي مواطن الاقدام . [illegible] أن يتحامى لمثل عاطفة شكسبير في سماء [illegible] .. ولتكن حبا هذه العاطفة [illegible] ولتكن أي حب ؟ .. اني لا أرى [illegible] أن أسوق اليك هذه الكلمة عن [illegible] في روايته «الموتى» :

« ان الحب عبقرية كعبقرية الفن والشعر لاتسمو اليها كل طبيعة ولا يستمتع بجمالها كل من يتحدث بها . فكل انسان يحسب أن له حقا في أن يحب . والحب في الحقيقة كالمواهب والجمال والحظ نعمة نادرة لايستمتع بها الا نخبة قليلة ممتازة من الناس ، إلا أن الوهم — لحسن حظ المحرومين — يتسلل هنا لمداراة هذا التفاوت الظالم ، فلا يختم انسان حياته الا وهو يحلم بشبابه ويحن له الحنين والاسى ويزعم لنفسه أنه قد عرف الحب حق عرفانه ، وما كان الذي عرفه الا بحرانا من سورة الشباب » .

نعم لتكن حبا عاطفة شكسبير .. ولكن ليس من قبل هذا الحب ذلك الضلال في المشاعر الذي لاتجد ظاهرة لمثله أنطق من مصر حيث المجتمع الذي تنقصه المرأة ..

الحب هو طالب الكمال .. فالرجل ناقص لايكمل الا بالمرأة ... والمرأة ناقصة لاتكمل الا بالرجل ... والمجتمع الذي تتألق في جوه المرأة هو مجتمع طبيعي يحفز الرجل للكمال ، ويرفع المرأة في نظر الرجل ونظر نفسها ... وما هو بالمقبول ولا حتى بالمعقول أنك تغشى ذلك المنتدى أو المشرب أو دار هذه السينما أو هذا التمثيل فلا تجد فيها من المصريين الا رجالا ليس غير ..

هذا المجتمع بائس .. وهذا المجتمع ناقص .. وهذا المجتمع غير طبيعي .. ثم هذا المجتمع يعشش فيه الفساد ويفرخ ...

العواطف جياشة زاخرة في صدور الشباب فلا بد لها من متنفس .. من هنا يظهر الشباب في غير أزيائه . ويتسمى الشباب بغير أسمائه .. أبعدنا المرأة من مجتمع الرجال كيلا تفسد .. فلم تصلح المرأة وفسد المجتمع .. ان الطبيعة لاتقاوم ..

بيد أنه يغلب ألا تكفي الصداقة بين الرجل والمرأة .. فالمرجع في الصداقة انما هو الى العقل في حين المرأة لاتعرف كيف تحيا الا بالقلب الذي ينعطف بين جنبيها الى الرجل ، أو بالقلب الذي يظللها بين جوانح الرجل كائنة من كانت هذه المرأة ، وكائنا من كان هذا الرجل ... تلاشت الملكة الحصيفة في شجرة الدر حتى لم يبق الا المرأة الولهى بعز الدين أيبك الاتابك ... ولم تقنع الاميرة صبيحة بصداقة محمد بن أبي عامر .. رفعته من غلام يكتب العرائض بين الغوغاء تحت أقدام القصر الى أعلى ذروة في الاندلس .. ثم كم نال منها اليأس حين لم يحفل بها بعد كل هذا وتزوج ابنة قائد المملكة ! ...

وقد رفضت « اللادي هملتون » عشق ملك نابولي ولم تستطع إلا أن تكون متساقة مع اخلاصها الخالق من هم الناس يدعى «جرافل» .. ثم أحبت بعد .. ولكن من ذا الذي أحبته تلك التي لم تكترث لعواطف الملوك ؟! .. انها أحبت « نلسن » اذ كان ضابطا بسيطا ! .. أتحسبه كان جميلا ؟ .. انه كان أعور مهشما مقطوع الذراع !...

ووصف السيد توفيق البكري في صهاريج اللؤلؤ الشاب المتأنق الجميل « بأنه غادة ينقصها الحجاب »

هناك وهناك تجد أضرابا من هذه الغادة .. تحسن التثني وتجيد الرقص ، وتتقن متواضعات الصالون .. [illegible] الثياب .. لاتعدو الزهرة من حياتك [illegible] أن تكون غير ذلك اللهو وفوق هذه التسلية ...

الحب احساس بقوة .. حب المرأة للرجل انما هو احساسها بقوته ..

الحب هو عاطفة استسلام ... تستسلم المرأة بين أحضان النفسية القوية للرجل الذي تحبه ... ولا دخل في هذه القوة لما هو عالق بذهنك من نماذج للجمال تعتقدها بالغة من نفسية المرأة خطأ منك في تقدير الجمال في هذا الموطن للرجل أيها الرجل .. تحيط تلك القوة للرجل بآفاق نفس المرأة جميعا حتى ليس ثمة من منفذ لسواه ولو كان من الملوك الصيد .. فالمرأة تؤثر الرجل الذي تحبه مهما يكن من الدهماء أو الموالي حتى على المتربعين على العروش من الملوك .. رفضت أرينب يد معاوية ابن أبي سفيان وارتمت الى أحضان بطل [illegible] العامة طاقتها منه مروان بن الحكم .. ووزارة جعفر لم تكن بمانعته من أن يعد من الموالي في اعتبار الرشيد بالرغم من أنه لم يكن رشيدا الا به .

كان طبيعيا أن يقنع الرشيد بصداقة جعفر ... ولكن لم يكن طبيعيا أن تقنع العباسة من جعفر بما قنع به منه أخوها الرشيد .. وإنما الطبيعي كان أن تلاشت عقيلة بني هاشم في حب ابن برمك .. وكان هذا لابد كائنا حتى ولو لم يكن للزواج عقد .. فاذا ذكرت هنا وفي أمثال هذا الموطن العصبية والشرائع وقوة الاخلاق فلا تنس الظرف وضعف الانسان وسطوة الحب ..

ولعله يغلب ألا تكون الصداقة بين الرجل والمرأة بنجوة من مخاطر الحب والزلل في مزالقه الا اذا كان كل من الرجل والمرأة موصولا بالحب في ناحية أخرى ..

الحب وليد الطبيعة .. وانك لن يمكن في الحب أن تتجاهل الجنسية .. فلا تسمع لهذه النعوت التي يقولون بها من أنه الافلاطوني أو السماوي ، فهذا هذيان الخياليين من الشعراء والمرائين ..

انه وان يكن صحيحا أن أكثر الناس شعورا بالحب هم أكثرهم شعورا بالصداقة ، الا أني لا أعرف كيف أفهم الحب بتلك النعوت بين الجنسين المختلفين الا على أنه عاطفة الصداقة التي قد تكون بين هذين الجنسين كما قد تكون بين الجنس الواحد ..

أكتب هذا وقد مررت اليوم في السياسة الاسبوعية بمقال عن أناشيد شكسبير للدكتور احمد زكي أبي شادي .. يتكلم الدكتور عن السونيتات فلا بد له من أن يحلل تلك العاطفة التي كانت بين شكسبير وبين من يظن أنه « ايرل سوثامبتون » . والدكتور قد حلل ذلك ولكن في سطرين في ختام المقال أكثر من صفحة ، لا بل الدكتور لم يحلل شيئا ، وانما قال بما قال في ذلك المؤرخون من أن هذه العاطفة — أي الحب بين الرجلين — ليست عاطفة انجليزية ولكنها إغريقية الاصل أساسها مجالس المشارب والمنازع وهي احدى نتائج البعث الادبي — الرينسانس — كما أنها من تأثير المبادئ الافلاطونية ..

أما أنا فأقول حيال ذلك للقارئ بما قاله به اليه الدكتور طه حسين عن الشعر والشعراء من أن القارئ اذا كان قد فهم شيئا فهو الموفق السعيد ..

إن الذي أستطيع أن أحسه وأفهمه وأقول به في صراحة وصدق هو أن الصداقة بين الرجلين لن يمكن أن تكون حبا .. تظل الصداقة كما هي صداقة . أو تتطور في العاطفة النادرة ولكن لا الى الحب ، وانما الى العاطفة التي هي أسمى من الحب ..

ترتقي الصداقة الى منازل العواطف في السموات ولكن في جوها ..

فالصداقة اذا كانت الحب ، تكونه — ولكن منتقصة منه البشرية التي هي عنصر من عناصر الحب .

والصداقة اذا كانت الحب ، تكونه — ولكن وهو ينقصه هذا النقص لايكون حبا ، وانما العاطفة التي هي فوق الحب ..

الصداقة وليدة الاجتماع . والى العقل أبدا مرجع الصداقة .. لذلك هي انتقاء واختيار .. وهي هدوء واستقرار .. وهي عون على تكاليف الحياة .. واتفاق في المشارب .. وعياذ من الوحدة .. وصدر يتلقى شكاتك من المرأة المدللة أو العابثة ..

غير أن الصداقة بهذا المعنى وحده تكون بعيدة من الخطر والقيمة بمقدار بعدها من شعورك .. فيندر أن يحفل الصديق بصديقه في النجدة وماهو في حكمها وكلا الصديقين في هذه الدائرة المحدودة من الصداقة . وانما تكون الصداقة أثمن من أن يكون مثل المال ثمنا لها حين تستحيل فيحسبها الرجل للرجل قوة عنيفة ..

هنا لاتكون الصداقة هي الحب .. وانما تكون العاطفة التي هي أسمى من الحب .. الصداقة هنا عاطفة الرجل للشيء .. أو عاطفة ذلك الشاب الذي هو هذا الرجل ..

تلك هي العاطفة التي يروح معها الرجل متلمسا في اللغة كلمة تؤدي في مداها ومحتواها الاداء ماهو مليء به . والرجل غير واجد هذه الكلمة مهما يكن في اللغة من طول باعه وسعة اطلاعه .. واذا بالرجل يرتمي أخيرا بعد الجهد والاعياء الى كلمة الصداقة ..

ولكن هل كلمة الصداقة مطمئنة الى هذا المكان ؟.. فاذا كان كلا ، فانها ولا كلمة الحب لائقة بهذا المكان !!...

من هنا يروح الرجل يتهيب الصداقة والحب النعوت والصفات ! . فيقول الصداقة الحميمة ، ويقول الحب العف . ولكنه لايلبث أن يلقي بالقلم الى جانب محبرته وهو في قصور عن أن يتناول لغة ينكرها المنطق وعقله ، ولكن يقرها الاحساس وقلبه .

معنى هذا أن الصداقة حين استحالت الى هذه العاطفة ، لم يكن مرجعها الى العقل وخلده ، وانما وقفت بك وجها لوجه أمام المجهول ، كما يقف بك الحب أبدا أمام غير المعقول .

طه عبد الحميد الوكيل

رجال التاريخ الحديث فى مصر

٢٧ — الخديو توفيق باشا

للدكتور هيكل بك

بين اسماعيل وتوفيق — توفيق نصير الحرية ثم نصير الحكومة المطلقة — تداخل فرنسا وانكلترا — مقدمات الثورة العرابية واسبابها

توفيق فى احضان انكلترا — تقرير لورد دفرن — توفيق بعد الثورة — اعتماده المطلق على انكلترا وتركه زمام أمر مصر لها

الخديو توفيق باشا

ثلاثة عشر عاماً تولى فيها توفيق أمر مصر كان خلالها فى زهرة شبابه بين السابعة والعشرين والاربعين. لكنه كان فيها كذلك بين عوامل لا يستطيع مدافعتها أو التغلب عليها الا نابغة محنك. كان فيها بين تركيا الناقمة لضعف سلطانها فى مصر، وانكلترا الطامحة الى بسط نفوذها نهائياً على وادى النيل، وفرنسا المكتئبة لتقلص مكانتها رويداً رويداً من ارض الفراعنة، والامة المصرية المثقلة بديون اسماعيل وظلم حكامها والمتأججة نفوس أهلها بالثورة طمعاً فى الاستقلال والدستور. وهو بين هذه العوامل رجل يشعر بضعة أمومته ويحقد أهله عليه، ويود لو انه كان فى مكانة ابيه بطشاً وسلطاناً، ويخضع للاقدار التى لم تهبه من سعة الذكاء ما وهبت غيره، ولتربيته الشرقية البحتة التى اقتضت أن لا يغادر مصر وأن لا يتصل بالمدنية الاوربية اتصال اخوته، وللظروف التى جعلت تتقاذفه منذ ارتقى عرش أبيه فتصدمه بكل واحد من العوامل المحيطة به، لينتهى به الامر الى أن يكون فى تاريخ مصر صورة غير محبوبة، ولا ممقوتة، صورة مرت فى هذا التاريخ فكان أثرها فيه سلبياً هو أثر العاجز عن أن يقوم لبلاده أو لنفسه بخير. وليودع العالم فى الاربعين من عمره ليلقى بعصا مصر بين يدى ولى عهده الفتى عباس وما يزال فى الثامنة عشرة من عمره.

***

وُلد توفيق باشا فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٢ ثمرة لنزعة هوى من اسماعيل مع احدى جواريه التى لم تنل منه الا حظوة قصيرة ولم تكن له زوجاً. ولم يكن اسماعيل يومئذ وارثاً لعرش سعيد اذ كان أحمد اكبر العائلة ما يزال حياً. لذلك لم يلفت مولد توفيق نظر أحد الا ما كان من زراية أميرات العائلة المالكة لامه. فلما حصل اسماعيل على فرمان وراثة العرش للولد الأكبر انقلبت زراية للام حقداً على الابن. وشارك اسماعيل أهله عدم عطفهم على توفيق وان لم يبلغ ذلك من نفسه مبلغ حقده على حليم باشا وارث عرشه على النظام القديم. وثبت عدم عطفه على توفيق وعدم رعايته اياه فى عزيمته أن يكون عرشه لحسين من بعده. وقد كان يستطيع ذلك اعتماداً على أمومة توفيق أو بالتخلص منه كما كان يفعل ملوك ذلك العصر فى تركيا، لكنه لم يكن يتعجل النظر فى أمر لم يكن فى حسبانه وقوعه قبل زمان طويل. واكتفى بوجود توفيق بمعزل عنه فى قصر له مقتصراً على ادارة أراضيه.

على أن عزلة توفيق وعدم اغداق أبيه أسباب الرضا عليه جعله ينظر الى ما صنع أبوه من استدانة ومن ارهاق للمزارعين والفلاحين ومن بطش بالناس جميعاً نظرة مصرى لا نظرة ولى عهد. لذلك اتصل بطائفة من الناقمين على الحال التى آلت مصر اليها، أمثال السيد جمال الدين الافغانى واللقانى والشيخ محمد عبده ومن كان يلوذ بهم من أمثال عرابى، وانخرط فى سلك الماسونية الذى انخرطوا فيه. فلما اضطر اسماعيل تحت ضغط الدائنين الى أن يعين نوبار باشا رئيساً للوزارة المسئولة الاولى وأن يضم اليه مستر ريفرس ولسن ومسيو دبلنيير الاول وزيراً للمالية والثانى وزيراً للاشغال. ثم لما رأى أن الحال المالية فى البلاد تزداد كل يوم سوءاً برغم ما تنزل عنه من سلطته ومن أملاكه ورأى الشعور العام ضد التدخل الاجنبى يزداد فى البلاد كلها اخلع نوبار من الوزارة واتفق مع فرنسا وانجلترا على تعيين ولى عهده توفيق باشا رئيساً للحكومة. على أن ولى العهد كان يعلم دقة الموقف كما يعلم بنوع خاص تهيج الشعور العام بازاء ما كان يعتزمه السير ريفرس ولسن كعضو فى لجنة التحقيق الدولية من اعلان افلاس مصر. لذلك لم يجد الوزيران الاوربيان فى رئيس الوزارة الجديد مؤيداً قوياً لهما فى أن اعلن وزير المالية تأجيل دفع الفوائد المستحقة للدائنين فى شهر ابريل تقدمت عريضة من العلماء والوجهاء والنواب ورجال الجيش يحتج فيها مقدموها على هذا التصرف ويطلبون الى الخديو أن يلجأ الى نوابه للخروج من المأزق. وعلى ذلك استقالت وزارة توفيق من غير أن تفعل شيئاً. وكلف اسماعيل شريف باشا بتأليف وزارة تكون مسئولة حقيقة أمام برلمان تنظم حقوقه وطرق الانتخاب له بحيث يستطيع أن يقوم بما تقتضيه الاحوال وأن تحقق الامانى القومية.

وكان ذلك هو الانقلاب الحكومى الذى أريد به القضاء على سلطة المراقبين وعلى تدخل الاجانب فى الادارة المصرية، والذى انتهى بتركيا الى عزل اسماعيل باشا فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ والى ارسال برقية فى اليوم نفسه الى توفيق باشا تعلن فيها اسناد منصب الخديوية المصرية الى جنابه ويختتمها وزير تركيا بقوله « والامر والفرمان فى كل حال لمن له الامر أفندم ».

كانت هذه الضربة الحاسمة غير المنتظرة من جانب تركيا منبهة لكل من يعنيهم أمر مصر وكل من لهم مصالح فيها لكى يقفوا على حذر. ومع أن توفيق باشا فوجىء بالخبر وفزع له حتى لقد قابل موظف قصره الذى أبلغه اليه أسوأ مقابلة بأن صفعه فانه شعر من ذلك الحين بأن التركة التى آلت اليه اعباؤها تركة مبهظة مخوفة. تراه ماذا عساه يصنع بازاء أبيه، وبازاء تركيا، وبازاء الدول وتدخلها فى شؤون مصر، وبازاء الامة المصرية المتوثبة للحركة بل للثورة!

أما اسماعيل فأيقن أنه لا مفر له من الانحناء لعاصفة لم يكن يستطيع مواجهتها وان لم ينقطع رجاؤه فى العود يوماً ما الى هذا العرش الذى انتزع منه اغتصاباً. لذلك قابل الصدمة بكل ما يستطيع رجل فى عظمته وفى قوته أن يواجهها به، وأظهر من العطف على ولى عهده ما لم يكن له من قبل به عهد. وفى الايام التى انقضت ما بين تبوء توفيق عرش أبيه وسفر اسماعيل من بلاد عزيزة عليه كانت عواطف الابوة والبنوة بينهما كخير ما يمكن أن تكون فى مثل هذا الظرف العصيب.

اطمأن توفيق إذن من هذه الناحية. ولقد أظهر من عواطف البنوة ما دفعه للتنزل عن عشرين ألف جنيه من مرتباته السنوية لابيه كى تبلغ مرتباته خمسين ألف جنيه. وبالمناسبة رفع مرتبات البيت الخديوى اليه أراد فى نفس الوقت أن يظهر للامة حرصه على مصلحتها ومشاركته إياها فى متاعبها المالية فأمر بالغاء الراتب المعين لوالدته وحرمه وقدرها خمسة وخمسون ألف جنيه.

بعد ارتقاء توفيق العرش جعلت تركيا تفكر فى الاستفادة من الانقلاب بأن تسترد ما كسبته مصر بفرمان سنة ١٨٧٣ الذى جعلها مستقلة استقلالا داخلياً تاماً فيما عدا سك العملة ودفع الجزية، وقد أثار هذا الخبر فى مصر قلقاً غير قليل. على أن فرنسا وانكلترا عارضتا الباب العالى فيما أظهره من عزمه وأنبأتا ممثليهما فى مصر بأنهما ممتنعتان فيما اذا لم يقرر السلطان احكام فرمان سنة ١٨٧٣ فى الفرمان الذى يوجهه الى الخديو توفيق أن تطلبا الاستقلال التام أمر. وقد اختلف فى الاسباب التى دعت تركيا الى هذا التصرف؛ أهى كانت تريد بالفعل الغاء الحقوق والامتيازات التى حصلت عليها مصر أثناء ولاية اسماعيل باشا أم هى كانت تريد [illegible] والتسويف للحصول على مبلغ من المال بدليل أنها قبلت فى ذلك الوقت حوالة على مصر أبت الحكومة المصرية قبولها بسبب ارتباكها المالى. على أن هذا التسويف [illegible] لفرنسا ولانكلترا أن تتدخلا وأن [illegible] الباب العالى [illegible] فرمان تولية الخديو [illegible]

حقوقه وحقوق البلاد التى ولى عرشها ولم يصل الفرمان بتولية الخديو الجديد الا بعد أكثر من شهرين من ارتقائه عرش أبيه. أى فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٩

خلال هذين الشهرين كانت خطة توفيق غامضة ما تزال. فهو حين ارتقى العرش كان فى زمرة الماسون الذين يناصرون الحرية والعدالة. لذلك وجه خطابه الى شريف باشا لتشكيل الوزارة الاولى فى عهده مقدراً للامة معتمداً عليها ذاكراً « انى علم الميل لبلادى شديد الرغبة فى تحقيق آمال الامة التى أظهرت السرور بولايتى عازم عزماً أكيداً على الناس أحسن الوسائل لازالة الاختلال المفسد لكثير من المصالح ... الا أن ادراكى لهذه الغاية التى هى موضوع آمالى يتوقف على مساعدة الامة بجملتها ». وتحقيقاً لهذه السياسة تألفت لجان من الاوربيين غايتها تقديم العرائض الى قناصلهم يلتمسون بها من دولهم منع تدخل الاجانب فى أحوال مصر وقصر النظر فيها على الوطنيين. ثم ان توفيق باشا تحدث فى ذلك الظرف الى مكاتب التيمس فأشار بادىء ذى بدء بأنه لا يبرح مقيد اليد من العمل حتى رد الفرمان بتعيينه لكنه مع ذلك صرح للمكاتب بأنه لا يريد الرجوع الى تعيين وزراء أوربيين بل ينبغى أن تكون الوزارة مصرية وطنية يصح أن يعاونها رجال من الاوربيين فى الادارات على أن يكونوا موظفين مصريين لا أكثر. أما سير ريفرز ولسن ومسيو دبلنيير شخصياً فقد صرح توفيق بأنه يعارض أشد المعارضة فى رجوعهما أياً كانت صفتهما لأن رجوعهما يكون مخالفاً لمصلحة مصر على خط مستقيم: وطالب الخديو الى الدول فى حديثه هذا ان تمهله بضعة أعوام « فنحن فى مقام الامتحان فلا يحسن بأوربا ان تمسك على ولى مصر طريق النجاح ».

وكان من أثر هذه الخطة وتلك التصريحات ان هدأت أعصاب المصريين التى كانت موترة فى الايام الاخيرة من عهد اسماعيل باشا. فعلى الرغم من عزل الحكومة عشرة آلاف من الجند المجتمعين تحت السلاح وانقاص الجيش العامل الى اثنى عشر الفاً وتأخير صرف مرتبات الكثيرين قد أمسك الرجاء بالناس عن أن يلجأوا الى الهياج لكن نيات توفيق باشا الديموقراطية لم تلبث الا أكثر من وصول الفرمان بتثبيته على عرشه. ففى مساء اليوم الذى عاد فيه مندوب السلطان الذى كان يحمل هذا الفرمان قافلا الى تركيا بعد حفلة تلاوته أقيلت وزارة شريف باشا وألف توفيق باشا وزارة تحت رئاسته مباشرة. والحجة التى راجت تبريراً لهذا التصرف انما هى ارادة الخديو تعجيل الاصلاح. أما الحقيقة فعدم رضا توفيق عن ميول شريف باشا الدستورية. ففى الخطاب الذى أرسل به الخديو الى كل من وزرائه اشارة الى معنى قصده العودة الى حكومة الفرد. [illegible] تكليف لكل من النظار ان يحضر اوراق شؤون وزارته ومعه ما تمها عند حضوره الى الجلسة لعرضها. على ان توفيق كان يشعر ان الامة لا يمكن ان ترضى عن هذه الحالة. لذلك بعث بتلغراف الى رياض باشا الذى كان متغيباً ونوبار باشا [illegible] فى أوربا يستقدمه [illegible]

وكان الهدوء شاملاً أنحاء مصر فى هذه الفترة. لكنه كان هدوء تربص وانتظار. ذلك ان المسألة الشائكة التى انتهت بعزل اسماعيل [illegible] تحت البحث منذ أول ولاية توفيق وكانت تؤذن بخير كثير. فعلى الرغم مما أعلنه الخديو [illegible] التيمس من المعارضة فى عودة ولسن ودبلنيير بعد فشل سياستهما المالية فى مصر لم تر الحكومة الفرنسية بعد اتفاقها مع حكومة مصر [illegible] اعادة المراقبين أن يعين أحد غير مسيو دبلنيير. [illegible] الحكومة البريطانية فأشارت بتعيين السير [illegible] (لورد كرومر). وتم تعيين المراقبين فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٩ وباشرا عملهما وانتهيا بتقديم [illegible] الى الخديو فى أواخر عام تعيينهما يقترحان تعيين لجنة تصفية للدين المصرى كله. وبعد [illegible] بين الدول صاحبات الشأن تعينت اللجنة [illegible] برئاسة السير ريفرس ولسن وتعهدت الدول بقبول قراراتها. واذن فقد رأى توفيق [illegible] بازاء حالة كان يراها أول جلوسه على العرش [illegible] لمصلحة مصر على خط مستقيم من غير أن يستطيع لها نقضاً.

وقدمت لجنة التصفية تقريرها فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ فاصدره الخديو فوراً وأطلق عليه قانون التصفية. وعلى موجب هذا القانون [illegible] دين مصر ٩٨٫٧٤٨٫٩٣٠ جنيهاً. وقد روعيت فى هذا القانون، كما روعيت فى كل [illegible] ممثلى الدول الاجنبية، مصالح الدائنين الاجانب على حساب نظام الحكم فى مصر. [illegible] مما كان يعلمه المراقبون وغير المراقبين من [illegible] أكثر من نصف هذا الدين لم يدفع الى مصر لم يفكر أحد فى الزام الدائنين بالتنزل عن شىء من الديون الاسمية التى كانوا يقتضونها من مال المصريين ومن دمائهم. ولما كان تدخل [illegible] مثيراً لعواطف المصريين فى عهد اسماعيل فقد بدأت هذه العواطف تثور من جديد بعد [illegible] التربص وبدأت العاصفة تتكون فى الجو [illegible] بالانفجار عما قريب.

وبدأت نذر الانفجار بما كان من تبرم رجال [illegible] تبرماً سببه امتهان العنصر المصرى فيه [illegible] الاجانب من الاتراك والجراكسة. فلما سرح [illegible] باشا فى أواخر أيامه اثنين وخمسمائة من [illegible] أكثرهم مصريون كان اخوانهم يشعرون بالالم ويخشون أن يصيبهم مثل نصيبهم. على أن [illegible] توفيق الى العرش واستيزاره شريف باشا هدأ [illegible]. فقد ظن الناس أنهم حاصلون على [illegible] خير من شورى النواب القديم تراقب [illegible] وتمنع تدخل الاجانب وتعيد العدل. فلما عين رياض باشا وعين معه فى [illegible] الحربية شركسى قح هو عثمان رفقى بعثت [illegible] ولما تكشفت نيات الخديو [illegible] العدول عن الحكم النيابى بل عن [illegible] نفسه ثم لما بدىء بتنفيذ قانون [illegible] أن حال مصر المالية لم تعد [illegible] ذلك كله كان المدنيون وكان [illegible] فى صدورهم مراجل الحقد [illegible] نيران الثورة.

[illegible] أن يحدث ذلك كله بأعين توفيق [illegible]

هذين الشخصين وغيرهما من الاشخاص والى ترك التدخل الاجنبى يتوغل فى ادارة البلاد. وهذه السياسة المالية التى فشلت على يد ولسن قد انقلبت خير سياسة الحكومة المصرية ليصدر على موجبها قانون التصفية. وهذه الانقلابات قابلها توفيق راضى النفس مطمئناً. على أن لهذا العجيب فى نظرنا تفسيره الواضح: فتوفيق الضعيف قد رأى ما حل بأبيه حين عارض انكلترا وفرنسا فوجب ألا يعارضهما. وانكلترا وفرنسا تريدان هذا النظام فيجب أن يريده، لينتج ذلك كله عن انفجار أو عن ثورة أو عما يمكن أن يتمخض عنه. فليس توفيق الضعيف هو الذى يطالب بالتفكير فى هذا. ويكفيه أن يعتمد فى بقائه فى عرشه على سند الدولتين اللتين استخلصتا له من تركيا فرمان توليته.

وكان يسيراً أن يرى توفيق نذر الانفجار آتية من ناحية رجال الجيش. ذلك بانه فضلا عن تسريح ألوف من الجند ومئات من الضباط فى آخر عهد اسماعيل وبرغم من تسريح عشرة آلاف جندى أول ولايته، فان تنفيذ قانون التصفية أسفر عن عجز الميزانية اللازمة لنفقات الدولة فى سنة ١٨٨١ عجزاً بلغ مقداره ١٦١٠٠٠ جنيه بينما كان متوفراً فى صندوق الدين بعد دفع الفوائد مبلغ ٨١٣٠٠٠ جنيه أنفقت فى استهلاك السندات بدلا من أن يسدد منها ذلك العجز. وقد ترتب على هذا ان بقى كثيرون من الموظفين، ومن بينهم رجال الجيش، لا يتقاضون مرتباتهم. أضف الى هذا ان رفقى باشا ناظر الحربية اصدر لائحة مقتضاها عدم ترقية المصريين الى الدرجات التى يستحقونها. بينما يرقى الجراكسة الى أكثر مما يستحقون. ولما كان للضباط المصريين جماعة سرية بين أعضائها أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى وكانوا قد قدموا لرياض باشا طلبات بالاصلاح منذ شهر مايو سنة ١٨٨١ فلم تنظر الحكومة فيها فقد رأى هؤلاء دفع آلايات الجيش للاحتجاج على تصرفات رفقى باشا وعلى المطالبة بعزله، ورفعت عريضة للخديو متضمنة هذا الاحتجاج.

وكان محمود باشا سامى البارودى وزير الاوقاف فى وزارة رياض على اتصال بهؤلاء الضباط. لذلك تيسر لهم أن علموا بعد احتجاج الجيش أن الحكومة تريد محاكمة الثلاثة الذين ذكرنا أسماءهم وأنها أمرتهم بالذهاب الى قشلاقات قصر النيل فى اول فبراير سنة ١٨٨١ لتقبض عليهم بعد ذلك. فما كادوا يذهبون وما كادت تقبض عليهم ويجردون من رتبهم ويسجنون حتى كانت الآلايات قد حضرت وأنقذتهم من سجنهم بقوة السلاح.

وسار الضباط الثلاثة على رأس الآلايات من قصر النيل الى عابدين. وهناك وقف عرابى بين الجند خطيباً فشكرهم على إخلاصهم له وانقاذهم إياه ثم تقدم الى الخديو يطلب العفو عنه وعن زملائه، وخلع عثمان رفقى من نظارة الحربية، وأردف عبارته هذه بقوله: انهم لا يبرحون الا بقبول طلبتهم. ولما كان توفيق قد رأى كل الاوامر التى أصدرها الى ضباط الجند لا تنفذ ورأى نفسه فى مأزق لا يعرف سبيلا الى النجاة منه سارع الى اجابة طالبى العفو واقال عثمان رفقى من الحربية وعين مكانه صديق الضباط المتظلمين محمود سامى البارودى.

لو ان توفيقاً كانت له سياسة معينة يوم وقع حادث قصر النيل. لكنه كان منتظراً [illegible] والسياسة جميعاً [illegible] الاخير ليس تركيا ولا [illegible] الامة المصرية [illegible] حليم باشا وارث العرش على النظام القديم [illegible] الاستانة يدس [illegible]

يعتمد على الامة أو ينيلها شيئاً من الحقوق التى تشعرها بكيانها. على أن حادث قصر النيل لم يكسب توفيقاً درساً فى وجوب تحديد سياسة يسير عليها لكيلا يكون دائماً معرضاً للتصادم مع القوى المختلفة المحيطة به. فمع شعوره بأن أباه اضطر للاستعانة بالامة ولو استعانة صورية ممثلة فى مجلس شورى النواب فقد ظل حفيظاً على مبدإ الحكومة المطلقة. ثم انه الى جانب هذا كان قد بدأ يتخوف رياضاً لقوته وشدة سلطانه على الرغم من مشاركة رياض إياه فى تأييد النظام المطلق. لذلك بدأت الوزارة تضعف شيئاً فشيئاً على حين بدأ المتمردون من رجال الجيش يزدادون قوة على أثر انتصارهم يوم قصر النيل وينضم اليهم كثيرون من غير العسكريين ويجاهرون جميعاً بضرورة تشكيل مجلس النواب. وكان سامى البارودى من أصحاب هذا الرأى ومن أقوى المحركين لعرابى ومن معه، بل كان هو روح الحركة ومحورها.

وبرغم ضعف الوزارة وشعور الخديو بمعارضة عنصر قوى فى البلاد لها فانه أراد أن يقاوم هذه المعارضة بالشدة. لذلك عمد الى عزل سامى البارودى من وزارة الحربية والى تعيين صهره داود باشا يكن مكانه. وأراد داود باشا قمع الحركة فأمر بمنع اجتماع الضباط وبث عليهم الارصاد والعيون. ولما عاد الخديو من الاسكندرية أمر الوزير الجديد باجراء تنقلات بين الآلايات شعر معها عرابى وأصحابه بأن المراد تشتيتهم للتنكيل بهم بعد ذلك فرفضوا تنفيذ الامر وأبلغوا الخديو بأن الجيش سيحضر بتمامه الى عابدين لابداء اقتراحات تتعلق بنظام الحكم فى البلاد وبشؤون الجيش وتحسين حاله.

ترى ماذا يفعل توفيق بازاء هذه الحركة وهى حركة تمرد عسكرى صريح؟ أتراه يترك الامر لوزارته فيصرح أن عليها حفظ النظام والأمن؟ أتراه يدعو اليه كبار رجال الدولة وأعيانها فى مجلس عام لينظر فى الامر؟ أتراه يأمر بتجريد المتمردين من رتبهم والقائهم لكيلا يكون لوزارته ولا لغيرها من رجال البلاد عليه فضل ويقف صلباً ينتظر النتائج كائنة ما تكون؟ كلا! فهذه كلها حلول تحتاج الى عزيمة والى قوة جنان والى شعور بالمسئولية واستعداد لمجابهة الخطر وجهاً لوجه. وتوفيق الضعيف لا يملك شيئاً من هذا، لذلك عمد الى وسيلة عجيبة لا يعمد اليها سياسى: أخذ وزراءه وتوجه بهم الى حيث معسكر الآلايات المتمردة يحقق معهم ويستعطفهم. ثم ذهب بنفسه الى القلعة حيث آلاى عرابى ليرجوه أن لا يفعل ما اعتزم فعله. لكنه وجد عرابى قد سبقه الى عابدين فعاد هو الآخر ادراجه اليها.

وهناك فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ قام عرابى على رأس الجيش ممتطياً جواده مستلاً سيفه ووقف توفيق فى شرفة عابدين يحيط به وزراؤه وقناصل الدول.

وأمر توفيق أحمد عرابى بغمد سيفه وتقدم بمطالبه، وهى اسقاط الوزارة، وتشكيل مجلس النواب، وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام. وربما كان التصديق على قانون العسكرية أهم مطالب الجند. وربما اكتفوا به لو ان الخديو أجابهم فوراً اليه وأمرهم بالانصراف [illegible] فيما عدا ذلك من المطالب. لكن الخديو اضطرب لساعته ورفض طلبات [illegible] حتى المناداة بعزله واعلان الجمهورية فى مصر على نحو ما كان يدور برأس عرابى وأصحابه. لكن وزراءه وقناصل الدول أشاروا على الخديو بالرد الى داخل السراى خشية أن [illegible]

وقناصل انجلترا والنمسا رسلا بين الخديو وعرابى. وتصلب عرابى التصلب كله وأشار بعض الحاضرين على الخديو ومن بينهم مستر كلفن أن يتشبث بالرفض مؤكدين انه لن يصل رجال الجيش الى أكثر من المظاهرة التى قاموا بها. لكن الخديو أوصله ضعفه وعدم احتياطه الى التسليم وسقطت وزارة رياض لساعتها ووعد الخديو بتنفيذ باقى المطالب بالتدريج، ودعا اليه شريف باشا كى يشكل الوزارة الجديدة ورفض شريف بسبب ما أمامه من المصاعب وأخصها تمرد الجيش وعدم طاعته الاوامر. فلما أظهر عرابى استعداده ورجاله للامتثال وللطاعة، ولما جاء عمد البلاد فكفلوا عرابى فيما قاله، ثم لما استشار شريف حكومة تركيا وحكومات انجلترا وفرنسا وكفل معاونتهم جميعاً، بعد كل هذا شكل الوزارة وأمر الضباط الثلاثة بأن يتفرقوا فى أنحاء مختلفة من القطر وبعث بعرابى الى رأس الوادى وباشر الحكم فى حزم وأناة كانت البلاد يومئذ بحاجة أشد الحاجة اليهما.

وآنس توفيق نفسه فى عزلة بعد ما أذعن الى الاستعانة بشريف الذى كان قد أقصاه عن الحكم يوم طمع فى الحكم المطلق على أثر وصول الفرمان بتثبيته فى عرشه. وأحسبه هذه المرة كان يود أن تطول عزلته وأن تظل الحكومة عاملة والامن مستتباً وأن تجرى الاشياء فى نصابها فلا تزعجه العسكرية ولا غير العسكرية مرة أخرى. لكنه لم يلبث الا قليلا حتى علم ان الباب العالى أرسل وفداً برياسة على نظامى باشا. ترى ماهى مهمة الوفد؟ الخديو لا يعلم، وفرنسا وانجلترا لا تعلمان، والوزارة العثمانية نفسها لا تعلم، لقد أرسله أمير المؤمنين بارادة شاهانية، فماذا عسى أن تكون هذه الارادة؟ ونزل الوفد مصر فى ٦ اكتوبر سنة ١٨٨١ بعد ما احتجت انجلترا وفرنسا على تركيا لارسالها اياه من غير اتفاق معهما ولا مجرد اخطارهما. وجاء الوفد واحتفل الخديو به وأقام بمصر سبعة عشر يوماً وعاد ادراجه، وكان كل ما فعل ان أكد للخديو ثقة المتبوع الاعظم به وان أكد للجيش المصرى فى حديث دار بين نظامى باشا وطلبة عضمت بجمع من الجند أن حكومة الباب العالى لا تلوم الجند على مافعلوا وأنها ترى مصر فى طمأنينة وسكينة.

بازاء تصرف الوفد شعر توفيق كأن الدسائس التى كانت تحاك له خيوطها على ضفاف البسفور بمعرفة حليم باشا تعاونه الاميرات قد آتت ثمراتها، وأنه لولا تأييد انكلترا وفرنسا إياه لكان معرضاً لمثل ما تعرض له أبوه من قبل. ومن يدرى؟ فقد يكون حليم باشا قبل ان تسترد تركيا فى فرمان توليته ما شاءت أن تسترده من الحقوق المكتسبة لمصر. فليزدد توفيق إذن اعتماداً على فرنسا وعلى انكلترا، وليخش فى نفس الوقت تدخلهما، وليضطرب لذلك بين مختلف العوامل، وليترك وزارته تجاهد وحدها للخلاص من حرج الموقف.

ودعت الوزارة لانتخاب مجلس شورى النواب كى تعرض عليه القانون النظامى لمجلس النواب، وافتتحه توفيق بخطاب عرش القى فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ ورأس عليه سلطان باشا رئيس المجلس، وعرضت الوزارة القانون النظامى، فاختلف المجلس معها فى أمر نظر الميزانية، [illegible] أن الحكومة كانت ترى احترام الاتفاقات التى تمت بين الحكومة المصرية والدول الاجنبية أن يكون الأمر الاخير فى المراقبة [illegible]

التوفيق بين الرأيين، فكان ذلك سببا فى استقالة وزارة شريف باشا بتاريخ ٤ فبراير سنة ١٨٨٢ وحلول وزارة محمود باشا سامى البارودى محلها مع تعيين عرابى باشا وزيرا للحربية فيها .

وفى أثناء قيام الخلاف بين وزارة شريف باشا ومجلس شورى النواب أرسلت الحكومتان الفرنسية والانكليزية مذكرة مشتركة الى الخديو توفيق باشا تؤيدانه فيها فى الخديوية وفقا للفرمانات وتعدان بمكينة ومرّ ما يعنيهما لمصلحة رعاياها وتعلنان استعدادهما لدفع ما يطرأ على الحكومة الخديوية من الاخطار . وكان منتظرا أن تحدث هذه المذكرة من الاثر ما يضعف تمرد المتمردين . على أن تركيا احتجت على الدولتين لتخطيهما اياها ومخاطبتهما الخديو مباشرة كما علم العرابيون أن انكلترا أبلغت فرنسا أنها برغم هذه المذكرة تعتبر نفسها حرة فى الخطة التى تتخذها تنفيذا لمقاصدها . وقوى ذلك من ساعدهم وجعلهم أقل اكتراثا بالحوادث وتقديرا لنتائجها. والواقع أن فكرة الثورة التى بدأها الجيش كانت قد انتشرت فى أنحاء البلاد جميعا وأن منع تيار هذه الروح كان قد أصبح متعذرا، وخاصة مع وجود رئيس للدولة ضعيف ضعف توفيق .

واستمر مجلس النواب ينعقد الى ٢٦ مارس سنة ١٨٨٢ حين صدر الامر بانتهاء دوره العادى .

وفى أعقاب انفضاض المجلس نظر عرابى الى ما حوله متوجسا خيفة مما يدبر خصومه له . ولم تك إلا أيام حتى صدرت أوامر الحكومة بالقبض على عشرات الجراكسة ومن بينهم عثمان باشا رفقى تهمة ائتمارهم به وبزملائه وبالنظام الذى أقاموه ومحاكمتهم أمام مجلس حربى والحكم عليهم بالنفى الى أقاصى السودان . وكان عرابى ومن معه مقتنعين بأن الخديو هو المحرض على هذه المؤامرة . وزادهم اقتناعا رفض الخديو التصديق على حكم المجلس الحربى . وعلى ذلك استعر الخلاف بين الخديو والوزارة : يصر الوزراء على تنفيذ حكم المجلس ويعترضه رئيس الدولة . وأدى ذلك الى تخوف فرنسا وانكلترا على الرعايا الاجانب فى مصر فقرروا ارسال بوارج الى المياه المصرية للمحافظة على حياتهم ومصالحهم. وأعلنت فرنسا وانكلترا جميعا حرصهما على تأييد الخديو فى مركزه . وفى ذلك اشارة الى ما كانتا تتوقعانه من وصول عرابى وأصحابه الى استصدار قرار من النواب بعزله .

ولما اشتد الخلاف بين الوزارة والخديو دعت الوزارة الهيئة النيابية للاجتماع وتوسط سلطان باشا رئيس المجلس وجماعة من كبار النواب معه يريدون الوصول الى حل لهذا الخلاف. وكان من الحلول التى قبلها الخديو أن يقال سامى البارودى من رياسة الوزارة وأن يحل محله مصطفى باشا فهمى. لكن مصطفى باشا أبى . وبينما هذه المحادثات دائرة بين النواب والخديو والوزارة كانت البوارج الانكليزية والفرنسوية قد وصلت الى المياه المصرية وأعقبتها الدولتان ببلاغ وجهه قنصلاهما فى ٢٥ مايو الى الخديو يطالبان فيه بسقوط الوزارة تماما وخروج عرابى من القطر المصرى مع ضمان الدولتين رتبه ومرتباته ونياشينه واقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الارياف واصدار الخديو بعد ذلك عفوا عاما عن جميع من كانت لهم يد فى المسألة .

وأبلغ الخديو وزراءه هذا الانذار فرفضوه بحجة أن ليس للدول شأن فى مخابرة مصر الا عن طريق الاستانة . على ان الخديو أظهر رضاءه عن الانذار فاستقالت الوزارة محتجة وقبل الخديو استقالتها وكلف شريف باشا لتشكيل وزارة جديدة . لكن شريف باشا رأى الموقف لا يطاق فاعتذر كما اعتذر عمر باشا لطفى . وفى هذه الاثناء أوفد الباب العالى درويش باشا معتمدا سلطانيا لينظر فى الخلاف بين الخديوى ووزرائه بل والعرابيين جميعا ، فان هؤلاء كانوا قد انتهوا الى ضرورة خلع الخديو وتولية البرنس حليم مكانه . وكانوا يطمعون فى نجاح هذه السياسة لعلمهم أن تركيا تؤيدها .

وفى انتظار حل المشاكل وتعيين وزارة جديدة وطنية تفاقم الخطب واضطرب حبل الامن فاضطر الخديوى الى أن يعين عرابى وحده ناظرا للحربية ليتولى أمر الامن فى البلاد .

ولم يشعر الخديو من جانب المعتمد السلطانى بما يدل على استعداد تركيا اذا اقتضت الحال للتدخل المسلح ولا تأييده فى مركزه برغم العرابيين. لذلك قبل الموقف كما هو وعين وزارة اسماعيل راغب باشا على أن يظل عرابى وزيرا للحربية . وظل توفيق ووزراؤه فى العاصمة وظلت أساطيل الدول فى مياه الاسكندرية وظل الناس يتحدثون فيما يمكن أن تؤول اليه الامور فى زمن قريب . وكان أعجب المواقف يومئذ موقف تركيا، فقد اقترحت انكلترا وفرنسا أن ينعقد بالاستانة مؤتمر دولى للنظر فى حالة مصر واقرارها على صورة من الصور . لكن تركيا رفضت رفضا باتا بدعوى أن الحال فى مصر عادية وان النظام القائم لاخوف عليه . وفيما الحديث بين الدول فى أمر المؤتمر وانعقاده دائر وقعت فتنة الاسكندرية فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ .

وليس يسيرا معرفة الاسباب الحقيقية التى أدت الى هذه الفتنة : أهى كانت حركة جزئية نتيجة تكدس هذا الثغر بالسكان وتزايد الوافدين عليه بسبب الحال غير الطبيعية التى نشأت عن وجود البوارج فى مياهه ، أم هى كانت بتدبير سابق من عرابى وأنصاره كما يزعم بعض الكتاب الانكليز مؤيدين زعمهم بأن الحكومة تباطأت فى قمع الذين أثاروا الفتنة وبكثرة عدد قتلى الاجانب على قتلى المصريين زيادة محسوسة ؟ أم هى كانت على العكس من ذلك مدبرة من جانب الانكليز على ما يذهب اليه عرابى وانصاره مؤيدين رأيهم بان أمير الاسطول الانكليزى كان مأمورا بالمحافظة على أرواح الرعايا البريطانيين ومصالحهم على خلاف أمير الاسطول الفرنسى الذى كان مكلفا بالمظاهرة البحرية لتأييد سلطة الخديوى. على انه مهما يكن من هذه الفروض فقد وقعت مذابح ١١ يونيو وحكومة الخديو بالقاهرة ، فخف توفيق وعرابى والوزراء فى اليوم نفسه وعقدوا مجلسا عسكريا لتحقيق أسباب الفتنة وجعلوا على رأسه عمر باشا لطفى محافظ الاسكندرية الذى اتهمه الانكليز بالتهاون فى قمعها وبلغوا من اتهامه أن انسحب المحامى الانكليزى الذى حضر تحقيق المجلس العسكرى بأمر القنصلية البريطانية .

وبقى الخديو وحكومته بالاسكندرية يريدون إعادة الامن الى نصابه . وكان توفيق يومئذ فى مركز لا يحسد عليه : فهو لم يكن يأمن جانب تركيا، وكان يعتقد اعتقادا جازما أنها تعارضه وتؤيد المتمردين عليه رجاء الوصول يوما من الايام الى خلعه واقامة حليم باشا مكانه ، وهو لم يكن يأمن العرابيين لما كان يعتقده من بغضهم إياه واتفاقهم مع السياسة التركية فى التخلص منه ، وهو مع اعتماده على تأييد فرنسا وانكلترا كان يخشى أن لا يتخطى أمرهما التأييد المعنوى فاذا فوجئ بالامر الواقع من عزله لم يقوما بعمل لتثبيته فى عرشه . ثم هو لم يكن يثق حتى بالجراكسة من وزرائه [illegible] بالقوة المصرية [illegible] على كل شىء فى البلاد وتسلمه

وتجسم الشعور بهذه القوة القومية فى رأس عرابى وأعوانه حتى دفعهم الى تقوية حصون الاسكندرية استعدادا لدفع الغارة البحرية عليها . ومع أن الدول كانت قد تخطت معارضة تركيا فى عقد مؤتمر الاستانة لحل المسألة المصرية وانعقد المؤتمر فى العاصمة التركية فعلا برئاسة لورد دفرين سفير انكلترا لدى الباب العالى وكان طبيعيا أن يكف الجميع عن تعقيد المسائل فى مصر حتى يصدر المؤتمر قراره فان تحصين قلاع الاسكندرية استمر، كما ان الاميرال سيمور الانكليزى أبلغ الخديو بأنه مضطر اذا لم تقف التحصينات الى ضرب قلاع الاسكندرية بالمدافع . وعلى الرغم من احتجاج ممثلى الدول على بلاغ الاميرال ومن إنكار طابية [illegible] الاستمرار فى التحصينات ومن أن تسوية المسألة كانت ممكنة لو أن فرنسا شاركت فى الضغط المعنوى على الحكومة المصرية كى تنتظر قرار مؤتمر الاستانة فان الاميرال سيمور أصر على قراره وقررت وزارة فريسينيه انسحاب الاسطول الفرنسى الى بور سعيد .

ماذا يفعل توفيق ومقامه بسراى رأس التين يجعله معرضا لقنابل مدافع البوارج ؟ لقد طلب اليه المستر كلفن أن ينتقل الى بارجة أمير البحر الانكليزى لان غرض الاسطول الانكليزى تأييد ملكه . لكن توفيقا كان يعلم أن التجاءه وهو أمير هذه البلاد التى تطلق النار عليها الى أساطيل مهاجميها يعرضه لعزل تنفرد إنكلترا بالاعتراض عليه بينما تشترك فرنسا والدول الاخر مع تركيا فى تأييده لما كان لفرنسا من ضلع ظاهر مع العرابيين لاقامة حليم باشا. لذلك رأى الاستسلام للمقادير وقال للمستر كلفن كلاما مؤداه :

« إنى لا أبرح مكانى ولو وقعت الواقعة وأطلقت المدافع على الاسكندرية، فان لى من رعيتى قوما أمناء لم يخونونى بل خدمونى بأمانة وصداقة فلا يصح أن أتركهم أوان الشدة لانجو بنفسى، ولا يليق بى كذلك أن أترك البلاد فى وقت الحرب، فان فى ذلك عارا عظيما » واكتفى بالانتقال هو ودرويش باشا الى قصر الرمل بعيدا عن مرمى المدافع .

وفى صباح ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ أطلقت البوارج الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية فجاوبت الحصون باطلاق مدافعها . على أن الموقعة لم تدم لاكثر من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر إذ صمتت نيران الحصون ودك بعضها دكا وشعر العرابيون بأن ما توهموه من قوتهم على مقاومة البوارج الانكليزية لم يكن إلا وهما. على أن ذلك لم يفت فى عضدهم ولم يوهن من عزيمتهم إذ اعتقدوا أنهم يستطيعون أن يعسكروا فى كفر الدوار ليعودوا بعد زمن الى مهاجمة الاسكندرية . وعلى ذلك قرر عرابى ومن معه الانسحاب من الثغر بعد أن أيقنوا من أن الخديو الذى رفض الالتجاء الى بوارج الانكليز قد سر لانتصارهم وأنه لذلك قد صار خصما ظاهرا للثائرين عليهم. وفيما كانت المدينة تحترق بفعل الجماهير الثائرة والعساكر المقيمة مع عرابى عاد الخديو من سراى الرمل حيث كان سجينا تحت أمر رجال عرابى الى سراى رأس التين حيث استقبله الجند الانكليز على بابها وحيث استقبله الاميرال سيمور وعدد من رجاله داخلها .

وكان فى الوقت متسع ما زال لاخماد الفتنة فى مصر لو أن تركيا لم تكن متأثرة بسياسة فرنسا حريصة على تأييد الثائرين . فقد طلب اليها لورد دفرين بناء على تعليمات حكومته أن تعلن أن عرابى عاص وتؤيد سلطة الخديوى واستعدادها لارسال قوة لقمع العصيان واعادة النظام . لكن تركيا أبت أن تخطو هذه الخطوة . وطلبت انكلترا الى فرنسا أن تشترك معها فى الدفاع عن قناة السويس، فأعلن الساسة الفرنسيون أن قنال السويس تأمن أن يهدده مهدد. واتفق أن عرابى ومن معه لم يفكر أحد منهم فى تحصين ناحية القنال اعتمادا منهم على حيدته وعلى تأكيد المسيو دلسبس بأن أية قوة محاربة لن تستطيع خرق حياده . ورأت انكلترا بازاء ذلك كله أن الفرصة سانحة لان تخطو خطوة جديدة فى وادى النيل بعد خطوتها الاولى التى أتمها دزرائيلى فى سنة ١٨٧٥ بمشترى اسهم القناة التى كانت مملوكة لاسماعيل فقررت التدخل المسلح منفردة. ولم تعبأ بحيدة القناة بل ذهبت أساطيلها المقلة للجيش الذاهب الى مصر قاصدة بورسعيد والاسماعيلية فاحتلتها من غير أية مقاومة ولا أى احتجاج وعسكرت القوة الانكليزية يوم ٢٢ أغسطس فى الاسماعيلية. وفى هذا الظرف وبعد فوات الفرصة أعلنت تركيا عصيان عرابى وأيدت توفيقا فى عرشه . لكن توفيقا كان قد انضم الى السياسة الانكليزية وعزل عرابى من نظارة الحربية واعتبره ثائرا ، وقامت فى مصر اذ ذاك حكومتان ؟ حكومة توفيق يؤيدها فريق من المصريين وتؤيدها انكلترا، وحكومة الثورة تخضع لها البلاد كلها. لكن هذه الحكومة الثانية لم يطل أمرها أن انهزم عرابى وجنده فى موقعة التل الكبير يوم ١٣ سبتمبر وأن دخل الانكليز القاهرة فى الخامس عشر من هذا الشهر نفسه .

وعاد توفيق الى عاصمة ملكه فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ يصحبه الدوق أوف كنوت والجنرال ولسلى والسير ادورد مالت. وكان توفيق يظن أن انكلترا [illegible] على الفور تأييد مركزه [illegible] للحكم وتولى أمور البلاد على ما يجيز الفرمانات. ولعله لم يخطر بباله أن انتصار انكلترا فى التل الكبير ودخول الجيوش الانكليزية الى عاصمة ملكه قد قدر له أن يكون معناه القضاء على سلطته بنقلها من يده الى يد هؤلاء الذين ثبتوه فى عرشه. ولعله لم يخطر بباله أن عوده الى مقر سلطانه محاطا بالامير والقائد وبقنصل انكلترا سينتهى لا ريب الى أن تكون الحوادث [illegible] ما خبأ القدر لتوفيق من نشاط . [illegible] إذا كان عرابى سيحاكم وسينفى الى سيلان فان ولى عرش مصر لن يكون أعظم من عرابى سلطانا برغم مقامه فى قصوره وسط عاصمة ملكه .

فبرغم تبليغ اللورد دوفرين الباب العالى عقب التل الكبير أن الحكومة البريطانية تفكر فى سحب جنودها من مصر مادام النظام قد استقر فيها فان حكومة جلالة الملكة رأت بعد انتصارها على الفور أن يكون مصير الثوار بيدها لا بيد حكومة الخديو . أليست هى التى تغلبت عليهم وقهرتهم. واذا كان الخديو وأنصاره [illegible] طبيعيا أن يقضى على عرابى وكل من معه بالاعدام جزاء فشلهم فى ثورتهم فان انكلترا تنظر للامر نظرة أخرى . ولذلك أبلغ القنصل الانكليزى الخديو أن لا يتصرف فى أمر الثائرين قبل حضور اللورد دوفرين الى مصر، وكانت حكومته قد أبلغته « لينصح الى حكومة الخديو بالوسائل الواجب اتباعها لاعادة سلطة سموه » . وكان أول ما عمله لورد دوفرين أن طلب الافراج عن المئات الذين اكتظت بهم السجون بغير أن [illegible] ثم عرابى وطلبه ومحمود سامى ومحمود فهمى [illegible] ومن أن القوانين التركية للمجالس العسكرية لم تكن تبيح حضور محام عن المتهمين فقد [illegible] الانكليز [illegible] صدور الحكم بالاعدام استبدل [illegible]

[illegible] لم يحترم — بالنفى المؤبد .

وكان لابد لانسحاب الجنود الانكليزية من أن تطمئن انكلترا الى انتظام الجيش المصرى انتظاما تطمئن معه الى عدم تهديد الامن مرة أخرى، وأن تطمئن الى شىء آخر هو أن لاتتعرض مصر لغزو دولة أخرى إياها غزوا يعرض قناة السويس الى الخطر . وغير مرة أعلنت انكلترا استعدادها للجلاء عن مصر وسحب جنودها [illegible] اطمأنت الى هذه الغايات . وهذه [illegible] وأربعون سنة مضت منذ الاحتلال [illegible] الحكومة البريطانية — على الاقل — [illegible] يطمئنها على أن لا تغزو مصر دولة أخرى [illegible] أن تتعرض قناة السويس الدولية للخطر .

على أنها رأت فى ذلك التاريخ وبعد مشورة اللورد دوفرين أن تنظيم الحكم فى البلاد على قاعدة [illegible] هو أقرب الوسائل لتحقيق الاغراض التى [illegible] تتحقق لتجلو عن وادى النيل . فأمرت، [illegible] الله ، فنصحت أن يلغى توفيق قانون [illegible] النواب ويستبدل به قانون مجلس الشورى [illegible] الجمعية العمومية وأخذت بيدها مقاليد مالية [illegible] البلاد ونحت فرنسا قدر المستطاع عنها ودعت [illegible] عقد مؤتمر لاستبدال نظام التصفية بنظام [illegible]، وجعلت تتغلغل فى شؤون الحكم شيئا [illegible] النواحى وضعت يدها على كل شىء وعلى توفيق [illegible] ما وضعت يدها عليه .

وسر توفيق بهذه الحال الجديدة واطمأن [illegible] الاطمئنان لها . بل لقد بلغ من اخلاصه [illegible] انكلترا أن كان لا يكتم على ممثلها سرا من [illegible] وزارته . روى أحد الذين حضروا ذلك [illegible] أن رياض باشا اتفق مع زملائه مرة على أن [illegible] المجلس وزارة لا يحضره المراقب الانكليزى [illegible] أرادوا النظر فى شؤون تعنى مصر وحدها، [illegible] رئيس الوزارة توفيق هذا الخبر ثم لم يكن [illegible] من دهشة رياض حين نبهه قنصل انكلترا الى أنه كان يعتقد فيه الصراحة، وروى له [illegible] هو الخديو من قبل .

ولم يكن يدور بخاطر توفيق شىء من أمر [illegible] الجنود البريطانية من مصر رغم الحاح [illegible] الفرنسية فيه بعد اذ رأت نفوذها فى [illegible] النيل يتقلص . وكيف تريد توفيقا أن [illegible] السياسة الفرنسوية وقد كانت منضمة [illegible] ضده فى ظروف كثيرة، وكانت تعطف [illegible] فكرة تعيين حليم باشا فى منصب الخديوية . [illegible] فاصطنع الانكليز لتنظيم أمر البلاد [illegible]، ليقرروا ثلاثة ملايين من الجنيهات [illegible] أصابهم ضرر من جراء فتنة [illegible] . وليوطدوا نظام الحكم الذى [illegible] فى مصر، وليوفدوا الى السودان ما [illegible] الجيوش لقمع ثورة المهدى، وليقرروا [illegible] من السودان واخلاءه. فيأبى رئيس [illegible] شريف باشا ويقبل نوبار الوزارة والانسحاب [illegible] مصر باشاوات وليغيبوا من الوزراء من [illegible] لهم فضل تثبيته على عرشه [illegible] الا الخلص المخلصين.

[illegible] كتبه لورد كرومر عن توفيق [illegible] لنا مبلغ اطمئنان توفيق [illegible] حالة الاحتلال الانكليزى. قال [illegible]

[illegible] أصدقاء توفيق [illegible] أو خديويا مثلا . فالواقع [illegible] من العظمة شىء . ولقد كان [illegible]

بينه وبين رعاياه المسلمين وكانت لذلك عاملا سياسيا له بعض الخطر . وكان بالقياس الى من حوله مستقيما وفيا . وكان كأكثر أهل بلاده يخاف المسؤولية ويجتهد ما استطاع ليلقى كل ما يقدر على القائه منها على أكتاف الآخرين . فكان يشكو من كثرة عدد الاوربيين فى الحكومة المصرية فاذا قصد اليه أوربى يلتمس منصبا أجابه بأنه يكون سعيدا لاجابة الطلب ولكن سلطة بريطانية تمنعه من السير على ما يمليه عليه قلبه . وكان عديم النشاط يعوزه الابتكار، ولكنه كان اذا اضطر الى أن يقر قرارا أبدى فى غير قليل من الاحيان ما يدل على الكرامة وحسن التقدير وبعد النظر. وكان طيب القلب حتى يكاد فى بعض الاحايين يبدى من الاعتراف بالجميل عما قدم اليه من خدمة ما يندر أن يكون من صفات حاكم شرقى . وكان يظهر أعمق المقت لكل أنواع التحكم والارهاق والقسوة . ولم يكن أبدا مسؤولا شخصيا عن عمل من هذه الاعمال، وان كان تباطؤه واهماله قد أتاح ارتكاب كثير من الظلامات باسمه . ولم يكن متعلما تعليما عاليا . وقل أن قرأ كتابا . ولكنه كان يطلع على الصحف ويتحدث مع رجال من كل طراز ومكانة وكان متوسطا فى ادراك الحوادث التى تلقى إليه وفى تتبع المناقشة التى تحدث أمامه . أما من حيث حدة الذكاء فربما كان فوق متوسط أهل بلاده « واذا لم يكن عظيما فى الرجال فهو لم يكن خديويا مثلا . فلو أنه كان رجلا قوى الارادة سامى الخلق حاد الذكاء لوضع نفسه على رأس حركة الاصلاح فى مصر ، واظهرت سلطته ولما توقد غيرة من الانكليز الذين كانوا موظفين فى حكومته. على أنه مع ذلك كانت له الفضيلة السلبية انه لم يكن ملوثا برذائل الحاكم الشرقى. وهو اذا لم يكن قد قام بالفعل بشىء فى حركة الاصلاح فكفاه أنه كان مغتبطا لقيام آخرين بدله بهذه الحركة . وهو اذا لم يكن قد ساق غيره فى سبيل الخير فكفاه انه تبع الغير فى هذا السبيل. « واسهد انى أقتنعت برأيه فى احيان اكثر من التى أقتنع هو فيها برأيى عند وجود خلاف بيننا »

وهذا الحكم يبين للقارىء السبب فى أنا لم نقف بعد حوادث الثورة العرابية عند شىء من حياة توفيق ، فقد كانت حياة عادية لا تتخللها الحوادث لانه لم يكن له فى الحوادث يد ولا تصريف ، وبقى كذلك الى أن توفى فى سنة ١٨٩٢ غير محمود ولا مذموم.

* * *

والآن فهل على توفيق تبعة فى الحوادث الجسام التى حدثت أول أيام حكمه والتى أدت بمصر الى موقفها الحاضر؟ هذا ما لا يصعب الجواب عليه. فعلى توفيق التبعة اذا كانت على إنسان تبعة ضعف نفسه واضطرابه بين قوى لا سلطان له عليها . إنما التبعة أكبر التبعة على الحوادث التى أحاطت بتوفيق فكان لضعفه لا يملك تحويرها بما يتفق ومصلحة بلده . إنما التبعة على تركيا ، وعلى فرنسا وعلى انكلترا ، وعلى عرابى ، وماذا يستطيع ضعيف قصير النظر كتوفيق أن يصنع بين هذه القوى جميعا إلا أن يترك نفسه يتقاذفه موج الحوادث ليصل بملكه وبلاده الى ما وصلا اليه

محمد حسين هيكل

القدس

لمراسل السياسة الاسبوعية الخاص

القدس فى ١٤ فبراير سنة ١٩٢٨

اجماع البلاد على المطالبة بمجلس نيابى

عقدت الاجتماعات فى كل المدن الفلسطينية وتصافح المتخاصمون ، وانتخبت كل مدينة ممثلين وسيعين يوم لعقد مؤتمر وطنى عام فى القدس ينتخب لجنة تنفيذية ممثلة للشعب ، لمطالبة الحكومة بتشكيل مجلس نيابى يشرف على ادارة البلاد. وقد كان قانون ضريبة الاملاك فى المدن الذى صدر مؤخرا أكبر موقظ لذهنية القوم اذ لمس فيه الشعب استنزافا لثروة البلاد وأدركت الامة ان انفراد الحكومة فى التشريع والادارة سيؤدى الى ضياع حقوقها المقدسة ولذلك فقد صحت العزائم على ان تتمتع البلاد بقسطها من الحق والواجب فى جو سياسة ايجابية رزينة حقق الله الآمال

مظاهرة سياسية

فى الساعة التاسعة من صباح الامس سار موكب من عمال اليهود يقدر عددهم بمائة وخمسين شخصا فى شارع يافا فى القدس ،وقد فرقهم البوليس بالقوة أمام بنك بركلس. وسبب هذه المظاهرة كما فهمنا من دائرة الامن العام ان اشاعات انتشرت فى المدينة ان مجرما سياسيا سيجلد وكانت قد نشرت مناشير فى المدينة بهذه الاشاعة وناشرها شيوعيون من اليهود. وقد حاولنا ان نعرف اسم المجرم وجريمته فسألنا السكرتيرية ولم تمدنا وأخيرا استقصينا الخبر فى الدوائر اليهودية فافادتنا ان هذا المجرم يدعى « زكريا كيش » وهو فتى بين ١٥ و١٦ من العمر وجريمته انه شيوعى كان يثير الرأى العام بتوزيعه مناشير شيوعية وقد حكم عليه بسبب هذه التهمة بالجلد والابعاد فتظاهر العمال اليهود احتجاجا على هذا الحكم بحجة انه لايجوز جلد المجرم السياسى . ولعل فى هذه الحادثة ما يدحض تفاؤل السير الفرد موند فى مستقبل الصهيونية ! !

اللجنة الصهيونية وقانون الاملاك

نمى الينا ان اللجنة الصهيونية قد رفعت تقريرا ضافيا للحكومة تبين فيه نقص هذا القانون وتقترح لتعديله اقتراحات من شأنها ان تجعله أكثر ربحا للخزينة وأشد ارهاقا للشعب وذلك لان اليهود مستأجرون والعرب ملاك. وارهاق هذا القانون انما يقع على الملاك. وقد حدثنى اخصائى كبير فى هذا الصدد فقال : شعر أهل البلاد أن الاملاك هى البقية الباقية من الثروة القومية فعمدوا الى انشاء العمارات استثمارا لريعها وتوفقوا نوعا فضربتهم الحكومة هذه الضربة بضريبة قانون الاملاك الجديد الذى من شأنه أن يسهل للصهيونيين استملاك العمارات والعرصات غير المبنية، لانه يغل أيدى الوطنيين عن مواصلة انشاء العمارات وبذلك تنشأ أزمة مالية جديدة يضطر معها أهل البلاد الى بيع املاكهم !!

لا نسبة البتة بين ثروة مصر وثروة فلسطين ومع ذلك فميزانية مصر نحو ٣٧ مليون جنيه وعدد سكان مصر نحو ١٥ مليون نفس فى حين أن ميزانية فلسطين نحو ٣ ملايين جنيه وعدد سكانه ٨٠٠ الف نفس، فبينما يخص الفرد الواحد فى مصر نحو جنيهين ونصف يصيب الفرد الواحد نحو اربع جنيهات !! وهذه سوريا أيضا التى تبلغ ميزانيتها مليون ونصف مليون جنيه وعدد سكانها نحو ٣ ملايين نفس فترى أن لا وجه للنسبة بالمرة ليس فقط من جهة الميزانية بل ومن جهة الانتاج والثروة الطبيعية . وطبيعى أن هذا [illegible] شأنه أن يثير سخط الشعب ويركبه المركب الخشن اذا لم تتدارك الحكومة الغبن قبل استفحال الخطب ولعلها فاعلة .

افلاس شركة يهودية

قررت المحكمة المركزية تصفية حسابات الشركة المسماة « هادارهاكرمل » التعاونة لميتد. وقد ثبت فى المحكمة أن الديون التى على الشركة تبلغ (١٦٠٠٠) ليرة. وأما الديون التى لها فهى (١٠٠٠) ليرة فقط! وقد عينت المحكمة الخواجه شرلى دايل مأمور تصفية، وأمرته أن لا يبيع شيئا من أملاك الشركة قبل ان تقدم هذه استئنافها .

الشيوعية فى فلسطين

أن المدعو موسى يانتش الذى حكم عليه منذ ستة أشهر بدفع ٢٠ ليرة فلسطينية غرامة والابعاد عن فلسطين لثبوت جريمة قيامه بالدعاية البلشفية قد أودع سجن يافا لاخراجه من فلسطين! وهذا مثل غيره من الكثيرين من مهاجرى الوطن القومى !

فى الادب الجاهلى

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب « فى الادب الجاهلى » تأليف الدكتور طه حسين استاذ أدب اللغة العربية بالجامعة المصرية وموضوع هذا الكتاب الجديد يتبين من مقدمته ، وهى : « هذا كتاب السنة الماضية حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت اليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير وأنا أرجو أن أكون وقد وفقت فى هذه الطبعة الثانية الى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الادب العربى عامة والجاهلى خاصة من مناهج البحث وسبل التحقيق فى الادب وتاريخه، وهو على كل حال خلاصة ما يلقى على طلاب الجامعة فى السنتين الاولى والثانية من كلية الآداب »

ويقع الكتاب فى سبعة كتب يستغرق منها كتاب السنة الماضية ، بعد حذف ماحذف منه واضافة ما أضيف اليه ، نحو ثلاثة كتب والباقى بحوث جديدة أضيفت اليه

ويطلب من المكاتب الشهيرة ومن اللجنة المذكورة وثمنه خمسة وعشرون قرشا ماعدا أجرة البريد

سياسة الاسبوع

الحالة السياسية فى مصر والصحف الانكليزية — التشريع للاحوال الشخصية وطائفة من رجال الدين

كان الاسبوع الماضى أسبوعا هادئا من جهة الحوادث الحكومية الداخلية . وذلك لان الحكومة كانت فى صحبة جلالة الملك أثناء عودته من نجع حمادى، ولان البرلمان لم ينعقد أثناء الاسبوع لتغيب الكثيرين من أعضائه بالاقصر والصعيد الاعلى على أثر سفرهم لحضور حفلة وضع الحجر الاساسى لقناطر نجع حمادى . على أن ذلك لم يمنع من تحول النشاط الى ناحيتين أخريين أحداهما بعض الصحف الانكليزية والاخرى طائفة من رجال الدين . وكان نشاط بعض الصحف الانكليزية خاصا بالمسألة المصرية وموقف ثروت باشا والاحزاب الاخرى . وكان نشاط بعض رجال الدين خاصا بقانون الأحوال الشخصية المعروض فى مجلس الوزراء لاستصدار المرسوم به وعرضه على البرلمان .

***

فأما الصحف الانكليزية فذهبت تتناول الموقف السياسى فى مصر على صور لا تخلو من الغرابة . وبالرغم من ان أحد أعضاء مجلس العموم الانكليزى وجه سؤالا الى وزير الخارجية البريطانية عن سير المحادثات بين مصر وانكلترا فكان جواب الوزير أنها مستمرة فى القاهرة وأنها على وشك الانتهاء فان الدايلى تلغراف من جرائد لندن والمراسل اللندنى لجريدة سوت ويلز نشرا أخبارا لا ندرى من أين تستمدانها ذهبا فيها الى ان ثروت باشا يتنصل اليوم مما سبق أن اتفق عليه فى لندره، لانه يرى الاغلبية الوفدية معارضة له ، وأن دولته يمهد للاستقالة ، وأنه يريد حل المجلس واجراء انتخابات جديدة تنوله أغلبية معتدلة ، وأنه يريد خلق جو سياسى جديد ، الى آخر ما تبرعت به الجريدتان من المزاعم والاوهام .

ولولا ترهات هاتين الجريدتين لكان لنا أن نتفاءل باجابة وزير الخارجية البريطانية خصوصا وأننا لم نسمع ما يناقضها من الجانب المصرى . على أن هذه الترهات لا يمكن فى الواقع أن تقابل بشىء من العناية والاكتراث . فان ثروت باشا ليس بالرجل الذى يتأخر اذا هو اعتقد بصلاح اتفاق يعقده مع انكلترا لمصلحة بلاده عن عرضه بل عن تأييده أمام أمته واقناع مواطنيه بصلاحه . وهو ليس كذلك الرجل الذى يرضى أن تنزل بلاده عن حق من حقوقها، والذى يعلم الى جانب هذا أن مصريا لن يقبل اتفاقا ينزل به عن حق من حقوق مصر . ومادام ذلك هو الشأن فمن العجيب أن يتصور المكاتبون الانكليز أن ثروت باشا يمهد للاستقالة من أجل حل المجلس أو تأليف حزب جديد .

هذا، فأما اذا صح ما تقول هذه الصحف من أن مصاعب تعترض اتمام الاتفاق بين مصر وانكلترا ، فما ندرى كيف يكون ذلك سببا فى استقالة ثروت باشا ما دامت الحياة النيابية قائمة ومادام هو متمتعا بثقة البرلمان معتقدا أنه يستطيع خدمة بلاده فى حالها السياسية الحاضرة . اللهم الا أن تستقيل وزارة لتمكن للقيام بالمفاوضات ثم لا تصل منها الى نتيجة . فأما الوزارة التى تألفت كما تألفت وزارة ثروت باشا للقيام بشؤون الحكم والمحافظة على الدستور ثم السعى الى تقريب مسافة الخلف بين مصر وانكلترا توصلا الى حل المسائل المعلقة بينهما سعيا يمكن الى التوفيق بين الوجهتين والى وضع اتفاق بين الدولتين . نقول ان الوزارة التى تتألف لهذه الاغراض وتبذل سعيا من جانبها فى المسألة السياسية لا تطالب مطلقا بالاستقالة إذا هى لم تصل الى حل هذه المسألة فى زمن معين . ونحن ما نزال نفهم أن السياسة التى تألفت وزارة ثروت باشا لتنفيذها هى بعينها السياسة التى تألفت وزارة عدلى باشا مثل ذلك لتنفيذها، وهى السياسة التى تم لائتلاف بين الاحزاب المصرية للقيام بها، هذه السياسة التى عبر عنها المغفور له سعد باشا بأنها ترمى : أولا الى المحافظة على الدستور والحياة النيابية كى لا تمتد لها يد ولا يعبث بها عابث .

لا يمكن ، وهذه هى الحال، أن يكون الخلاف بين ثروت باشا والحكومة الانكليزية على المسائل المتعلقة بين الدولتين سببا لاستقالة الوزارة الحاضرة . واذا صح ان كان هناك خلاف — وهذا مالا نستطيع أن نقول فيه شيئا لان ثروت باشا لم يصرح فيه لاحد بشىء ولان وزير الخارجية البريطانية صرح على خلاف ذلك وأنه ينتظر أن يتم الاتفاق قريبا — نقول ان صح ان كان هذا الخلاف فلا يمكن أن يكون على نقطة من النقط التى اتفق عليها ثروت باشا فى لندرة . بل لقد يكون الخلاف على مسألة من المسائل المتعلقة بهذه النقط، وكثيرا ما كان الخلاف على تفصيل من التفاصيل كافيا لاحباط اتفاق كامل وإن تناول هذا الاتفاق أجل المسائل خطرا وأكثرها أهمية .

***

هذا، وأما نشاط طائفة رجال الدين فى مسألة القانون الجديد الذى يراد سنه للاحوال الشخصية فنشاط يشبه كل الشبه ذلك الذى بدأ منهم حين نادوا بأن الوقف من الدين وأن التشريع الذى يراد وضعه غير جائز لذلك شرعا . وانك اذ تبحث عن سبب هذه الصيحات التى ترتفع الرقمة بعد الوقت من جانب هذه الطائفة لن تستطيع ان تقدم أنها صادرة عن شدة فى التقوى أو حرص على الدين . ذلك لان التشريع المدنى فى مسائل المعاملات قد تناول كل شىء فى مصر منذ سنة ١٨٨٣ . ومسألة الاحوال الشخصية نفسها لم تبرأ من أن يتناولها التشريع فى مسائل عدة . والوقف قد أصبحت أحكامه المحاكم الاهلية بل المحاكم المختلطة نفسه وتقرر له من القواعد ما يراعيها القضاة الاهليون والقضاة المختلط مختلفة عن أحكام الشريعة من ناحية، ومع التشريع المدنى من الناحية الاخرى . فما بال رجال الدين الذين يرفعون عقائرهم اليوم منادين بالخوف على الدين لم يكونوا يرفعون هذه العقائر فى الماضى؟ بل ما بالهم فى الماضى كانوا اذ يرون وجوب الاصلاح فى مسألة من المسائل يحاولون التشريع يوم أن كان المشرع ليس البرلمان الذى يمثل الامة بل الحكومة التى تمثل السلطة الفعلية . أليس هذا التحول من موقف الى موقف دليلا على أن الدين ليس هو المقصود بدفاع هذه الطائفة من رجال الدين وان المقصود فى الحقيقة أغراض أخرى لا علاقة له بالدين على الاطلاق ..

ولسنا نريد التعمق فى البحث عن الدوافع الحقيقية التى تدفع هذه الطائفة الى هذا التقلب والى هذه الصيحات التى ترسلها ما بين حين وحين ولكنا نريد ان نذكر هنا ما قاله بعض حضرات أعضاء مجلس النواب المحترمين حين وقف بعض آخر منهم يذكر أن الوقف من الدين ولا يجوز لذلك التشريع فى نياله . نريد ان نقول ان الهيئة التشريعية لا يمكن ان تمنع بحال من الاحوال من وضع تشريع ينظم علاقات الناس ومعاملاتهم بعضهم مع بعض . وسواء سميت هذه المعاملات بيعا أو هبة أو وقفا وغير ذلك من الاسماء . فان الدستور صريح فى أنها يجب أن يكون تحت سلطان الهيئة التشريعية تنظرفيها وتقنن لها ما تراه محققا لمصلحة البلاد، وهذه الهيئة هى وحدها صاحبة الحق فى ان تقرر ما تراه من القواعد . فالاشخاص الذين يخرجون على هذا المبدإ وينادون بغيره أشخاص خوارج على الدستور ونصوصه، خوارج على الحياة النيابية ونظامها . ولسنا نريد أن نقول لهؤلاء الاشخاص: يجب أن تؤمنوا بنصوص الدستور جميعا وان لا تطالبوا تغيير شىء منها . لا نقول لهم ذلك وقد كفل الدستور نفسه حرية الرأى وقرر حرية ابدائه ونشره . ولكنا نطالبهم أن يكونوا شجعانا وان يقولوا انهم لا يريدون النظام الدستورى بتاتا او أنهم يريدون تعديل الدستور ويبينون مواضع التعديل . فأما مادام الدستور على حاله فكل صيحة يراد بها حمل حرية أعضاء البرلمان عن القيام بالواجب الملقى على عاتقهم والذى اقسموا اليمين على أدائه بالذمة والصدق مع احترام الدستور، هى صيحة أثيمة . وهى فوق ذلك صيحة لا يجب أن يعبأ بها أحد أو يهتم لها انسان .

لكن هؤلاء الذين يقومون بتلك الصيحات إذن شجعانا بعض الشىء، وليقل منهم من يشاء رأيه فى هذا النظام الذى تجرى فى البلاد الآن احكامه . ليقولوا انهم لا يريدون حياة دستورية ولا نظاما نيابيا، وانهم انصار الاستبداد والحكم المطلق . ليقولوا هذا وليصرحوا بأنهم يريدون أن يصلوا من طريق الحكم المطلق الى مطالب مادية باسم الدين . وانهم يومئذ يكونون صريحين ويرى الناس، على الاقل، أنهم لا يتذبذبون بين الحرية والجمود، يدعون انهم من انصار الحرية بينما هم أشد الناس جمودا أوأشد الناس حرصا على أن ينال الجمود لهم ما يشاءون من فوائد مادية .

على أنهم إن أعلنوا الخصومة للدستور أو فلولا فى نفاقهم وجبنهم فلن يسمع لهم أحد وسيبقى الدستور هو نظام مصر وستبقى الحياة النيابية هى السائدة فيها . وما دام ذلك هو الشأن فالهيئة التشريعية حرة، بنص الدستور، فى سن القوانين اللازمة للبلاد . ولمن شاء أن يعارض قانونا من القوانين معارضة دستورية فليكن ذلك بابداء رأيه فى صلاح القانون أو عدم صلاحه للمجتمع . فأما مجرد رفع العقيرة باسم الدين أو بغير اسم الدين فليس ذلك متفقا مع الحياة الدستورية ولن يجد ذلك سميعا له ولا مصغيا به .

منظومة مصرية قديمة

وضعت هذه المنظومة المصرية تحية الملك سنوزرت الثالث من الاسرة الثانية عشرة المجيدة ذلك العاهل العظيم الذى كان حكمه سعيدا على مصر . وقد حكم البلاد بحكمة وروية فادر على أعدائها الخير كما أمن حدودها ومد فى سلطانها فى نوبيا . والقصيدة من ذلك النوع من الشعر الذى كان شعراء القوم ينشدون من نظمه فى تحية ملوكهم وأطرائهم والذى كان ملوكهم يسرون به . وهى لا تخلو من تشبيهات حسنة وخيال جيد .

واليك بعض أبياتها بعد ان عدلت بعض كلماتها واضيف اليها من الشرح ما يسهل فهمها على القراء:

سلام عليك أيها الملك . ملك مصر العليا والسفلى . ابن الشمس سنوزرت الثالث الذى يسيطر على الوجهين البحرى والقبلى ويقبض عليهما بكلتا يديه .

هو العاهل الذى تدين له البلاد الاجنبية وحمى الديار المصرية وأمن حياة رعاياه وحافظ عليها . وقد استولى على الصحراء، وسحق الاعداء وجعلهم يموتون خوفا وشاما من بأسه وقهره .

هو الملك الذى رمية سهمه فى الحرب كرمية سهم «سخمت» (١)

هو الملك الذى ينهض فى وجه أعدائه الذين يجرءون على غزو حدوده نهضة سخمت .

هو الملك الذى ينازل ويقاتل الاعداء وحده (٢)

هو الملك الذى يحمل رأسه تاج مصر المزدوج ، ويجمع كلمة الوجهين . وتضع أوامره الحدود . وهو الذى وحد الوجهين وضم مملكة الجنوب الى مملكة الشمال .

أن الآلهة فى جذل وسرور لانك زدت مقدار القرابين التى تقدم اليهم . كما ان آباءك مغتبطون لانك اكثرت من التحف التى تقدم اليهم .

ان المصريين يكبرون ويهللون لانك جيت أسوارهم وزدت فى أملاكهم .

هو الحاجز الذى يدفع مجرى من الماء عن مجرى آخر .

هو الوكر الذى يأوى اليه الانسان ويستريح فيه الى مطلع الفجر .

هو الملجأ الذى يحيط به سور من النحاس

هو المأوى الذى يلجأ اليه الخائف من عدوه

هو الظل الندى البارد فى أوقات الصيف

هو الركن الدافىء فى فصل الشتاء .

هو الجبل الذى يلاذ به من العاصفة .

(سيس)

(١) الهة الحرب

(٢) كان المراهنة يجيزون ان للسب [illegible] القوة فوق البشرية وان يقال عن احدهم انه يعادل قوة آلاف من العدو . [illegible] فى القصيدة المنسوبة الى الشاعر [illegible] الملك رمسيس الثانى فقد زعم فيها الشاعر [illegible] رمسيس بمفرده قد تغلب على الالاف من الاعداء [illegible]

دور الكتب العامة

ونظام دار الكتب المصرية

[illegible] وهذه السنوات الاخيرة ذكر دار الكتب [illegible] بكثرة على ألسنة الناس فى مصر وفى [illegible] وفى اوربا أيضا . وطبيعى أن يرد هذا [illegible] ومصر تجتاز هذه السنوات دورا من [illegible] الانتقال تتأثر فيه ميادين النشاط والانتاج [illegible] والعالم الشرقى ، ولاسيما العربى منه ، [illegible] بابصاره نحو مصر يرقب بعناية كل مايتم [illegible] من تطور ويرجو أن يوفق الى الاقتداء بها [illegible] مختلف نواحى نهضاتها السياسية والاقتصادية [illegible] الفكرية . واوربا تنظم العلاقات العقلية بين متعدد [illegible] ومتنوعها وتريد أن تدعم قواعد [illegible] بينها وتقيمها على أسس التعاون والتبادل، [illegible] أن تضم الى حظيرة هذا التنظيم أكبر عدد [illegible] من البلاد حتى تلك التى لم تصبح بعد من [illegible] «عصبة الامم» التى تشرف على «المعهد الدولى للتعاون الفكرى» .

[illegible] ومصر الى جانب هذا كله، تمشى بحركة التهذيب [illegible] وتخطو خطوات فى سبيل تعميم التعليم الاولى [illegible] نص الدستور على أن يكون الزاميا، وتخطو [illegible] خطوات مقدورة فى سبيل تعديل مناهج [illegible] فى مختلف درجاته بحيث تصبح متمشية مع [illegible] روح العصر أو ظروف التفكير فى العالم . [illegible] طبيعيا أن تمر بلد بمثل هذا الدور الذى تجتازه [illegible] وأن تخطو أمة فى سبيل التعليم والتهذيب [illegible] هذه الخطوات التى تمدها مصر دون [illegible] المصلحون فيها نظرة جدية الى دور [illegible] الكتب العامة يتعرفون مواضع النقص فيها [illegible] النصح الخالص بما يعتقدونه سبيلا [illegible] الخير ، وهم يعرفون ان دور الكتب [illegible] انما تؤدى فى الجماعات الحاضرة أكبر [illegible] للتهذيب القومى وللبحوث العلمية المنتجة [illegible] من أجل هذا وحده ، ولمناسبة ما عرض [illegible] الصحف فى الايام الاخيرة ، اعتزمنا أن [illegible] الادلاء بما قد نرى فى الادلاء به الى [illegible] على شؤون دار الكتب المصرية ، بين ما [illegible] به اليوم خلال سعيهم فى سبيل الاصلاح [illegible] على تعرف مواطنه ، شبه فائدة قد [illegible] عدم اغفالها .

[illegible] واول مانود أن نسوقه من الحديث انما هو [illegible] دور الكتب وتنظيمها قد أصبح [illegible] اليوم فى العالم الغربى مقامها الذى استدعى [illegible] لها قوانين التفكير وروابط الحوادث [illegible] لها علم يدرس فى الجامعات ، وفى [illegible] العالية الخاصة ، كما أن المراتة — وقد [illegible] نواحى العمل فى دور الكتب العامة — [illegible] بحيث أوجدت فنا وأوجدت مهنة، [illegible] التقاليد عن غيره من الفنون وغيرها من [illegible] المتداولة بين الناس فى هذا العصر .

[illegible] إذن ، فى دور الكتب وتنظيمها [illegible] أن يختبر أعليه دون استناد الى قواعده [illegible] ذكرنا والى تقاليد الفن المهنية التى تنشأ [illegible] فى دار الكتب ولا يمكن أن يلق فى [illegible] الحصول على قواعده .

[illegible] تقرر هذا وفاقا لتقدم، وقد وقفنا [illegible] على ما أظهرت فى تنظيم المكاتب أيام [illegible] العلم بجامعة باريس [illegible] [illegible] المكاتب العامة أنواع، وأن كل نوع منها يجب [illegible] القواعد الفنية تتمشى مع طبيعته ، [illegible] المهمة التى يأتى على عاتقه وبالحاجة التى [illegible] تنحصر أكثر [illegible] فى اليوم [illegible] ومن أنواع المكاتب العامة ، المكاتب الاهلية

والمكاتب الجامعية ، والمكاتب الشعبية . وهذه الاخيرة تتوجه — على مايدل عليه اسمها — لافراد الشعب فى بيئة محدودة لها خصائصها الاقليمية ولها مميزاتها الاجتماعية والاقتصادية، فانها بالتالى موضوعات تفكير أهلها الخاص بما لهم من حاجات خاصة الى جانب مالهم به عناية من الامور المشتركة العامة . والمكاتب الجامعية هى الملحقة طبعا بالجامعات وما اليها من دور الثقافة العالية تتجه الى الطلبة والاساتذة ومن يعنون معهم بدور التحصيل والبحث العلمى ومايستلزمه من مراجع ومن وسائل .

أما دور الكتب الاهلية — وهى التى نريد أن نوجه اليها همنا الاكبر فى هذا المقال — فتتجه بطبيعتها الى الطائفة الذين يتعطشون الى البحث عن أى أمر يخطر ببالهم مهما كانت تفاهته من ناحية ، كما تتجه الى الخاصة من العلماء والباحثين والمحققين فى جميع ميادين العلم من ناحية أخرى .

أما من حيث المهام التى تلقى على أكتاف دور الكتب الاهلية فالمقرر فى صددها هو ان هذه الدور يجب أن تكون مجمع كل المنتجات العقلية التى تظهر فى البلد ، كما تكون فى الوقت عينه مجمع كل المؤلفات الخاصة بالبلد نفسه فى مختلف العصور مهما كانت اللغة التى وضعت بها هذه المؤلفات .

ولا تقف الحالة بالنسبة لدور الكتب الاهلية، عند حد « الكتب » المطبوعة بل تتجاوزها الى المخطوطة والى مجموعات من الالواح والنقوش والجلود والنقود وغيرها مما يتصل بتاريخ الحضارة فى البلد .

ويصح ان يرجع التنظيم فى دور الكتب الى طائفتين من الاعتبارات جوهريتين : طائفة الاعتبارات العلمية ، وطائفة الاعتبارات المادية . ويدخل فى الاولى كل ماله مساس بالفهارس وهى التى يقول عنها العارفون إنها « عيون المكاتب » التى تبصر بها ، كما يقولون: إن قدر المكاتب يعرف بقدرها ، وكل ماله مساس باختيار الكتب وتنظيم وضعها للحصول عليها بسرعة، وتسهيل الاستفادة بها داخل الدار وخارجها . ويدخل فى طائفة الاعتبارات الثانية كل ماله اتصال ببناء الدار وأوضاعها وكل ما له اتصال باستغلال الاموال المخصصة للدار وإدارتها .

والقاعدة المقررة عن الاخصائيين فى بناء دور الكتب العامة أن تكون قاعة المطالعة الكبرى وسط البناء بحيث تتصل بها اجزاء الدار وتتداخل، تسهيلا للوصول الى الكتب المطلوبة واقتصاداً فى الوقت الذى يتطلبه الحصول على الكتاب . وهذه القاعدة متوافرة فى دور الكتب الاهلية بباريس ولندن وبرلين وبطرسبرج والبندقية ، وهى الدور التى نعرفها بالذات وكلها دور سبق بناؤها بناء دار الكتب المصرية . وانما نذكر هذا السبق ونسجله لاننا لا نرى تلك القاعدة الاولية متوافرة شرائطها فى بناء دار الكتب الاهلية الذى وضع حجره الاساسى فى سنة ١٨٩٩ وأشرفت عليه وزارة الاشغال المصرية . ولعل هذا الخطأ المحيت فى تصميم دار الكتب المصرية هو الذى يضطر إدارتها — رغم مالديها من رغبة صادقة فى التجديد والسير على قواعد الحديث من الانظمة — الى أن تضع مستودعات الفهارس فى مكان هو فى الواقع الممر الذى يجتازه كل قاصد الى قاعة المطالعة فيها، [illegible] من الازدحام [illegible] الباحثين [illegible] الكتب مافيه . ولعل هذا الخطأ فى التصميم هو الذى يحول دون الالتجاء فى دار الكتب المصرية الى ما تلجأ اليه دور الكتب العامة فى الخارج من وسائل الاسراع فى الحصول على الكتب بالوسائط الكهربائية عن طريق الآلات الرافعة ، وعن طريق «البسط المتحركة» تنقل عليها المجلدات بسرعة تفوق كثيراً سرعة « فتى المخزن » التى يتنقل بين قاعة المطالعة ومخازن المجلدات . ولعل هذا الخطأ فى التصميم هو الذى يضطر ادارة دار الكتب المصرية الى أن تكدس غير قليل من مشترياتها فى صناديقها لان الدار تضيق بها أو بما تستلزمه من «دواليب»

ويظهر — كما أن التصميم قد أخطأ واضعوه فلم يقيموه على ماهو مقرر من قواعد البناء لدور الكتب العامة — ان غرض دار الكتب المصرية قد أخطأ واضعو تقريره هم كذلك فلم يجعلوه شاملا كل ماهو معروف فى ميادين دور الكتب العامة، إذ نصت المادة الاولى من الامر العالى المنظم لدار الكتب أن غرضها الاساسى هو « حفظ وصيانة الكتب العربية ، وتسهيل استفادة الجمهور من هذه الكتب ، ومن الكتب الانجليزية والفرنسية والالمانية الخاصة بشؤون مصر والحضارة العربية » . ويظهر أن هذا الخطأ فى البناء الفكرى هو الذى يؤثر فى سير الاعمال داخل دار الكتب المصرية — على الرغم من صدق رغبة القائمين بأمرها كما قدمنا — كما يؤثر خطأ البناء المادى على النحو الذى ذكرنا .

ذلك أن هذا النص فى الامر العالى المنظم لدار الكتب المصرية يجعلها دار كتب عربية أولا ، ودار كتب للشؤون المصرية والعربية ثانيا . وهذا وذاك بلا ريب من الاغراض الاساسية الرئيسية لدور الكتب العامة لكنهما ليسا كل شىء ضمن هذه الاغراض . بل أن لدور الكتب الاهلية غرضا آخر لا يقل خطرا عن هذين، وهو غرض العمل على نشر الثقافة العامة بين جمهور القارئين ، وكذلك غرض توفير أسباب البحث العلمى على الخاصة فى كل باب من أبواب العلم وكل ضرب من ضروب الفن . وليس العلم والفن مقصورين فى اللغات الاجنبية على ما له مساس بمصر والحضارة العربية وحدها .

ولعل هذا النقص فى التشريع الخاص بدار الكتب المصرية هو الذى يغل من أيدى القائمين بأمرها، على الرغم من رغبتهم الصادقة فى التوسع والاصلاح ، فلا يمكنهم من التوسع فى الشراء والحصول على المؤلفات التوسع الذى يقتضيه تحقيق غرض من أهم أغراض دور الكتب الاهلية .

على أن التشريع وحده لا يكفى . وانما الذى ينبغى هو السهر على تنفيذه ، وهو فى بعض الاحايين العمل على تحقيق الاغراض الاساسية المشهورة حتى اذا كان التشريع صامتا عن طريقة تحقيقها أو عن النص عليها كاملة .

ولنعرض الآن لطريقة حصول دار الكتب المصرية على المؤلفات التى تقدمها للقراء :

أما الكتب العربية فتستقى الدار أخبارها من تقاريظ الجرائد والمجلات لما يهدى اليها منها أو هى المنتظر أن يتقدم اليها أحد « بدلل » على كتب للبيع عنده أو عند غيره ، أو هى تخاطب بعض المكاتب فى أمر ما يطبع أو يباع عندها ، رغم ما عليه هذه المكاتب فى مصر من قلة فى العدد وفى العدة .

على ان التشريع المصرى يحوى نصا أخذت دار الكتب المصرية تستفيد منه الآن ، والآن فقط ، بعد أن أهملته اهمالا تاما سنوات عديدة تخبطت خلالها فى سبيل الحصول على ثمرات الفكر المصرى ، وثمرات المطابع المصرية .

ذلك ان قانون المطبوعات ينص فى بعض مواده التى لم تعطلها أحكام الدستور ، على أن أصحاب المطابع مكلفون أن يودعوا ادارة المطبوعات خمس نسخ من مطبوعاتهم فى الوقت الذى يخرجونها فيه للتداول . وقد استطاعت ادارة دار الكتب أن تتفق — لكن أخيرا فقط — على أن تكون ثلاث من تلك النسخ الخمس من نصيبها هى، وان تبقى النسختان من نصيب ادارة المطبوعات . وانه لتوفيق نهنىء دار الكتب وادارة المطبوعات من أجله، لكن نرجو ، ونلح فى هذا الرجاء ، أن تبذل الجهود الصادقة من جانب وزارة الداخلية فى سبيل السهر على تنفيذ ذلك النص من نصوص قانون المطبوعات وعلى تنفيذه بحزم يشمل مطابع القطر كلها لا المصرية فحسب بل الاجنبية كذلك ، وهو نص وضع للنظام العام ويراد تنفيذه لاجل النظام العام، فهو ولا شك مما لا تقف الامتيازات الاجنبية فى وجه تنفيذه ، ولاسيما اذا علم ممثلو الدول الغرض الجديد الذى من أجله يراد هذا التنفيذ .

وقد يصح التنويه فى هذا الصدد بالجهود الذى أخذت دار الكتب المصرية على عاتقها بذله فى سبيل الحصول على صور فوتوغرافية لكل المخطوطات العربية الموجودة فى دور الكتب ببلاد العالم كافة . وقد اطلعنا فعلا على مستندات التحقيقات التى تقوم بها الدار فى هذا السبيل

أما الكتب الاوروبية فتسير الدار فى سبيل اقتنائها على خطة الاطلاع على النشرات الدورية للمكاتب والمطابع وتفحصها وتختار من الوارد فيها ما ترى فائدته للقراء المصريين . وكذلك تعنى بما يذكر فى الصحف المصرية والاجنبية عن مؤلفات حديثة ترى لها اتصالا بمصر أو بالشرق أو بالاسلام ، فتعمل على اقتنائها كذلك .

وفوق هذا وذاك فقد أعدت الدار «سجلا» يدون فيه من يشاء من الوافدين اقتراحاته ويضمنه اسماء الكتب التى يرغب فى اقتناء الدار إياها فتقتنيها اذا وجدت فيها فائدة عامة للقارئين .

والواقع، الى جانب هذا ، ان ادارة الدار لا تتقيد كثيرا بالنص الرسمى الذى يريد أن يحصر الكتب فى دائرة العربية والشرقية والاسلامية والمصرية، بل تتجاوز هذا النص الى الحصول على المراجع الشهيرة العامة التى قد يحتاج اليها الباحث فى بعض النواحى . لكنها لا تقدم كثيرا فى هذا المضمار ويقف بها إقدامها عند حد المواد الفقهية وما اليها مما تحتاج إليه طائفة المحامين ومن اليهم من الباحثين

ويوجه الناقدون من العارفين الى دار الكتب المصرية اعتراضهم على عدم وجود فهرس خاص بالمخطوطات فى حين وجوده فى كل دار كتب أهلية فى غير مصر، وفى حين أن المخطوطات كان لها شأن أى شأن فى تاريخ الثقافة فى الشرق .

كما يوجهون انتقادهم الى طريقة وضع الفهارس التى قيل ان الدار قد اعتزمت اقامتها على القواعد الحديثة منذ نيف وعشر سنين . ذلك أن هذه الفهارس قائمة على فكرة الترتيب بحسب اسماء المؤلفين . وليس هذا مما يفيد طالب البحث شيئا . اذ معناه يكون الباحث طالما قبل ذهابه الى الدار بالكتاب الذى يريد الاطلاع عليه . واذا كان مستطاعا فى الازمنة الغابرة التى كان فيها يخزن فى الصدور فانه غير ميسور الآن [illegible] المعلومات وتشعبت [illegible] مستحيلا أن يذكر العالم أو الباحث شيئا هذا الذى يعتبر نافلا . انما يذهب الباحث الى دار الكتب ليقف هنالك على المصادر التى [illegible] أمامه أبواب البحث . وانك لتذهب الى دار الكتب الاهلية بباريس فتتقدم الى [illegible] — [illegible] موضوع [illegible] فى اليوم التالى

فتجده قد أعد لك قائمة كاملة بكل ما فى دار الكتب الاهلية بباريس من مصادر لبحثك. والعالم اليوم الآن ان تسهل له سبل البحث فى كل مكان أو على الاقل فى كل عاصمة لبلاده تزعم أنها قد دخلت فى حظيرة الحضارة ، وانها تريد أن تأخذ مكانها تحت الشمس . وشىء من هذا غير ميسور بعد فى دار الكتب المصرية .

كذلك توجه القوم باللوم فى شأن تبادل الكتب بين دار الكتب المصرية وغيرها من دور الكتب الاجنبية . وكان الذائع حتى الآن أن دار كتبنا تأبى أن ترسل مجلداتها أو مخطوطاتها الى تلك الدور مكتفية بارسال نسخة تأخذها بالتصوير الشمسى . وكان الناقدون يذكرون ان بعض العلماء قد يحتاجون الى الاطلاع المباشر على النسخة الاصلية لعلهم يتعرفون خلال هذا الاطلاع المباشر على أمور قد تغيب على فطنة من توسل اليهم بمجرد صور شمسية . لكنا استطعنا أن نتحقق أن فى لوم اللائمين إسرافا فان لائحة دار الكتب المصرية لاتحرم نقل مخطوطاتها الى دور الكتب العامة فى الخارج لكنها تخضع هذا النقل لتصريح يجىء عن طريق مجلسها الاعلى الذى قد يمنح مدير الدار اختصاصا واسعا فى هذا الصدد .

والواقع الى جانب هذا ان فى دار الكتب المصرية حركة ترمى الى الاصلاح ، والاصلاح العاجل ، بكل ماتستطيعه من قوة وبكل ماتسمح به ظروف العمل وظروف العمال . وقد كانت الدار قد بعثت الى فرنسا والى انجلترا باثنين من الشبان خصصا نفسيهما لعلم المكاتب وتنظيمها ، وهما الآن دائبان على تنظيم الفهارس تنظيما عصريا يقضى على كثير من الاعتراضات التى توجه للفهارس الحالية . لكن لما كان العمل فى ذاته شاقا وكان متعلقا بما يربيا على المئة والثلاثة والثلاثين ألف مجلد فقد اضطرت الدار الى أن تطبق نظام الاصلاح الجديد على الكتب الواردة اليها من أول سنة ١٩٢٦ على أن تعود فتطبق القاعدة نفسها على السنوات السابقة كلما استطاعت الى ذلك سبيلا .

كذلك تتوجه الهمة فى دار الكتب المصرية الآن الى استكمال الناقص من المؤلفات الخاصة بمصر باللغات الاجنبية . وقد تعرف الدار كما يعرف غيرها ان احصاء للمؤلفات التى وضعت عن مصر منذ حملة بونابرت الى السنوات الاخيرة قد أخرجته جمعية الاحصاء والاقتصاد السياسى والتشريع ، وتعرف أن كثيراً جداً من الكتب الواردة فيه ليست موجودة بدار الكتب المصرية . وهى تبذل الآن جهوداً فى سبيل الحصول عليها واستكمال مجموعتها .

لكن ناحية الثقافة العامة لاتزال ناقصة نقصا واضحا فى دار كتبنا . وادارة الدار ترى ان هذا النقص راجع الى اضطرارها لحكم لوائحها والامر العالى الصادر بانشائها لتفضيل المؤلفات الخاصة بمصر والشرق على ما عداها من المؤلفات العامة . بيد ان هنالك من المؤلفات العامة مالا قبل لاحد أن يستغنى عنها ولا سيما اذا تعلقت بامور تتصل بمصر ولو عن طريق غير مباشر . وقد دفعنا الى رجال الدار بقائمة صغيرة جداً من الكتب الانجليزية والفرنسية التى صدرت خلال العام الماضى والذى قبله فنالت الشهرة العامة أمثال كتب « ينج » عن المسألة المصرية ، و« سبندر » عن حياته الصحفية والسياسية ، ومذكرات الملكة « فيكتوريا » ، ومذكرات لورد « جراى » ، ومذكرات « اسكويث » ومؤلف الرئيس بوانكاريه عن الحرب العظمى ، ومؤلف كليمنصو عن « ديموستين » ومؤلفات « ويلسن » فلم نظفر بوجودها كلها هنالك

محمود عزمى

الصحافة فى أسبوع

عيب على البلاغ

رأيت من كلام لجريدة البلاغ فى الحادثات السياسية وما تقوله صحف الانكليز عنها وعن مصيرها مع البرلمان المصرى هذه العبارة :—

« من الحق أن ينتظر انجليزى أو غير انجليزى أن يجد برلمانا مصريا أضعف من مجلس الشورى الذى كان يرفض الاحتلال عاما بعد عام ولم تكن فى مصر نهضة ولا تعليم ولا رأى عام ولا مجاوبة لحركة الديمقراطية التى ملأت الارجاء فى هذا الزمان »

وهذا كلام كان يجب أن يكون كله صحيحا لو كتب الله له الشفاء من اتهام مصر بأنها كانت وليس لها نهضة ولا تعليم ولا رأى عام أيام كان مجلس الشورى يرفض الاحتلال سنة بعد سنة، أما وقد اختلط فيه الحق بالباطل : فالصحيح أن مجلس الشورى كان يرفض الاحتلال رفضا متواليا ، وغير الصحيح أن الامة فى تلك الايام كانت وليست لها نهضة ولا رأى عام .

ولست أدرى أهو النسيان ألقى على زميلنا كاتب البلاغ حجابا جعله اليوم ماعلمه أمس؟ أم هو الكتمان زين له ظلم الحقيقة وظلم الامة معا ليقال ما يراد الآن أن يقال من أن مصر لم تستشعر نهضة ولم تذق تعليما ولم يسمع لها رأى عام إلا فى هذه السنوات السبع ؟

لكنى أريد أن أختار لكاتب البلاغ أخف العيبين، وأود لو أستطيع اقناع الناس بأن شيطانا من شياطين بنى آدم أنساه ما كان يعلم . ولعله اذا سأل بعض الناس أخبروه أنه كانت فى مصر قبل هذه السنوات السبع نهضة وصحف وأحزاب ورأى عام وزعماء وطنيون مخلصون ، وأن بعض هذا أقلق الاحتلال وأقض مضجعه واقتلع عميده من جذوره ، فركن الى الشدة يقمع بها النهضة ويشرد زعماءها ويخفت صوتها . بل لعله إذا سأل بعض الناس أخبروه أن مجلس الشورى إنما كان يستهدى بهدى النهضة والرأى العام، كلما أقبل يرفض الاحتلال فى جلسة من جلساته . أما الجمعية العمومية فلم تعقد سنة ١٩١٠ لتقول كلمتها فى مشروع القناة إلا لان النهضة ارادتها ، ولان الرأى العام لم يقنع بها دون رأيها .

ولست أكل كاتب البلاغ الى مراجعة هذه الحقائق التاريخية فى غير دار الكتب ، فليزرها ليعلم أن هنالك مجموعات لصحف وطنية اتخذها اللواء والشعب والمؤيد وغير ذلك ، فأية صحيفة تناولها منها أرسلت أمام عينيه نور النهضة وأسمعت أذنيه صوت الرأى العام وعلمته من حياة هذه الامة ما لم يكن يعلم ، أو ما أنساه الشيطان علمه .

***

ليس هذا وقته

حمل إلى البريد كتابا بتوقيع « وطنى عجوز » يقول فيه بعد كلام فى الحزبية والاحزاب هذه العبارة :

« وقد فهمت مما كتبته عن الخطبتين اللتين ألقاهما وزير المعارف والاستاذ مدير الجامعة فى الاحتفال بوضع حجر الاساس للجامعة المصرية أنك تريد أن تقول انهما لم ينصفا الحقيقة ولا التاريخ حين ذكرا بالخير بعض الذين اشتركوا فى انشاء الجامعة والدعوة اليها ولم يذكرا فى المقدمة المرحوم مصطفى باشا كامل والشيخ على يوسف ، ولو شئت الصواب لوجب أن لاتنسى أن لكل مقام مقالا وأن للسياسة والتقاليد ومراعاة الظروف قيوداً تضطر الناس أن يكتموا الحقائق على قاعدة :

« ليس كل ما يعلم يقال »

غير أننى أحب أن أصحح خطأ واقعة ذكرت خطأ فى هذه الخطب الرسمية ، كما جاءت خطأ فى بعض الصحف وخصوصا الاهرام، فقد اتفق الجميع على أن التفكير فى انشاء الجامعة المصرية لم يبدأ الا سنة ١٩٠٥ وأن أول من دعا اليها وتبرع لها رجل من أعيان الفيوم ، والواقع أن الدعوة الى انشاء الجامعة لم تجر على قلم ولا لسان قبل أن يجهر بها المرحوم مصطفى كامل فى أثناء ضجة الاحتفال بالعيد المئوى للمغفور له محمد على الكبير سنة ١٩٠٢

وأرجو أن لايفوتك اننى أبادرك بتصحيح هذه الواقعة بما أعلمه من اليقين فيها خشية أن يلحقنى من ظلم الحقيقة وكتمان الحق ما يقبح بالرجل أن يرضاه لنفسه »

كذلك يقول صاحبى « الوطنى العجوز » فى كتابه . والحق اننى لم أكن أعلم مبدأ الفكرة ولا أول صوت ارتفع بالدعوة اليها حتى قرأت كتابه فعرفت كيف تطغى الاهواء السياسية فلا ينجو من ظلمها حى ولا ميت ، على أن التاريخ كفيل أن يضع ميزان العدل ، أما الآن فليس هذا وقته ...

***

كبوة جواد

كتب الاستاذ داود بركات مقالا فى صدر الاهرام عن قانون الاحوال الشخصية للمسلمين وهو قانون استمدته وزارة الحقانية من الشرع الاسلامى ، وقرأت مقال الاستاذ داود فلم يسترعنى منه الاقوله :

« والفكرة الصالحة كالبذرة الصالحة لاتلبث أن تأتى أكلها اذا وقعت فى أرض صالحة » .

وكنت قبل ذلك قرأت خبراً فى الاهرام عن سرقة ألفى جنيه كانت فى شنطة من الجلد فاسترعانى من هذا الخبر قول كاتبه : ان المال المسروق كان فى « عيبة » .

وأنا الآن أستجير بالله من « تأتى أكلها » ومن هذه « العيبة » معا ..

يقول أصحاب اللغة : آتت الارض أكلها فهى تؤتيه بمعنى أعطته . فالفعل رباعى يتعدى بالهمزة ، لكن الاستاذ داود يقول أخطأ أصحاب اللغة وأصبت أنا ، فالفعل ثلاثى . وأنا أجعله متعديا فأقول : أتت أكلها تأتيه وان كانت اللغة لاتعرف « أتى » الا بمعنى جاء .

وترد « العيبة » فى اللغة وفى الشعر فلاندرى أهى الغرارة ، أم هى الحقيبة ، أم هى شىء يشبههما ويكون لغير ماتكونان له . ومهما يكن فطن غير « الشنطة » ، لكن كاتب خبر السرقة يأبى الآن يوقع رجال البوليس والنيابة فى « ورطة » فيترك مايعرفونه من اسمى الشنطة والحقيبة ، ويقول لهم : ان المال المسروق كان فى عيبة ، ولايعلم الا الله لمن يلتفتون اذا دفع المتهم عن نفسه فقال للمحققين : انكم تدعون أنها شنطة ، والاهرام تقول انها عيبة ، وأنا أقول ماقالت الاهرام لانها أعرف منكم بمواقع اللغة وأسماء الاشياء ، ولعل كاتب الخبر يريد أن يلجأ اليه المحققون عسى أن يجعلوه حجة أمام العالم فى المواد اللغوية .

***

ارحموا من فى الارض الخ ...

نشرت صحف الاسبوع بيان عقوبات قضت بها مجالس التأديب فى بعض المديريات على نفر من ضباط البوليس اتهموا بأقبح مايفعله الفساق من رعاع الناس . ومن هؤلاء الضباط من أعد مسكنه للدعارة العلنية وتستر على خمار يبيع الخمر بغير ترخيص ، واعتاد أن يتخذ زى السفلة المنحطين فيلبس « جلابية وبالطو » وكان أشد عقاب ناله من مجلس التأديب فى مديرية الجيزة أن وقفه عن العمل ثلاثة شهور .. فيالها من قسوة !..

ومنهم من بدد بعض مرتبات الخفراء واستدان مالا من أعيان الجهة التى يشملها اختصاص وظيفته فعاقبه مجلس التأديب فى مديرية الجيزة أيضا بوقفه عن العمل شهراً ونصف شهر ، وانه لظلم كبير ! ..

ومنهم من اعترض سيدتين فى الطريق العام كانتا تركبان عربة وجعل يغازلهما وهو سكران حتى جاء الناس فأنقذوهما منه ، وفعل غير ذلك مما كان له تهمة ثانية . أما عقابه الشديد الذى استحقه من مجلس مديرية اسوان فهو الانذار ..

والله وحده هو الذى يعلم هل كانت هذه التهم ثابتة صحيحة أوغير صحيحة ، ولكن لاأصدق أنها صحيحة الا اذا كانت مجالس تأديب الضباط لاتشترى الاستقامة والنزاهة وأعراض السيدات المعتدى عليهن فى الطريق العام وسمعة الضباط أيضا الا بانذار بالراحة من العمل ثلاثة شهور على الاكثر .

ولكن دعنا من الاعتداء على شرف النساء فى الطريق وعلى شرف البيوت المجاورة لبيوت الضباط أمثال الضابط الذى جعل مسكنه بيت دعارة علنية . دعنا من هذا الاعتداء ومايستحقه من عقاب فقد يكون ذلك هينا عند بعض مجالس التأديب ، وتعال نسأل هذا المجلس : كيف راقه أن يؤمن من يعبث بشرف نفسه على شرف الحكومة ؟

على أن مجالس التأديب عندها الجواب المسكت وجوابها المسكت : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

وفاة ارل اكسفورد واسكويث

شخصية من أعظم شخصيات العصر

ارل اكسفورد

نعى الينا البرق يوم الاربعاء الماضى ارل اكسفورد واسكويث ، الذى يعرف باسم أشهر وهو المستر اسكويث ولد فى مورلى من [...] يوركشير فى سبتمبر سنة ١٨٥٢ ، من أسرة [...] الحال ، تدين بالمبادئ الحرة منذ احقاب ، [...] فى معاهد لندن وباليول فى اكسفورد ، [...] فى القانون وظهرت أثناء حياته المدرسية [...] ذكائه وقوة جلاله . وبدأ حياته [...] عاميا ، فأبدى تفوقا وبراعة ، ولكنه [...] فى هذا الميدان مثلما ظهر كثير من اقرانه [...] . بيد انه كان منذ الساعة الاولى [...] بصره نحو السياسة ويرى طالعه فى مجلس [...] وكان منذ حداثته يتصل بالاحرار [...] مبادئهم وسياستهم . ففى سنة ١٨٨٦ [...] ، ودخل مجلس العموم لاول مرة [...] دائرة « ايست فيف » فلم يظهر هنالك [...] بدء ، ولكن حادثا دفع به الى ميدان [...] السياسية ، هو تولية قيادة التصويت [...] لاسقاط حكومة اللورد سالسبورى . [...] سقطت حكومة اللورد ، وحلت مكانها [...] حرة ، أسندت فيها وزارة الداخلية الى [...] وهو ما يزال شابا فى عنفوانه . ولكنه [...] كفاية ادارية مدهشة ، وحقق كل [...] التى علقت على اختياره . فلما سقطت [...] الاحرار فى سنة ١٨٩٥ ، عاد اسكويث [...] المحاماة ، فكان عوده مثارا للدهشة [...] لاول وزير بريطانى يمتهن المحاماة [...] الوزارة . ولكنه لبث يشتغل مع [...] السياسة . وكان زعيم حزب الاحرار يومئذ [...] كامبل بانرمان ، وكان المستر اسكويث يعتنق [...] آراء متطرفة فى الاستعمار والتوسع تجرمه [...] من عطف حزبه ، وتسبغ على نشاطه [...] ولكنه برز الى الطليعة ثانية فى أوائل [...] حينما ثارت المسألة الاقتصادية الكبرى [...] الاحرار والمحافظين أعنى مسألة التجارة الحرة [...] ، فقد كان الاحرار من أنصار التجارة [...] وكان المستر اسكويث علم هذه الدعوة ، [...] بكل ما أوتى من بيان ومنطق . وفى [...] سنة ١٩٠٥ ، استقال اللورد بالفور [...] الحكومة ، وتولى الاحرار الحكم [...] بانرمان ، فأسندت وزارة المالية الى المستر [...] الذى برز براعة فى عرض الميزانيات

يومئذ زعيم الاحرار فى مجلس العموم ، لان سقم السير كامبل كان يحول دون توليه اعباء المعركة البرلمانية . فتألق نجم المستر اسكويث بما لم يتألق من قبل . وفى أبريل سنة ١٩٠٨ استقال السير كامبل لاشتداد سقمه ، فأسندت رياسة الحكومة الى المستر اسكويث ، ووزارة المالية الى المستر لويد جورج . ولم يثر فوز المستر اسكويث بادئ بدء حماسة كثير من الاحرار ، ولكن ما أبداه من المهارة والكفاية فى ادارة الحكومة وقيادة الاحرار ، رفعه فى النهاية الى ذروة الزعامة الفعلية والمعنوية .

وفى سنة ١٩١٠ ، وجد الاحرار فى مأزق لان الانتخابات العامة لم تنلهم أغلبية ، ولكن المستر اسكويث لبث مع ذلك فى منصة الحكم ، وجرت مفاوضات عديدة بين الاحزاب لم تسفر عن نتيجة ، فحل المجلس ، وأجريت انتخابات جديدة فازت فيها الحكومة الحرة بالاغلبية ، ومع ذلك فان المعارضة كانت قوية فى المجلس ، شديدة الوطأة جدا على المستر اسكويث ، وكانت هذه الفترة فوق ذلك فترة مشكلات دولية خطيرة ، من حروب فى البلقان الى حادث أغادير ، وكانت أوربا تجيش بتلك الثورات التى انفجرت بعد ذلك باعوام قلائل ، ولكن المستر اسكويث أبدى حزما وأناة وسعة صدر فى معالجة المشكلات الدولية وفى مقارعة خصومه ، ولكن أعاصير السياسة اجتاحت كل تدبير ومحاولة سامية ، ووقعت الحرب الكبرى

وقضى ان يحمل المستر اسكويث أعظم تبعة حملها فى التاريخ وزير بريطانى — تبعة دخول بريطانيا فى الحرب

وكان قد عجم أعواد السياسة وسبر أغوار دول القارة منذ أعوام طويلة ، ورأى فى اقدام الدول الوسطى على اشهار الحرب نزعة الى السيادة العالمية ، فلم يتردد فى تحمل هذه التبعة الكبرى خصوصا بعد ان اقتحمت المانيا البلجيك ، واشتهرت خطبه التى القاها يومئذ ، كما اشتهرت خطب « بت » التى القاها أيام الحروب النابوليونية . وكانت الظروف عصيبة ، والمفاجأة هائلة ، فاضطرمت الآراء فى بريطانيا حول مسائل كثيرة تتعلق بسير الحرب ، والاهبات العسكرية ، واضطر المستر اسكويث ازاء اشتداد المعارضة أن يعيد تأليف حكومته على قاعدة الائتلاف فى مايو سنة ١٩١٥ وفيها عين المستر لويد جورج وزيرا للذخائر . ولكن الخلاف فى الرأى مازال يتفاقم ، حتى اضطر المستر اسكويث الى الاستقالة فقامت وزارة لويد جورج على قاعدة الائتلاف أيضا . وهى الوزارة الشهيرة التى سارت بالحرب الى نهايتها ، وأشرفت على عقد الصلح .

وفى سنة ١٩٢٠ ، عاد المستر اسكويث الى مجلس العموم نائبا عن دائرة « بزلى » واستمر فى تمثيلها مدى دورتين . ولكنه سقط فى انتخابات سنة ١٩٢٤ ، فكانت صدمة مؤلمة لمكانته الكبرى ، وماضيه الحافل . ولكن هذه الصدمة ذاتها هى التى حملت اولئك الذين يقدرون عظماءهم ، وما يعيدون فى صرح العظمة القومية ان يلتفتوا الى رفع المستر اسكويث الى مرتبة « الاعيان » (الاشراف) وكان ان انعم عليه بلقب ايرل اكسفورد ، فاتخذه مضافا الى اسمه اسكويث . فكانت هذه الخاتمة من ابلغ ماألق من دروس فى آية من البطولة واسمى ماعرف فى تاريخ الخصومة

حوادث الاسبوع الداخلية

السبت ١١ فبراير

ولى العهد

استقبل حضرة صاحب السمو الامير فاروق ولى عهد المملكة المصرية اليوم عامه التاسع من عمره المبارك ، وقد أعد فى دائرة التشريفات دفتران لكتابة أسماء المهنئين والمهنئات .

وقد احتفل بهذا العيد فى قصر عابدين فتليت آيات الذكر الحكيم ووزعت الصدقات على الفقراء وذوى الحاجة ، ونحن نتقدم بالتهنئة لصاحبى الجلالة الملكية وندعو لسمو ولى العهد بالعمر الطويل المبارك فى ظل جلالتيهما .

***

قضية السياسة

قدم قبل ظهر اليوم الى القلم الجنائى بمحكمة القاهرة الاهلية تقرير نقض الحكم الصادر من محكمة الجنايات ضد الاستاذ محمود عزمى فى ٢٥ يناير الماضى ، مرفوعا من الاستاذين الكبيرين حضرتى صاحبى السعادة والعزة محمد على باشا وابراهيم الهلباوى بك .

***

الاحد ١٢ فبراير

زراعة الدخان خفية

طلبت وزارة المالية من وزارة الداخلية مخابرة المديريات للتشديد فى توقيع الحد الاقصى للغرامة المفروضة على من يزرع الدخان خفية وقدرها ٢٠٠ جنيه عن كل فدان ومجازاة مشايخ البلاد الذين يقصرون فى التبليغ عن حوادث زراعة الدخان خفية وذلك محافظة على ايرادات الدولة .

***

والد يقطع ابنه اربا

ورد على نيابة مركز تلا بمديرية المنوفية ، ان عبد الحميد المصرى من أهالى عمروس ضرب ابنه الصغير بفأس ضربة فصلت رأسه عن جسمه ثم امعن فى تمزيقه اربا ، ووضع اشلاءه فى « مقطف » ، وذلك فى نحو الساعة الرابعة مساء ففاجأته زوجه ، وهو حائر لا يعرف كيف يتصرف بهذه الاشلاء فاستغاثت وضبط المتهم متلبسا بجريمته

واتضح من التحقيق ان بكاء الطفل أقلق والده المتهم أثناء غيبة والدته فى قضاء بعض مايلزم بيتها من الخارج ، فتناول الفأس وقتله على الطريقة السابقة ثم قطعه أيضا .

وقد تبين لحضرة المحقق من أقوال الشهود أن ثمة خللا فى قوى المتهم العقلية ، فأرسله الى نيابة الاستئناف لاحالته الى مستشفى الامراض العقلية لملاحظته

***

الاثنين ١٣ فبراير

خزان اسوان

أتم جناب المستر ماكلى مدير ادارة الخزانات فى وزارة الاشغال وضع تقريره التفصيلى عن مشروع تعلية خزان اسوان ، وهو التقرير الذى سيعرض قريبا من تقاريره على اللجنة الدولية التى ستدعى لابداء آرائها فى التفضيل بين مشروع تعلية خزان اسوان ومشروع اقامة خزانات على النيل الاعلى .

المؤتمر الطبى الدولى

للبلاد الحارة

كتبت مصلحة السكك الحديدية الى وزارة المواصلات تقول ان وزارة المعارف طلبت اليها عمل التسهيلات اللازمة لسفر حضرات أعضاء المؤتمر الطبى للمناطق الحارة الذى سيعقد فى ديسمبر من السنة الحاضرة وقد شكت المصلحة فى هذه المكاتبة من ان مصلحة الجمارك لاتتساهل معها فى رسوم وارداتها فينتج عن ذلك أن تصبح ميزانيتها للمصروفات ضخمة مع أن السكك الحديدية تبدى تساهلا دائما فى سفر أعضاء المؤتمرات التى تعقد فى مصر

وقد اقترحت مصلحة السكك الحديدية على الوزارة أن تتحمل هى مبلغ ٣٧٫٥ فى المائة من أجرة تنقلات الاعضاء وتتحمل ميزانية المؤتمر الباقى ولا يزال هذا الاقتراح موضع نظر الوزارة

الثلاثاء ١٤ فبراير

فى وزارة المواصلات

بعثة الطيران المدنى

ترشح وزارة المواصلات اثنين من المصريين لايفادهم الى انجلترا لتعلم فن الطيران المدنى علميا وعمليا وتشترط الوزارة فى أحد الطالبين أن يكون حاصلا على دبلوم مدرسة الهندسة الملكية المصرية أو على درجة بكالوريوس فى العلوم الهندسية الميكانيكية من انجلترا وأن يكون ملما بالمعلومات التى تساعده على دراسة فن الطيران وتسهل له فهمه من غير صعوبة أو عناء ، ولا تشترط الوزارة فى العضو الثانى للبعثة شروطا معينة ، وقد حددت الوزارة يوم ٧ مارس المقبل كآخر موعد لقبول الطلبات وتقرر أن يسافر العضوان الى انجلترا فى شهر مايو المقبل [...]

***

اختصاص مفتشى الداخلية

عدلت وزارة الداخلية اختصاص حضرات مفتشيها اعتبارا من أول الشهر الجارى على النحو الآتى : يختص احمد زكى مصطفى بك بالغربية والقليوبية وبيومى على نصار بك بالدقهلية والشرقية ومحافظة دمياط وابراهيم أدهم بك بالبحيرة والمنوفية وبدوى خليفه بك بالمنيا وأسيوط وشمس الدين عبد الغفار بك بالجيزة والفيوم وبنى سويف وأحمد محمد الحفناوى بك بجرجا وقنا وأسوان والسيد العشرى بك وعباس سيد احمد بك بادارة عموم الامن العام

***

الاربعاء ١٥ فبراير

اختلاس الاموال الاميرية

أبلغت النيابة العامة أن ابراهيم افندى حسن الموظف بها اختلس ١٢٣ جنيها من الاموال الاميرية فتولى التحقيق حضرة احمد زكى [...] بك وكيل النائب العام ، فاعترف المتهم وادعى أن المبلغ نقل منه من سبعة أشهر تقريبا ولايزال أثر الجريمة موجودا علامة حيث شق [...] الذى يحوى النقود

وقد قرر حضرة المحقق القاء القبض على المتهم رهن التحقيق .

***

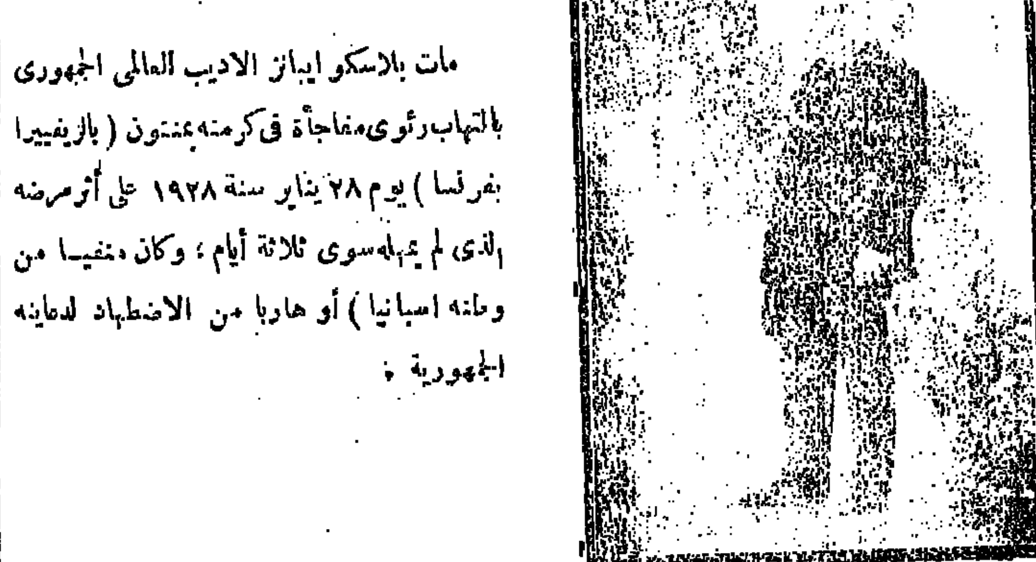
مصر والمعارض الزراعية

فكرت وزارة الزراعة فى اعدادها [...] فى جميع المعارض التى تقام سنويا فى [...] خارج القطر وذلك لتعرض فيها الحاصلات [...] الزراعية فى الدنيا

بلاسكو ايبانز

١٨٦٧ — ١٩٢٨

مات بلاسكو ايبانز الاديب العالمى الجمهورى بالتهاب رئوى مفاجأة فى كرمنتون (بالريفييرا بفرنسا) يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٨ على أثر مرضه الذى لم يمهله سوى ثلاثة أيام ؛ وكان منفيا من وطنه اسبانيا) أو هاربا من الاضطهاد لدعايته الجمهورية .



(بلاسكو) ! تموت اليوم فى النفى بينما … تعيش بدنيا قد ملكت وأوطان
وترثيك آلاف العقول التى غت … بنورك فى ليل من الخوف طغيان
ويسكن هذا الصدر بعد اعتياده … طليق الهواء العفو فى قرب غدران
عنت رثتاك اليوم للموت بعد ما … تعودتا حرية دون إيذان
فيا أسفى للحر يمضى كعبده … ويا ألم العقبان فى موت غربان
وإن كان فى موت العظيم مهابة … يحس بها النائى ويلمحها الرائى
ويذهل فى تكييفها كل باحث … ذهول جبان عند وثبة طعان
تموت ممات الخلد وهو خرافة … وحق ، كأن الموت والخلد سيان
تهز نفوس العابدين جلالة … لحكمتك الكبرى بحيرة إيمان
كأن لم تكن بالامس أنت عزاءهم … ومبعث هم للتجدد فى آن
وواصف دنياهم بخبرة سائح … وواصف أخراهم بدقة فنان
و (بالمثل الاعلى) فتنت وزدتهم … من الفن فتانا يضىء لفتان
فلا بدع إن ريعت قلوب ذكية … ولا عجب فى لوعة جنب نكران
مماتك إصغار الهوان لعالم … من الفكر قد لاقى الوجود بعصيان
فتلك ترثيه البرية اذ ترى … منيته للعالمين كعنوان
وترثى به آلامها ورجاءها … وأجرأ إنسان وأرحم إنسان
وما مدمعى هذا سوى قطرة جرت … الى سيل إشفاق الى بحر أشجان
وأنت لهذا الكون تعزى فواجعى … وفاء لمن بالفكر يرفع من شانى
بكل ربوع الفكر قامت مناحة … وإن حجبت ، فاقبل لواعج عرفانى

***

نشأت بحكم العسف حرا شعاره … إخاء وتحرير لفكر ووجدان
فأصليت من خاصمته النار ثائرا … عنطقك المنبوع من حب شبان
وكنتم شفاء للجروح ، وكنتمو … على الظلم مدحورا قذائف بركان
ولكن رماد النار يأسى ، وهكذا … أسنيتم ، فأصليتم مجدد نيران
وذقتم من السجن الوبيل مصائبا … وأسرا وتحقيرا كزمرة جرذان (١)
عناء به أثبت حقك فى العلا … فما دالت العلياء يوما لغفلان
وصرت وصحب ناصروك أعزة … لشعب رأى التكريم أجدر بالعانى
تجشمت أهوالا فما دنت مرة … لظلم ، ولا كنت المذبذب والوانى
نشأت المعنى الأسمى منذ حداثة … ترى العار عيش الجبن فى ظل طغيان
ترى الطوع للاصلاح والعلم عندما … يصون أمانى الناس من خبث شيطان
قضيت الشباب الصفو ظمآن ثائرا … ومت ولم تهدأ بحرقة ظمآن
وكان اليراع الحر لهدم فاتح … وصمصامة الداعى الى الخطر القانى
جريح ولكن صبره جنة له … تدرعه ، والجرح شارة فرسان
وما رتل الازهار أشهى لسائح … وأغلى من الآلام فى رفع بنيان
كفتك غنى فى النفس أو عزة لها … فان الغنى أن لا تحن لغنيان
وقد كنت تاجا للقناعة فى الذى … وأحسب هذا التاج زينة تيجان
وكنت مبرا فى الصحافة فاعتدت … بسلطتها تعلو على كل سلطان
تهز العتى الظلم وهو مدزع … وتهدى الى الالباب طاقة بستان
وكنت المعين الغمر تبقى ظوامئا … الى الحق حيث الحق سام ، دهقان
وكنت الذى خلى النيابة رتبة … تجلت ومنه الوحى شع لاقران
مرارا تجلى فى النيابة بيننا … (بلنسية) الحسناء زهو نيسان
الى أن تنادى الناهضون وقدروا … جلالك فى حب بذلت وعدوان
فسرت الى (الدنيا الجديدة) حاملا … لواء النبوغ الفذ فى عزم يقظان
لهم نداء من قلوب كبيرة … تجلت أوفا فى حلاوة لقيان

منحت (بتاجونيا) فتوحا جليلة … من الخصب معوانا لنصرة معواز (٢)
وعدت الى نهر الحياة موزعا … تضوبك فى علم ودربة إمكان
فما أبت للتحريض نارا ، وإنما … مزجت طيب السخط بالادب الحانى
قدمت حياة قد بلوت ضروبها … فن طوع أوهام الى رفع أوثان
وكيف بها الانسان رغم حلوله … يسوق الى أنثاه أجمل قربان
وكيف رجال الدين يبنون دورهم … على نقض ما للعلم من شم أركان
وكيف جنت هذى السياسة دائما … على الناس حزنا لا يقاس بأحزان
ولما دعا داعى الحضارة للوغى (٣) … بذلت ولم تعبأ بصفقة خسران
وضحيت ما ضحيت من جهدك الذى … كفى سرر الآداب من رفعة الشان
وكانت به أولى ولكن بذلته … لظنك أن السيف ليس بخوان
فكنت تراعى كاللفيف (٤) وقد مضى … لصوص الوغى بالنصر فى فرط كفران
وألفت سفرا ينصر الحق نشره … فذاع كالانجيل وضاع بنسيان !
وما زالت الدنيا بشر وما انقضت … عروش ، وإن ثلت عروش لبلدان
وما برح (الغرب) الشقى مرقصا … على الجر محجوبا بحاجب بهتان
وما فتىء المنهوب يرضى بحظه … من النهب باسم الملك أو باسم سلطان
وما كان كل العدل فى صف جيرة … ولا كان كل الجرم فى صف (جرمان)
ولا كل أذان بدعوى حضارة … أصاب كما تحيا الصلاة بأذان
ولو كان (دنتى) فى الحياة لصاغها … مهازله الأخرى بأروع ديوان
فأشجاك ما أشجى قلوبا كبيرة … وآثرت عيش النفى بل عيش إمعان
ولم ترض يوما أن تكون مطية … لشهوة حكام فكنت كبزان
وكنت مليكا دون تاج يهابه … أولو البغى من عاشوا بلذة إثخان
شريد عزيز مستقل ، شعوبه … أعم من الحصر المخص بأبدان
وميراثه للناس ميراث ماجد … أبى خسرهم وهو المصاب بحرمان
قضى حردا فى معزل عن ربوعه … وان عاش فى كون من الفكر روحانى
يفكر فى تأليف دنيا فتية … كتابا ، ويحكى عن مداه لفتيان (٥)
فعاجله الموت الذى غال قبله … كنوزا وآيات وأنفس أذهان
وخلفنا فى حيرة الشك والأسى … من الأمل الباقى الى العرض الفانى

***

فيا راحلا والعالم الحر نادب … صديقك والخصم المعاند صنوان
فانك فنان وللفن حرمة (٦) … وان أخطأ التقدير فى حال ادجان
ولا بد من تاج بكى لك خلسة … كما نحن أسوان يبث لاسوان
وما كان فينا كاره التاج ، إنما … جزعنا لأن يطوى النبوغ بأكفان
وانى كفرد أشتهى من يذمنى … اذا كان مفتنا بأسلوبه الشانى !
فكيف بذى بأس علا عن شماتة … وان كان مضطرا الى خطة الجانى ؟
ولو كنت فى قدر كقدرك لم يكن … رثائى الا قصة ذات ألوان
أضمنها اقدامك العمر مثلما … أضمنها مالاح من مجدك الثانى
وأروى حنينا من تراب بموطن … بعيد ومن شمس لديه وريحان
وأحكى فخارا فى ثرى مدفن العلا … (عننون) اذ ضم (الحياة) بجثمان
علا لا الممات اليوم رغم شكوكنا … يجافى من زهوا بأسوأ اعلان
ولا الفيلسوف النافذ الرأى يدعى … يقينا بعقباها ولا شرط ايقان
ولا الملك الراثيك رغم قطيعة … ليجحدها أو يزدرى بأسها الدانى
لحسبى اذن شعر العواطف والاسى … فانى اذا حاولت وصفك أعيانى
وما الشعر الا للعباقر مآله … وسيرتك العلياء زينة أوزانى
وما الشعر الا الحس بعد حدوده … وقد كاد حسى فى وفاتك ينعانى
وحسبك موتا لفظة الروح هادئا … على صدر من راعتك من غير نشدان (٧)
بذات لها حب الحياة بأسرها … فجازتك برا لا يقاس بأعنان
وحبيت الموت الاليم لتكاره … وأعطتك صفو الموت من حب أوطان

احمد زكى ابو شادى

---

(١) اشارة الى ما ابتلى به واصحابه من تعذيب وسجن فى صباه ، حيث كان متحمسا يدعو بشدة الى الحكم الجمهورى وبخاصة انشاء نظام كنظام الولايات المتحدة فى بلاده ، فما كادت تهبط حرارة الحركة الجمهورية حتى أذيق ويلات الانتقام ، ولكن عقيدته لم تتزعزع برغم ما عاناه من شدائد .

(٢) أى الشعب الارجنتينى الذى أحبه ، وباتاجونيا من مقاطعات الارجنتين حيث أنشأ بلاسكو ايبانز مستعمرته الزراعية .

(٣) اشارة الى الحرب العالمية وانتصاره للحلفاء .

(٤) اللفيف : من يحرس متاع اللصوص ولا يسرق معهم ، وكتاب الحرب المشار اليه هو المسمى (الفرسان الاربعة) وقد راج رواجا نادرا ودر خيرا كثيرا على ناشره الذى كان اشترى حق الطبع من المؤلف بمبلغ تافه .

(٥) هو كتابه الاخير المسمى (شباب العالم) ، وكان مشتغلا به قبيل مرضه ، وكان تحدث عنه حتى دقائق قبل وفاته .

(٦) اشارة الى تقدير الملك الفونسو له رغم عداء بلاسكو ايبانز للملكية ، ورغم تأليفه كتابا ضد مليكه بالذات ، حيث وصفه بالالمان !

(٧) اشارة الى زوجته حيث مات واضعا رأسه على كتفها وكان يحادثها ويحادث ولديه قبيل وفاته الباغتة .

صحافة الثورة الفرنسية

وأثرها فى توجيه حوادث الثورة

لم تعرف فرنسا قبل الثورة الفرنسية أثرا يذكر للصحافة فى الشئون العامة . ولكن النفوذ الذى ملكته الصحافة يومئذ على قلوب الكافة لم يكن الا نتيجة أحقاب متعاقبة من التطورات الصحفية والفكرية . فقد بدأت الصحافة الفرنسية منذ أوائل القرن السابع عشر . ولكنها كانت ضئيلة من حيث المادة والغاية والوسائل ، وكان كل ماتحوى من الانباء مقصورا على حركات الملك وكبير أو سيدة كبيرة ، وكانت تصدر كل أيام أو أسابيع حتى تظفر بالمادة الكافية لظهورها ، ولم تظهر أول صحيفة يومية الا فى نوفمبر سنة ١٧٧٧ ، وهى جريدة « جورنال دى بارى » . وكانت السلطة الملكية هى العليا فى توجيه الصحافة وإدارتها كما كانت حرية الرأى والكتابة تخضع لطائفة مرهقة من الاوامر الملكية والقيود الادارية . ولكن الثورة حررت القلم كما حررت غيره من وسائل الاعراب عن الرأى . وكان سقوط الباستيل ايذانا بانفجار فكرى هائل لبث يرزح تحت صنوف الارهاق والبطش . وكان القلم الى جانب اللسان أداة قوية مؤثرة لنشر الآراء والدعوات المختلفة . فلم تنقض أسابيع على ثورة يوليه (سقوط الباستيل) حتى ظهرت طائفة من الصحف الجديدة تضطرم بمختلف الدعوات الملتهبة بيد أن القلم وحده لم يكن يحمل كل أعباء الصحافة فى هذا العصر . فان الصحافة الشفوية (صحافة الرواة) كانت قوة كبيرة فى توجيه الرأى العام . وكان لاولئك الرواة أهميتهم منذ القرن السادس عشر وكانوا قبل أن يبزغ فجر الصحافة المكتوبة كل شىء فى استقاء الاخبار وبثها بطرق وأساليب منظمة . كانوا عماد الرواية حتى فاتحة الثورة . وكان لهم نفوذهم وأهميتهم فى الثورة أيضا ، ولكن الصحافة المكتوبة أخذت منذ الثورة تستأثر بالرأى المعقول ، وأخذ نفوذ الرواة يقتصر شيئا فشيئا على الكافة والدهماء . ولكن هذا التطور لم يلتمس من هذا النفوذ اذا علمت أن [illegible] كانوا سادة فى الثورة يسيطرون على اقدارها [illegible] عديدة ، بل كانوا روح المؤتمر الوطنى فى كثير من المواقف الحاسمة وكان ميدان « الباليه رويال » بحدائقه ، ومنتدياته ، ومطاعمه ، ومشاربه ، [illegible] محطا لرحال الرواة ، ومنتجع الشارد [illegible] من تحفزهم طلعة الاخبار . وكانت طاعة [illegible] يومئذ ظاهرة قوية من ظواهر الحياة الاجتماعية ، بل كانت تغلب لدى الكثيرين على كل شىء . فكان الجمهور الحاشد المتلهف يتكأكأ حول أولئك الرواة ليستمع من أفواههم أنباء [illegible] والنبلاء ، والمؤتمر ، والحزب . وكانت الاخبار المروعة أو العنيفة أشدها اذ كاد للحماسة [illegible] على ما يقول مارة وتتلى فى مذكراته [illegible] سخطا على السلطة الملكية ، ويعتبرون [illegible] الجرمة فى غلاء القمح وبأساء الشعب ، [illegible] القرابين التى يجب أن تلقى الموت » . [illegible] فى سنة ٨٩ : « ان [illegible] الباليه رويال تعرض مناظر مدهشة ، [illegible] من الداخل فقط ، ولكن الجمهور [illegible] حول الابواب والنوافذ ، يصغى والرقاب [illegible] الخطباء الذين يمثلون كرسيا [illegible] ويخطب كل منهم جماعته الصغيرة ، [illegible]

ليصغوا الى القراءة ، ويقرأ الخطباء أقوى ما كتب عن حوادث اليوم ، ولا يقطع حبل الصمت سوى هتاف الاستحسان ، وصيحات « أعد ! » . الخلاصة أن الباليه رويال كان أيام الثورة الاولى روح باريس وقلبها النابض ، وكان الرواة أهم عناصر هذه الروح .

***

الى جانب صحافة الرواة ، وثبت الاقلام من عقالها ، والآراء من سجونها فى ثوب جديد هو ثوب الصحافة السياسية المنتظمة . وكانت صحافة ثورية بلا ريب ، تحفزها الشهوات والاهواء الثورية ، وتوجهها العواطف الشخصية والحزبية . ومن ثم كان أثرها عميقا فى نهوض الاشخاص والاحزاب وسقوطهم ، وفى توجيه كثير من حوادث الثورة الكبرى . وكان فى مقدمة هذه الصحف الجديدة صحيفة لوستاليه المسماة « ثورة باريس » وكانت فى وقت من الاوقات أشد الصحف الباريزية ذيوعا حتى قيل انه كان يوزع منها مائتا ألف نسخة فى اليوم وكان لها أثر وافر نفوذها فى بدء الثورة . ولكن شأن الصحافة السياسية سما واشتد بأسها بتطور حوادث الثورة واتساعها . وملك ناصية الصحافة وقتئذ جماعة من زعماء الثورة والارهاب أشهرهم كاميل ديمولان ومارا وايبر . وكان كاميل ديمولان داعية كبيرا ، وكاتبا بارعا ، وكان له قسطه من الزعامة وطالعه فى قيادة الشعب الباريزى الملتهب ، وهو الذى دعا الشعب فى ١٢ يوليه الى سحق الباستيل . وكان يمتاز عن كثيرين من الزعماء بنقاء مبادئه ومثله . أخرج للباريزيين فى نوفمبر سنة ٧٨٩ صحيفته الاولى المسماة « ثورة فرنسا وبرابان » فما لبثت ان صادفت نجاحا هائلا ، كان يصدرها كل أسبوعين ، ويكتبها بأسلوب فصيح ملتهب ، ويصور فيها سيئات النظام القديم ، بسخرية شائقة . ويكفى ، لأن نقدر نفوذ ديمولان الصحفى ، أن نذكر أن قلمه الصارم هو الذى أودى بحزب الجيرونديين الى السقوط وبزعمائه الى النطع . وان نشرته الملتهبة التى حمل فيها على الجيرونديين ، وعنوانها « تاريخ البريسوتانيين . كشف القناع عن بريسو » (وبريسو زعيم الجيرونديين) ، كانت هى قرار اتهام أولئك الزعماء أمام المؤتمر . ثم تطورت آراء ديمولان بتطور الثورة ، وعاف سياسة العنف والسفك ، فظهر على باريس بصحيفة جديدة « هى الكردلييه القديم » ، وهى التى يصفها ميشليه بأنها « الصيحة الملكية التى تحرك القلوب الى الابد » ، وظهر العدد الاول منها فى ١٥ فريمير للسنة الثانية من الجمهورية (٥ ديسمبر سنة ١٧٩١) وفيها حمل كاميل على زعماء التطرف والارهاب ، ايبر ، وشوميت ، ومومرو ، وكلوتز وغيرهم ، ونادى بوجوب وضع حد للسفك ، وحمل على القوانين والهيئات الثورية الاستثنائية ، فكانت هذه الخصومة التى أشهرها على زعماء الارهاب نذير سقوطه وعطبه ، وكانت حملات « الكردلييه القديم » من أدلة اتهامه .

وكان يمثل الآراء العنيفة المتطرفة صحيفتان الاولى جريدة « صديق الشعب » التى بدأ جان بول مارا باصدارها فى سبتمبر سنة ١٧٩٠ ، وكان مارا كاتبا مجيدا ، وصحفيا بارعا ، وكان له فى استثمار مشاعر الجماعات ، وإثارة أهوائها ، وتحقيق [illegible]

الشعب » يظهر فى المجتمع الباريزى حتى ذاع ذيوعا هائلا ، وسرعان ما برز محرره الى صفوف الزعماء وقادة الفكر فى تلك الفترة العصيبة .

ولكن مارا كان يؤثر بنشاطه الجانب الاسود من وجهات الثورة ، فما كان يدعو فيما يقول أو يكتب الا الى السفك ، وما كان يقر سوى العنف ، أو يقنع الا بالدمار والفوضى . كان مارا ، لسان أولئك المونتانيار الذين أخذوا على المعتدلين كل سبيل ، وأطلقوا العنان لاروع الشهوات والعواطف . كان رسول الموت الى مجتمع الثورة فكان « صديق الشعب » يدعو الباريزيين الى السفك فى كل يوم ، ويذكى سخط الجموع على خصوم الارهاب والتطرف . وما زال مارا فى صعود ، ونفوذه فى ازدهار ، وصحيفته تمهد الى الدمار والسفك ، حتى زهق بخنجر شرلوت كرداى فى ١٣ يوليه سنة ١٧٩٣ . وكانت صحيفة ايبر ، وهى « الاب دوشين » ، كصحيفة مارا ، بل كانت أشد صرامة وفظاظة . وكان ايبر من رءوس المونتانيار ، وأشدهم تطرفا وأنشطهم دعاية الى الخراب والسفك ، وكان قلمه فوق ذلك بذيا فاجرا لا يعف عن مطعن ، ولا يرعى حرمة . وكان « الاب دوشين » أشهر صحف هذا العصر ، وأشدها ذيوعا بين الجماهير . وقد اشتهر بالاخص بحملاته على الملك والملكية ، ورجال البلاط ونسائه . وله بالاخص فى حملاته على مارى انتوانيت مواقف دنيئة ، وكان لتلك الحملات الصاخبة المتيفة أثر كبير فى جماهير الكافة .

هذه هى أشهر صحف الثورة الفرنسية التى ازدهرت فى أطوارها الاولى ، وفى أيام الارهاب ، وكان لها أثر عميق فى حوادث هذا العصر ، ومجتمعاته . وكانت الحوى التى تأخذ يومئذ بكل الاذهان تفسح أكبر مجال للدعوات التى حملت تلك الصحافة الملتهبة الدامية على بثها . وقد حاول بابيف ، بعد الارهاب بعامين ، ان يعيد مجدها

الذى توارت شمسه بقيام الحكومة المؤقتة (الديركتوار) فاصدر جريدته « منبر الشعب » ولكن الاذهان المضطرمة كانت قد هدأت نوعا فلم تحسن اصغاء لما كان يبثه بابيف فى صحيفة من المبادىء الشيوعية واللاحكومية . وكان بابيف فوق ذلك ذهنا هائما وثابا يجنح الى الدس الخفى ، فلم يلبث أن هلك على النطع ضحية الائتمار بالحكومة المؤقتة (سنة ٩٧) ، فكان مصرعه خاتمة لذلك الجيل الصحفى القوى الثائر الذى نال قسطه من قيادة حوادث هذا العصر ، والتأثير فى عقليته ومجتمعاته

***

كانت الثورة كما رأينا علم الحرية القديمة . اللهم الى يوم غدا اليعقوبيون سادة ، فعندئذ أخذت تسقط رؤوس أولئك الذين يدعون الى آرائهم خصيمة ، وكان ملق زعماء الوقت ومداهنته شرطا لحرية التفكير والكتابة . على ان الصحافة خطت فى تلك الاعوام القلائل خطوات شاسعة . وقد أسفر ذلك التقدم عن اختفاء طائفة الرواة ، أعلام الصحافة الشفوية ، وسيطرت الصحافة الكتابية على الميدان بما هيىء لها من مادة ، وحجة فى الرواية ، وسرعة فى الذيوع لم تصل اليها الصحافة الشفوية فى وقت من الاوقات . على ان هنالك نتيجة غريبة لهذا التقدم هى اختفاء الرأى العام الذى كان الرواة سداه ولحمته . كان الرواة صدى الرأى العام فى كل فرنسا ، وكان هذا الرأى يملأ كل الابهاء ، والمنتديات ، والمعاهد ، والمشارب ، وكان مبعث التآلف والتعارف والامتزاج بين جميع الطبقات . فلما ذهب الرواة ، واستطاع كل ان يقرأ الاخبار فريدا ، فى صحيفة او نشرة دورية ، غاض هذا الرأى ، وبعد ان كان هو الذى يسود ويحكم أيام النظام القديم ، حلت الصحافة محله ، وتبوأت مكانتها فى الحكم وتسيير الشئون العامة

محمد عبد الله عنان

مناجم الفحم فى أوربا
وسياسة الدول ازاءها

مقدمة ـ انجلترا واضراب سنة ١٩٢٦ ـ فرنسا ومنع استيراد الفحم
سياسة الممالك الاخرى ـ مصر والقوى المحركة

مقدمة

منذ أكثر من مائة عام ، كانت الاخشاب مادة الوقود ، ولم يستعمل الانسان مادة أفضل منها قبل الاهتداء الى قوة البخار . الا أن الكثيرين يؤكدون أن الصينيين استخدموا الفحم منذ الاجيال الاولى ، وبلادهم أغنى مناجم الفحم ولو أن الصينيين لا يستخرجون منها الا ما ندر ، وقد عرفه ايضا قدماء الاغريق والرومان ، ولكن استعماله كقوة محركة لم يعم الا منذ الانقلاب الصناعى . وهذه المادة لا يقاس ما لها من الاهمية ومن الأثر الاقتصادى الا فى الممالك الصناعية . فأى شلل يصيب حركة استخراجها يؤدى حتما الى نتائج وخيمة لا تقل عما يصيب الفلاح المصرى على أثر هبوط أسعار القطن ، وما يصيب البلاد من اضطراب فى الحركة الاقتصادية . فالفحم مادة التدفئة فى منازل الممالك الشمالية من الكرة ، والقوة المحركة للصناعة عامة ، ومنه يستخرج الغاز الذى يستخدم للاضاءة والتدفئة وهو ينبوع لا ينضب لرجال الكيمياء الذين يستخرجون منه المواد اللازمة للصباغة والامونيا التى تستخدم فى صناعة كثير من الاسمدة الصناعية .

ومما يجب ملاحظته أن حقول الفحم قد أدت الى نشوء مدن تختلف اختلافا كليا عن بقية المدن فى ماهية تكوينها ، فهى مجموعة من حقول مشتتة تتكون منها المدينة . ولا يزال سكان مدينتى جلاسجو وبيزلى يتنازعان فى أيهما ضاحية للاخرى مما يدل على صعوبة التفرقة بين المدينتين ، ولو أنا قارنا بين مدن انجلترا التى نشأت أثر الانقلاب الصناعى وبين تلك التى قامت فيها الصناعة الالمانية لاتضح لنا جليا أن الصناعة انتقلت فى الاول الى حيث يوجد الفحم ، أى انه قد ظهرت فيها مدن جديدة بينما قامت الصناعة فى مدن الثانية التى لها شهرة تاريخية .

والفحم هو بقايا أشجار اختفت فى العصور الاولى تحت الارض بسبب ما ينتاب القشرة الارضية من التغير بفعل الحرارة الباطنية ففقدت جزءا عظيما من الايدروجين والاكسيجين ولم يبق فيها سوى الكربون . ويوجد بين الصخور طبقات عظيمة منه قد يبلغ سمكها أربع أو خمس أقدام وقد لا يتجاوز أحيانا ثمانى عشرة بوصة . والمعدنون الذين يشتغلون فى مناجمه يلاقون مشقات عظيمة عند استخراجه ، واذا كانت طبقاته كثيفة أمكن العامل أن يقف منتصبا أثناء عمله ولكنه يضطر الى الجلوس اذا كانت الطبقات رقيقة . والحقيقة أن العامل فى مناجم الفحم يتعرض لاخطار جسيمة نتيجة الرطوبة التى تحيط به والتى قد تصل الى فيضان يؤدى الى غرق الكثيرين منهم ، وبالعكس قد تشتد الحرارة أو ينتشر الغاز الذى يؤدى الى اختناقهم فى حفلات محدودة ، فلا غرابة اذن اذا سمعنا عن اضرابهم بين آونة وأخرى ، فعليهم قوام الصناعة ونجاحها ، يجزى اليهم ويكفيهم ما يتعرضون اليه من الاخطار التى لا يبالون بها كثيرا وهم ينتظرون إزاء ذلك الراحة الكافية والاجور التى تتناسب مع جهودهم

انجلترا واضراب سنة ١٩٢٦

وقد اشتهرت بلاد الانجليز ، منذ قيام الصناعة الحديثة ، بوجود كميات عظيمة من الفحم الامر الذى ساعدها كثيرا على أن تتبوأ مركزا ممتازا بين الامم الصناعية فلا توجد أمة تتفوق عليها فى الوقت الحاضر سوى الولايات المتحدة التى يبلغ ما يستخرج من مناجمها حوالى ٥٠٠ مليون طن ، أما بلاد الانجليز التى تنتج أكثر من نصف هذه الكمية فقد امتازت بجودة انواع مستخرجاتها ووقوع مناجمها بجوار السواحل ، هذا الى الحذق الوراثى الذى يمتاز به العامل الانجليزى مما لا نظير له فى سائر الممالك الصناعية الاخرى . ولا شك أن لكفاية العامل فى الانتاج دخلا عظيما فى رخص المنتجات : فالعامل الانجليزى عماد الثروة فى بلاده وكفايته تعد من الثروة العامة فيها . الا انه بالرغم من مقدرة العامل وكثرة انتاجه لا يمكننا أن نجزم بان زيادة اجره فى السنوات الاخيرة اصبحت تتعادل مع تلك الكثرة لان الاجور قد زادت حتى اصبحت ضعف ما كانت عليه قبل الحرب . وقد تنبأ الاستاذ جيفونز سنة ١٨٦٥ « بان اثمان الوقود سوف تزيد فى أجل قصير الى درجة تؤثر فى تجارة البلاد الانجليزية وصناعتها تأثيرا سيئا ، وانه سوف يكون من وراء ذلك ما يوقف التقدم والرقى الصناعى الذى تقدمت به انجلترا بقية الامم » . وقد ظهر تأثير أقواله عام ١٨٧١ اذ تشكلت لجنة لبحث مسألة الفحم وما يتفرع منها من مشكلات الاجور وساعات العمل ونصيب العامل من الراحة وحقوقه ازاء اصحاب رؤوس الاموال . وأول اضراب يذكره التاريخ للمعدنين كان عام ١٨٩٣ واستمر ١٧ أسبوعا وكان من أهم نتائجه تنبيه الاذهان للحالة السيئة التى كان المعدنون يعملون فيها . أما اضراب العمال الذى قاموا به سنة ١٩٢٦ فقد أثر تأثيرا سيئا فى الصناعة الانجليزية . والحقيقة ان اضرابهم قد قضى على آمال المنتجين عامة . وامتازت تلك السنة بأزمة عالمية شملت كثيرا من الاصقاع ولا تزال الامم الزراعية والصناعية تعانى آثارها الى الآن . فكانت أهم ظواهرها قلة فى الاستهلاك ، وهبوط هائل فى الاسعار ، وزيادة فى عدد العاطلين . لذلك لا غرابة اذا رأينا انجلترا تئن من آثار تلك الصدمة ولكنها أثبتت للجمهور الانجليزى أن لا مندوحة من العمل على ابتكار خير الطرق لتخفيض أثمان تكاليف السلع لان العمال الذين طالبوا بزيادة أجورهم لم يلجأوا الى ذلك الا نتيجة لغلاء المعيشة . وفى أثناء تلك الازمة كان أصحاب المناجم لا يجدون بدا من اغلاقها تخلصا من أعبائها . ولم يأت نوفمبر سنة ١٩٢٦ حتى بلغ عدد المناجم التى أغلقت ٢٨٦ يشتغل فيها ٤٣ ألف عامل ، الا أن بعض المناجم الاخرى لجأت الى حل ناجع وقاها شر الاغلاق وايقاف العمل فيها ، وذلك بانضمامها لبعضها وتوحيد ادارتها اقتصادا فى النفقات وهو حل وان أفاد أصحاب رؤوس الاموال الا أنه عاد بضرر لبعض العمال ، وقد حصل ذلك فى مقاطعات كثيرة أخصها ويلز الجنوبية ويوركشير الجنوبية أيضا وهذا الانضمام قد أدى الى الانتاج أقصى ما يمكن تحت اشراف ادارة مشتركة . ويبلغ ما يستخرج من مناجم المقاطعتين نتيجة للنظام الجديد خمسة ملايين من الاطنان فى العام

فرنسا ومنع استيراد الفحم

أما الحكومة الفرنسية فقد عمدت أخيرا الى حماية أصحاب المناجم من المنافسات الاجنبية وأرادت فى الوقت نفسه أن تشجعهم ليزيد ما يمكن استخراجه من المناجم الفرنسية ، لذلك صدر قرار فى مايو سنة ١٩٢٧ بمنع استيراد الفحم الا بترخيص من الحكومة ولكن قرارها لم يأت بما كان منتظرا من زيادة التجارة الفرنسية فى الفحم . أما قبل صدور قرارها فقد كانت فرنسا تستورد بمعدل ١٫٨٦١٫٦٠٠ طن فى الشهر من الفحم منها ٧٩٢٫٩٠٠ طن كانت تستوردها من انجلترا وقرارها هذا ينتهى فى أول السنة الحاضرة ولكن هنالك جهودا عظيمة يبذلها أصحاب المناجم ليحملوا الحكومة على الاستمرار فى سياستها ، ولكن الاحصاءات قد أثبتت ان النقص فى استيراد الفحم لم يحصل الا بالنسبة للواردات الاجنبية الالمانية وان واردات فرنسا من الفحم لم يهبط رقمها كثيرا ، ولكن من الواضح أيضا ان سياستها قد نجحت الى حد كبير فى تصريف كثير من المخزون من الفحم فى أسواق فرنسا ، الا أن هذه الاجراءات لم تعد انها علاج وقتى لا يمكن أن تعول عليه الحكومة ولكن اصلاح مناجمها الواقعة على حدودها الشمالية الشرقية والتى خربتها أثناء الحرب الكبرى هجمات الجيوش الالمانية المتوالية يؤدى الى ثبات مركزها أمام المنافسات الاجنبية ولو الى حد ما ، ومناجمها تحتاج الى كثير من الاصلاح الذى يعيدها الى سابق كفايتها التى كانت لها قبل الحرب . على اننا نرى من ناحية أخرى ان المناجم الفرنسية لا تكفى ما تحتاج اليه المصانع الفرنسية ، ولذا فلا يمكن لفرنسا أن تعتمد على مناجمها فحسب . أما المناجم التى فى الهضبة الوسطى فهى أساس الصناعات التى تقوم فى سانت اتين وغيرها ، وحيث توجد مناجم الحديد بكثرة فيمكن استخراجه واستخدامه فى الصناعة . هذا الى أن الفلاحين يقومون بتربية دودة القز فى الجزء الادنى من حوض نهر الرون . ويمكننا أن نقول بوجه عام ان قلة مناجم فرنسا قد أدت الى تأخرها فى الصناعة اذا نحن قارناها بانجلترا والمانيا والولايات المتحدة . واذا أضفنا ما يستخرج من حوض نهر السار الى ما ينتج من سائر المناجم ما تعدى مجموع المستخرج خمس ما تذره مناجم انجلترا . وقد نتج عن ذلك ان أعمال التعدين وتجارة الفحم أصبحت فيها محدودة : فبينما نرى ان نسبة الفلاحين الفرنسيين تفوق الصناع منهم نرى عكس ذلك فى انجلترا فالصبغة الزراعية تغلب فى الاولى ، بينما نرى مدن الثانية القاتمة ودخان مصانعها يملأ الجو ويفسد الهواء فيها .

سياسة الحكومات الاخرى

وقد حذت أسبانيا حذو فرنسا عندما أصدرت الاخيرة قرار مايو الماضى تشجيعا لاستخراج الفحم فى بلادها ولكنها اتبعت طرقا أخرى لتحقيق أغراضها فحتمت على بعض الهيئات أن تستهلك نسبا معينة تتراوح ما بين ٥٠ و ٨٠ فى المائة من مجموع ما تستهلكه من الفحم ، وأهم هذه الهيئات الاسطول الاسبانى والشركات الملاحية التى تمد اليها الحكومة يد المساعدة وكذلك السكك الحديدية ومعامل استخراج ... جميع الهيئات التى تقوم بالخدمات العامة . وقد تمشت سياستها ... فى ذلك أيضا ... على معطلات الفحم فيها ان تستورد الفحم المستخرج من المناجم الاسبانية . ولكن يلاحظون من ناحية أخرى ان ما يستخرج من مناجمها لا تزال أثمانه مرتفعة بالنسبة لما يرد من الخارج . أما أرباب الصناعات فيها فقد أدركوا عظم الفرق بين المستخرج من مناجم بلادهم وهو من نوع واطئ هذا الى غلو ثمنه ، ولذلك فهم يطالبون حكومتهم الآن بايقاف قرارها واباحة استيراد الفحم من الخارج بدلا من اضطرارهم الى استعمال فحم بلادهم ويعرف باسم فحم استوريا ، وهم لا يرون فى ذلك أى ضرر لان فحم بلادهم يصدر الى الخارج وتستورد بلادهم أنواعا جيدة . هذا الى أن فحم مناجمهم يستخدم لاغراض خاصة .

أما بلجيكا فتعتبر الآن مصدرة ومستوردة للفحم فى آن واحد فهى تصدر الانواع التى تحويها مناجمها لتستورد منتجات عالية النوع . ويمكننا ان نقول بوجه عام ان سياستها التجارية ليست متناسبة فتارة نراها تزيد فى صادراتها وأخرى يرتفع رقم وارداتها ، ولكن المستخرج من مناجمها الآن أكثر مما كان قبل الحرب اذ قامت الحكومة باصلاحها وجعلتها صالحة للاستخراج بعد ان دمرتها الجيوش الالمانية ، ولكن صناعة التعدين عامة آخذة فى النقصان بسبب المنافسات الاجنبية ، وقد كانت حكومتها تريد تقييد الوارد من الخارج ، ولكن التجربة التى قامت بها فرنسا واصطدمت بالفشل التام جعلت الحكومة البلجيكية تعدل عن فكرتها ، ولكن الحكومة ألفت لجنة مهمتها بحث مسألة الفحم وما يجب على الحكومة ان تتخذه ازاءها ، وذلك لان العمال فى حالة قلق شديد ، ولا تزال البلاد تنتظر أعمال تلك اللجنة وتتيقنة بحوثها ...

وقد ظهر أخيرا منافس عظيم لانجلترا فى تجارة الفحم وهى هولنده التى لم تكن ذات أهمية تذكر فى تجارته وخصوصا قبل الحرب التى جعلتها تذوق الامرين لتخريب كثير من المناجم التى فى القارة وانصرافه بريطانيا الى تكوين أساطيلها ومعاملها . ومملكة هولنده تعد فى الواقع قطرا زراعيا أكثر منه صناعيا ولكنها أخذت تعمل على تشجيع أصحاب المناجم حتى انه يبلغ ما تستخرجه الآن فى العام نحو ثمانية ملايين من الاطنان وهى فى الوقت نفسه تعد من الممالك التى تستورده لان مقدار انتاجها لا يكفى لما تحتاج اليه معاملها . وقد أدركت ضرر اعتمادها على الدول الاخرى وخصوصا أثناء الحرب حين ترتفع أثمان الوقود ارتفاعا فاحشا .

أما ايطاليا فتستورد من الفحم بمعدل ١٥ مليون طن فى العام ، وكانت تستورد عشرة ملايين طن قبل الحرب ، وتعتمد فى ذلك على انجلترا كثيرا ولكن حوادث الاضراب وما نتج عن الحرب الكبرى من زيادة أجور العمال فى انجلترا جعلها تعتمد على المانيا كما تعتمد الآن أيضا على بولندة . ونذكر انه فى أثناء اضراب العمال الاخير اعتمدت ايطاليا على أمريكا فى استيراد ما يلزمها من الفحم ، ويمكننا أن نجزم ان العلاقات الاقتصادية بين المانيا وايطاليا آخذة فى الازدياد زيادة مضطردة بدليل ان ما استوردته الثانية من الاولى من الفحم قبل الحرب لم يتعد ٨٩٠ ألف طن ولكنها استوردت حوالى تسعة ملايين طن عام ١٩٢٧ ، وينبغى ان نتذكر ان ايطاليا وان استوردت كثيرا من الفحم الا انها تعد فى مقدمة الممالك التى تستخدم القوة المائية لتوليد الكهرباء لادارة الآلات وتسيير قطرها الحديدية .

ونذكر أخيرا بولندة وهى كذلك بالنسبة لمادة الوقود التى تعتبر الآن عماد الصناعة فى كل قطر لان مكانتها الاقتصادية لا تقل الآن عن مكانة الدول الاخرى بعد ان نالت استقلالها فأصبحت تعتمد كثيرا على الموانئ الالمانية لتصدير الفحم ، وقد ظهرت مقدرتها أثناء حركة الاضراب فى انجلترا اذ زادت صادراتها زيادة ... نظرا لقربها من اسواق القارة الاوروبية ... من أجور العمال بها . ولذا تحاول بولندة ان ... رجال الحكومة الالمانية ليوافقوا على التسهيلات اللازمة لاستيراد الفحم ... ولكن الالمان يعارضون هذه ... كثيرا ويعملون على احباطها بكل قواهم ... بولندة لا تصدر الفحم الا لانه يزيد عن ... حاجتها فتعرضه باسعار منخفضة ، وهذا ... بلا شك بأوخم العواقب على أصحاب ... وأقطاب الصناعة الالمان . ثم إن ... وان كانت من أغنى الامم لامتلاكها ... عظيمة تحوى مناجم عدة وهى لا تقل ... ألف ميل الا أن حركة استخراج الفحم ... اذا قيست بالنشاط الذى نراه فى الممالك ... الاخرى أمثال انجلترا والمانيا

مصر والقوى المحركة

الآن وقد رأينا مركز كثير من أمم أوربا ... حكوماتها تجاه مسألة الفحم ، ونحن ... لا يوجد بالاراضى المصرية رواسب ... حتى اضطررنا لان ندفع خمسة عشر جنيها ... ثمن الطن أثناء الحرب الكبرى ، ولولا شركة البترول ... التى تقدمت الى الحكومة فأمدتها بما يلزمها منه ... لمنيت البلاد بمشكلة هائلة ربما أدت الى وقوف ... الآلات ولكن الاوهام التى قامت فى الاذهان ... ان مصر بلاد زراعية ولا يد لها أن تكون صناعية ... قد بدد الآن فقد كان القرن التاسع عشر يعتبر ... عصر التجارة ولكن القرن العشرين هو عصر ... الصناعة بلا شك ، وأمامنا عدة شعوب لا يوجد ... عندها الفحم ولكن الصناعة قائمة فيها بفضل القوة ... المستخرجة من مساقط المياه فيها كسويسرا ... وايطاليا وغيرهما . ولدينا كذلك سد اسوان وبه ... فتحات تسمح للمياه بالمرور فيها كلما أريد ذلك ... ويبلغ مجموع ما اتفق عليه ٥ ملايين من ... الجنيهات والغرض منه أن يحجز جنوبيه مقدارا ... من مياه النيل لكى تروى بها الاراضى فى فصل ... الربيع وأوائل الصيف ، ولا يخشى على المصانع اذا ... استخدمنا قوة المياه لان الخزان يكون زاخر ... القوة اندفاع المياه تحفظ استمرار الصناعة ... طوال السنة والقوة المتدفقة من الخزان يرجح ... الخبراء أنها كافية لتمد الوجه القبلى على الاقل ... بالكهرباء اللازمة اذ تتدفق المياه فى شهر سبتمبر ... بمعدل ٥٫٨٨٨ متر مكعبا فى الثانية .

وينبغى ان نذكر أيضا ان العوائق التى يقولون ... انها تعوق الصناعة قد ذللت من نواح كثيرة وأهمها ... حرارة الجو فى مصر فقد تمكن العلماء من ايجاد ... وسائل لتلطيف الهواء داخل المصانع فليست مسألة الوقود ... هى العقبة الوحيدة التى تقف حائلا ... فى سبيل قيام الصناعة ، ولدينا اليد العاملة ... الرخيصة بكثير من الممالك الاخرى . هذا الى ... المواد الخام كالقطن وغيره ولا ينقصنا ... رؤوس الاموال فهى متوافرة أيضا فى بلادنا انما ... ينقصنا العزيمة والتعاضد ومعرفة خير السبل ... لاستثمار أموالنا فقد بقينا سنين طويلة نعتقد الا ... ثروة الا فى الملكية العقارية ولم نعر ... الصناعات المنتجة الحديثة أدنى اهمية ولكن ... استقلال البلاد السياسى لا تكون ... له دعامة متينة ما لم يكن عماده الاستقلال ... الاقتصادى وكفانا ما أصاب البلاد بسبب اعتمادنا ... على القطن وحده ، ولا زلنا ننتظر ذلك اليوم ... الذى نرى فيه المصانع منتشرة فى طول البلاد ... وعرضها تعمل بفضل القوة الكهربائية التى تعمل على ... توليدها من المياه المتدفقة من السدود والقناطر

فايق كامل
بالتجارة العليا

رسائل حرة

شوقى للحق والتاريخ

ترد علينا رسائل فى الادب كثيرة تخالف رأينا احيانا وتتفق معه احيانا اخرى . وقد رأينا اقرارا لحرية الادب وتقديرا لرأى ذوى الرأى أن ننشر منها ما يتفق والبحث العلمى أو الادبى ملقين تبعته على صاحبه

شوقى شاعر نابه ، وهو أحد اولئك الذين كتب لهم الزمن فى تاريخ الادب العربى صفحة باقية سواء عليه أنال رضى الخاصة من المتأدبين أم لم ينل .

ولقد كان الشعر فى مصر منذ نيف وثلاثين عاما ركيك الاسلوب ، متبطل اللفظ ، رخو العبارة . وكان الشاعر المجيد فى ذلك العهد من يرزق رصف الحروف ، وسبك الكلمات .

ونشأ شوقى بين معاصريه من أهل هذا الجيل يمتاز بحظ غير قليل من تلك الصفات . فلما تداولت الاساليب ، ونشطت المطابع فأخرجت للناس من روائع الدواوين ، وبارع شعر المتقدمين ، استنارت القرائح ، وصقلت الاذهان ، بما ذاع من تلك الآثار وما نقل الى اللغة العربية من ثمار العقول الغربية . واذ ذاك تكسرت أجنحة شوقى فلم يقو على النهوض الى مثل الذروة التى كانت له فى سالف عهده . ذلك لان حبه للقديم ومحاكاته لصوره واشكاله قد قعدا به عن التزود مما خلقته نهضة الفكر الانسانى فى هذا العصر ، ولانه كذلك قد ودع الشباب منذ أمد بعيد ففقد حرارة الحياة المجددة العاملة .

وشوقى فى بدايته وفى نهايته صورة مشوهة من صور الماضى السحيق لولا ما يبدو فى ظاهرة من قسمات العصر ومخايله . فاذا أنت أردت أن تضعه فى العصر الذى يليق به فاطو القرون القهقرى ، وطف به على كر العصور من خلاف ثم ضعه فى العصر الذى يصح ان يقول فيه :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الاشهر الحرم
رمى القضاء بعينى جؤذر أسدا
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

والذى يصح ان يقال فيه :

اثن عنان القلب واسلم به
من ربرب الرمل ومن سربه
ومن تثنى الغيد عن بانه
مرتجة الارداف عن كثبه

وانك لتقرأ القصيد من شعر شوقى فيأخذك جماله ، ويبهرك رونقه وماؤه . فاذا وقع لك كل شعره فى ديوان أو دواوين ، ثم قرأته ، وقرأته ، تبينت سر هذا الجمال فى طائفة من المعانى المزوقة قد صقلها شوقى بمهارة وجلاها بحذق وجعل ينقلها من قصيد الى قصيد دون أن يجنح فى ذلك الى تفنن ، أو ابداع ، أو تجديد . وخير لمن شاء ألا يرى شعر شوقى الا رائعا جميلا أن يقرأه قصيدا بعد قصيد فى فترات من الزمن متعاقبة ليكون كل قصيد بذاته فاتنا خلابا . أما الثروة العظيمة من المعانى ، أما الادب الذى تبعثه الحياة فتنصب فى ألفاظه ومعانيه ثم تجرى فى أوصال النفوس الانسانية كما تجرى عناصر الغذاء فى جذور الاشجار ، أما الادب الزاخر بالنظر الصادق والشعور الدافق والاتصال بعظمة السكون والايمان بحقائقه واستجلاء مجهوله ، أما الادب الحافل بالتأملات العميقة تظللها اجنحة الخيال ، اما الادب الخالق الذى ليس قصاراه أن يرسم على القرطاس خطوطا وكلمات وانما يبعث فى النفس الشعور بالكون ، أما الادب الذى هو نتاج القرائح المشبوبة والعقول القادرة القوية ، أما الادب الذى نقرؤه لا للتلهو وتعبث ولا لنجلب النوم الى جفونك كلما نبا بك وساد أو عز رقاد ولا لنقطع به وقت فراغ أو ملل بطالة وانما نقرؤه لنحيا به فى ساعة واحدة ما شئت من أعمار وآباد ، أما الادب الذى ينتظم كل ما فى هذه الحياة مسطورا ، حيا ، متجددا : من آمال وآلام ، وخلق ، وعدم ، وبدو ، وصراخ ، وأنين ، وابتسام !!! أما كل ذلك فلست تقع عليه فى شعر شوقى ، وليس شوقى بالذى يسمو الى عليائه .

نظم شوقى فى السياسة والاجتماع وتاريخ الفراعين والعرب فتوفق فى كثير من هذه الاغراض توفيق الاحاطة والشمول لا توفيق التجديد والافتنان ، وظفر من ذلك بحظ المؤرخ نطرب له الشعب وتغنى من شعره بمجد آبائه الذاهبين فى تغنيه بأمانيه العذاب .

ورثى الراحلين فلم يتصل بنفس الراحل ، ولم يرسم بيراعته الصورة الخالدة الأثر ، القوية الشبه ، التى لا تنطبق الا عليه ، ولا تنسب الا اليه ، فلا بد له فى كل موقف من نجوم تهاوى ، وأقمار تغيب ، وأرض تنشق ، وسماء تتصدع . وكذلك لا بد له فى هذه المواطن ، مواطن الموت والرثاء ، من أن يذكر « نفسه » ويمن على الراحلين بتخليده لذكراهم ، ولا بد له من « أنا » يحشرها فى بكائه ويمزق بها دموعه ، فلا الخطب يذهله عنها ، ولا الفجيعة تنسيه اياها .

ولست أرى هذه الظواهر المختلفة الا دليلا على جريه على غير الفطرة الصادقة والعاطفة الدافقة . ذلك ، ونوجز القول ، فنقرر فى النهاية أننا ، أو نرى لشوقى أثرا يدل على الخلق أو التجديد . ونسوق لذلك أدلة ثلاثة :

الاول — أنه ليس « صاحب دعوة » ولا زعيم مبدأ خلقى ، أو اجتماعى ، أو فلسفى . فلا نرى فى مصر أو غير مصر دعاة ينتسبون الى شوقى لا يحملون للناس رسالته ، ويقولون بمذهبه ، وينتمون الى « مدرسته » .

الثانى — خلو شعره من « الادب القصصى » وهو ما خلا منه الادب العربى منذ خلق . فاذا قام العذر للمتقدمين بما كان لشعرائهم من العزلة والانكماش ، فما عذر شوقى وقد اغترف من ثقافة الغرب بكلتا يديه ، وقرأ فى شعر شعرائه بارع القصص ، ومحكم التصوير ، وجاب بلاد الحضارة وشاهد فى ربوعها آثار ما أبدع العقل وما خلق العلم والاختراع ؟ ذلك والا فأين فى شعر شوقى القصة البارعة ، المتماسكة الاجزاء ، الناصعة الغرض ، السامية المغزى . واذا لم يقم شوقى عن شعراء جيله باحداث هذا التجديد فأين اذن تكون آثار تجديده ، وعلام اذن يقوم حول اسمه هذا الدوى الصارخ ، وفيم تعقد له ألوية الامارة ؟؟؟ هؤلاء شعراء الاندلس ، وهؤلاء شعراء العراق والحجاز ومن اليهم ، قد درجوا فى آدابهم مع الزمن فأحدثوا فيه جديد المعنى ، وجديد الاسلوب وجديد الوزن ، على قدر ما اتسعت لذلك حياتهم . وهؤلاء شعراء القديم فى هذا الجيل وهذا « أميرهم » لا يزال الشعر بينهم على عهده العهيد لا أثر للجديد فيه ولا عين . وانى لأسأل هؤلاء الشعراء : ماذا ينتقص الشعر العربى اذا نحن حذفنا من بين دفتيه دواوينهم جميعا ؟ وألغينا من سجله أسماءهم « وألقابهم » جميعا ؟

الثالث — عجزه فى أناشيده عن الهاب حمية الشباب وشد عزم الشيوخ وتملك روح الشعب واثارة حسه . فان من المحال ان تلهب حمية الشباب بمثل قوله :

نحن الكشافة فى الوادى
جبريل الروح لنا هادى

ولا بمثل قوله :

نحن بنات المكتب نثنى على كل نبى !!
وعمال كذلك أن يشد عزم الشيوخ مثل قوله :
عبدنا مصر ملة ذى الجلال !!
وألفنا الصليب على الهلال

واذا كان من الثابت المقرر أن ارسال الانشودة فى الشعب وتملك روحه واثارة نفسه أول ظاهرة الدلالة على عبقرية الشاعر وعظمة عقله وقوة وحيه ، فان شعر شوقى من هذه الناحية ومما أسلفنا من النواحى غير قمين بالنبوغ والخلود .

عبد الله حبيب

بيروت

لمراسل السياسة الاسبوعية الخاص

١٠ فبراير

القضاء فى لبنان

يجتاز القضاء فى لبنان أزمتين من أشد الازمات فقد ذكرت لكم قضية المشروع الجديد الذى أعدته الحكومة اللبنانية لتنظيم دوائر القضاء وتبديل المحاكم وتحديد عددها وصلاحيتها فائدة من ذلك كله توفير ١٠ آلاف ليرة ذهبا على زعمها . كان لهذا المشروع أسوأ تأثير فى الاندية وفى كل النفوس ولم يرتفع فى لبنان كله من أقصاه الى أقصاه صوت واحد يقول إن المشروع كان حكيما ونقابة الصحافة ودوائر الوزارات ورياسة الجمهورية ودوائر المفوضية العليا تغرق كل يوم بطوفان عرم من البرقيات الحاملة عبارات الاحتجاج على هذا المشروع .

أما المجلس النيابى فليس بالامكان بيان موقفه بدقة لتحول الانظار الى جهة من الجهات . فأفراده منقسمون ولا يوالون التنظيم الجديد ولا يرون اقراره لانهم أنفسهم يرون فيه ما تراه الامة من الامور التى لا يمكن تطبيقها أو لا يلائم تطبيقها مصلحة الشعب العامة .

والازمة الثانية التى تشتد بخناق القضاء فى لبنان هى المشروع القضائى الثانى الذى تقدمه المفوضية العليا لانشاء المحاكم المختلطة والذى تتردد الحكومة بتقديمه الى المجلس فقد مر على هذا المشروع سنة كاملة وهو فى عالم الوجود ينعم باكتمال كيانه ولكنه يخشى التعرض للنور والهواء . ولا تزال الحكومة تطلب الى المجلس اقرار اعتمادات مؤقتة لثلاثة أشهر بعد ثلاثة أشهر فى وزارة العدلية بينما الصحف تعارض المشروع بكل قوة ونقابة المحامين فى بيروت والشام وحلب تبذل طرقا مختلفة من الجهود فى سبيل مماكسة هذا المشروع .

ومما يجدر قوله فى هذا الصدد أن وزارة العدلية أرسلت نص المشروع الى المجلس منذ مدة وترجم وأذاعت الصحف صورة عنه ، ولكن المجلس لم ينظر فى المشروع حتى الساعة ، وقد كان من واجبه أن ينظر فيه قبل أن يختم دورة تشرين العادية لاسيما وقد حددت أمامه النقاط التى سمح له بأن ينظر فيها لان المفوضية العليا كتبت الى مندوبها لدى الجمهورية اللبنانية أن فى المشروع ١٣ مادة لا يجوز للمجلس أن يناقش بها البتة وهى المواد التى تثور على مضمونها هذه الضجة التى تسمعون صداها بين حين وآخر . وأهم نقطة فيها مسألة الاجانب الذين يمكن أو يصح أن يستفيدوا من امتيازات هذا القانون الجديد .

وقد أصدرت نقابة المحامين فى بيروت تقريرا عالجت فيه هذه النقطة ورأت انه اذا كان لا بد من سن منزة للاجانب فمن الضرورى حصر هؤلاء الاجانب برعايا الدول التى كانت تتمتع بالامتيازات فى أول آب ١٩١٤ . ولكن الفقرة الواردة فى المشروع تفتح الباب على مصراعيه وتخول كل أجنبى الاستفادة من امتيازات هذا القانون .

إن لبنان ينتظر بفارغ صبر يوم التناقش بالمشروع فى المجلس النيابى ولعل يومه قريب .

الامطار

توالت الامطار فى هذين اليومين وبلغ ما هطل منها منذ ١٠ الجارى ٤٣ سنتيمترا و٧٥ مليمترا

وكان فى العام الماضى بمثل هذا التاريخ قد بلغ ٤٨ سنتيمترا و٥ ملليمترات

استقالة الحكومة السورية

صدرت صحف بيروت صباح اليوم حاملة كلها بلا استثناء صورة الكتابين المتبادلين بين سمو الداماد احمد نامى بك وفخامة المفوض السامى بخصوص استقالة الحكومة السورية وأصبحنا اليوم وفنادق العاصمة ملأى برجالات سوريا الذين أسرعوا اليها على أثر ما بلغهم هاتفيا من أمر هذه الاستقالة ، والاقاويل كثيرة عن تأليف الحكومة الجديدة وكلها لا تخرج عن حدما أوردته برسالتى لكم منذ أسبوع . ذلك من حيث ترديد الاسماء التى يظن أن تبرز وتنشأ بعد قليل كحمد على بك العابد وهاشم بك الاتاسى وحقى بك العظم وابراهيم بك هنانو ولا يذكر اسم صبحى بك بركات مع انه مازال موجودا فى بيروت وقد ترك حلب على أثر مظاهرة إكرامية له فى حلب خشى أن تكبر وتمتد فى حين لا يريد فيه الظهور فآثر البعد وجاء بيروت وله صلات طيبة مع المفوضية ولعل عدم ذكر اسمه فى هذا الصدد ماعرف عن عزيمته الصادقة انه لا يأتى كراسى الا عن طريق الانتخابات

وقد اتصل بى ان المفوض السامى سيتوجه يوم الاحد القادم الى دمشق يرافقه الموسيو موغرا والكولونيل ارنو ليعلن تأليف الوزارة الجديدة وبرنامجه السياسى ازاء البلاد السورية

ونستطيع بعد هذه المقدمات الى ماتكون عليه السياسة فى الداخلية بعد تأليف الوزارة الجديدة التى تشرف على الانتخابات وتقر القانون الاساسى للبلاد . فالمفوضية العليا تتوخى أن تجرى هذه الامور الجوهرية تحت اشراف وزارة يثق بها الشعب والشعب كما نعلم غير مؤتلف لا لافراد قد لا يكونون معتدلين فيعارضون ويطلبون وفيما يريدون تقريره . فما يكون موقف المفوضية العليا تجاه هذه الوضعية السلبية أتسلم بالمطالب كلها أو لا تسلم — ان أمام سفينة الشؤون السورية صخور ناتئة قد تصطدم هذه السفينة فيها ، وقد يقوى العقلاء الحكماء على ادارة الدفة وابعاد السفينة من الاصطدام وان غدا لناظره قريب .

بورصة جديدة

منذ مدة وبعض الصيارفة ومديرى المصارف الاجنبية فى اجتماعات متوالية يفكرون فى احداث بورصة للاسهم المالية والمعادن والسكر والقطن وغيرها على نسق بورصة الاسكندرية وقد أدت اجتماعاتهم الى الاتفاق على العمل الذى سيبدأ اعتبارا من يوم الاثنين القادم باشراف البير افندى دباس مدير ادارة البورصة الحالية ، وتعرض جميع المعاملات التى تعرض فى بورصة الاسكندرية

ويرمى القائمون بهذا العمل أن يخلصوا الجمهور من مماسلات بعض سماسرة البورصة الذين لا يعملون بالاخلاص ويأخذون رسوما باهظة ، فالبورصة الجديدة تتولى الامر بنفسها ويصبح بوسع كل انسان أن يعرف حقيقة الاسعار فى كل ساعة فيمتنع التلاعب ويرتاح الناس .

الجدرى فى لبنان

ألقيت الصحية دوائر التلقيح والعمل فيها متواصل ليل نهار وباجتهاد كلى . والاهالى يقبلون على التلقيح أفواجا ، وقد بلغ عدد الذين لقحوا فى هذه الدوائر [illegible] ما عدا الذين اخذوا من الصيدليات لقحهم [illegible] أطبائهم الخصوصيين .

وقد حدثت اصابة واحدة [illegible] فى زاوية [illegible] وأصابة ثانية فى الشمال

العراق

لمكاتب « السياسة الاسبوعية » الخاص

بغداد فى ١١ شباط (فبراير) ١٩٢٨

السر الفرد موند فى العراق

والمظاهرات ضد الصهيونية

وصل بغداد مساء الاربعاء السر الفرد موند المالى البريطانى الشهير ومن أقطاب الصهيونية تصحبه عقيلته وابنته الليدى اريليا وحاشية مؤلفة من ٨ أشخاص . وقام طلاب المدارس والشبيبة البغدادية بمظاهرات عظيمة بمناسبة قدومه وتهيأوا لاستقباله بهذه المظاهرات التى نادوا فيها بصوت عال : ليحى الاتحاد العربى . لتحى فلسطين العربية ليسقط وعد بلفور . لتسقط الصهيونية .

وكافحت الشرطة هذه التظاهرات من غير جدوى : اذ لم تتمكن من القضاء عليها ، واعتقلت جماعة كبيرة من الطلاب والمتظاهرين وأخذت تحقق معهم وكبست ناديا أدبيا للشبيبة اسمه « نادى التضامن » متهمة اياه بالاتصال بهذه الحوادث والتظاهرات واعتقلت عميده الاستاذ يوسف زينل وبعض اعضائه . وقد اجتماع يوم الجمعة فى جامع الحيدرخانة القيت فيه خطب وقصائد فى شجب الصهيونية والاعتصام بالوحدة العربية وحرية فلسطين العربية وحظرت متصرفية بغداد الاجتماعات والتظاهرات الابانة منها . وقد جرح فى المظاهرات ثلاثة طلاب

وحل السر الفرد موند واسرته ضيفا على دار الاعتماد البريطانية فى بغداد . أما حاشيته فنزلت ضيفا فى قصر السر اليازر خضورى الغنى العراقى القاطن فى انكلترة منذ مدة طويلة . وتقول الجريدة الانجليزية الصادرة فى بغداد معبرة عن الرأى البريطانى انه لا صبغة سياسية لزيارة السر موند للعراق . وسيدرس السر دن معه فى خلال هذه الزيارة الحالة التجارية فى العراق ولا سيما مسألة مد الانابيب من العراق الى البحر المتوسط لنقل النفط العراقى وهو من مؤيدى رأى جعل فلسطين منفذ هذه الانابيب ، وسيدرس حاجة العراق الى السماد فى زراعته وسيمكث فى بلاد الرافدين بضعة أيام فقط .

الشروع بالانتخابات

أصدرت وزارة الداخلية أمرها الى الالوية فى الشروع بأعمال الانتخابات للمجلس النيابى الجديد .

قنصل لبلجيكا فى بغداد

عينت حكومة بلجيكا المسيو شوفاف أحد الاوربيين المقيمين فى العراق الآن قنصلا لها فى بغداد وقد وافق صاحب الجلالة الملك على اوراق اعتماده .

ظهور الطاعون فى بغداد

حدثت اصابة واحدة بطاعون فى بغداد فى الاسبوع الماضى وتوفى المصاب . وقد حدثت

ووصل الى دائرة الصحة [illegible] الآف مليم كانت طلبتها برقيا من باريس فبادرت الى توزيعها

السياح

ووصل أمس ٤٤ سائحا قادمين من فلسطين وقد توجهوا اليوم الى تفليس ، ووصل ظهر الاحد ١١٥ سائحا أمريكيا يذهبون توا الى [illegible] حيث تناولوا الطعام ثم [illegible] ويذهبون الاحد الى [illegible]

فى هذا الاسبوع ثلاث اصابات بالطاعون توفى واحد من المصابين وشفى الاثنان الآخران

دار الآثار العراقية

تسلمت دار الآثار العراقية فى بغداد الايام الاخيرة ثلاثين صندوقا مملوءة بالآثار النفيسة وهى حصة العراق من الآثار المستخرجة من حفريات ور الكلدانيين . والمداولة جارية لتعيين مدير فنى لدار الاثار وقد اتفقت الآراء على تعيين أثرى فرنسى لهذا الغرض

جسر الفلوجة الحديدى الثابت

ان افتتاح طريق السيارات بين العراق وسوريا جعل حكومة العراق تهتم بتنظيم الطريق بين هذه البلاد والبلاد المجاورة ، وقد رؤى ضرورة اقامة جسر حديدى ثابت فى الفلوجة ليكون معبرا للنقليات كافة فى هذه الطريق المسلوكة كثيرا الآن فصادق المجلس النيابى على مبلغ وافر لاقامة هذا الجسر الذى كلفت بعمله واقامته شركة انكليزية شهيرة فى لندن . وقد أوشك ان ينتهى العمل فى اقامة الدعامة الاولى فيه وشرع فى اقامة الدعامة الثانية

الحرية الصحافية

عطلت الحكومة بامر ادارى هذا الاسبوع جريدة « الاستقلال » التى التزمت خطة معارضة الوزارة الحاضرة بسبب نشرها مقالات شديدة اللهجة فى نقد المعاهدة الجديدة وموقف الانكليز الاخير تجاه العراق وغمزا لوزارة المالية . وجريدة الاستقلال وقفت فى ازمان مختلفة عصيبة موقفا وطنيا مجيدا . وهذا التعطيل مؤقت غير محدود بزمن .

وفاة أمير كويتى

أصيب بجرح فى هجوم الاخوان

توفى أخيرا الشيخ على سالم الصباح أحد أعضاء الاسرة الاميرة فى الكويت متأثرا من الجروح التى أصابته فى هجوم الاخوان الوهابيين الاخير على الكويت وهو شاب فى مقتبل العمر ثانى أنجال الشيخ سالم الصباح حاكم الكويت السابق المتوفى وابن عم حاكمها الحالى . وقد توجه لمقاومة الاخوان فى هجومهم بقوة صغيرة فأصيب برصاصة منهم جرحته جروحا بليغة . وقد حزن الكويتيون عليه حزنا عظيما وعطلت الاسواق وأقيمت المناحات الكبرى لمأتمه .

الحركة الادبية

صدرت فى هذا الاسبوع مجلة جديدة فى بغداد باسم « الاقلام » وهى أدبية جامعة لصاحبها على ظريف الاعظمى الذى ألف جملة كتب فى تاريخ العراق وبعض مدنه الشهيرة .

وأخذت جريدة العالم العربى تنشر قصة كل أسبوع يكتبها أو يترجمها الشاعر الشاب أنور شاؤل وهو شىء جديد فى الصحافة العراقية ان تنشر القصص فيها فى مواعيد معينة الا أن معظم هذه القصص المؤلفة والمترجمة غير محلية مع ان الحاجة ماسة الى إدخال فن القصة المحلية الى الادب العراقى .

بعثة تجارية هندية الى العراق

وصلت ثغر البصرة قبيل يومين بعثة تجارية هندية فاستقبلت من تجار البصرة ومن الجمعيات المختلفة بحفاوة ، والغرض من البعثة من جهتها درس الطرق الموصلة الى توثيق الصلات التجارية بين العراق والهند . وهذه الصلات كانت موجودة منذ أقدم الازمنة الا أنها ازدادت كثيرا [illegible] احتلال الانكليز العراق وظل هذا الازدياد [illegible] [illegible]

مذكرة اللجنة المالية

مقياس على مالية البلاد

تمهيد

اذا كان السير رجنالد بارسون الذى بدأ حياته [illegible] فى مصر كاستاذ مساعد أيام سلوة المستر [illegible] واعترف لها كمستشار مالى ومصر تتمتع [illegible] الحياة الدستورية هو الوحيد من أبناء [illegible] الذى تلوح مصرحا بكفاية رجال مصرفى [illegible] البلاد فلم يكن مخطئا فى حكمه أو متغاليا [illegible] أو مفرطا فيه . وسوف لا يندم على ما [illegible] به وبين يديه برهان آخر فوق غيره من [illegible] يستند اليه فى حكمه الصائب :

أما هذا البرهان فليس من البراهين النظرية [illegible] الموسة بل تراه العيون وتلمسه الايدى [illegible] برهان ساطع جلى

الميزانية قديما وحاضرا

وهل هنالك برهان أسطع — على أن مصرفى [illegible] وربما أن تمالج كبار الامور والمسائل المعقدة [illegible] من تلك المذكرة التى تقدمت بها اللجنة المالية [illegible] مجلس الوزراء بل قل التى تتقدمت بها مصر الى [illegible] الاخرى تصف بها ماليتها فى عام فتشير الى [illegible] وكيف حل ، وكيف كان علاجها له .

وان أبناء البلاد الذين اعتادوا الاهتمام بشؤونها [illegible] تكانوا من أجل ذلك يطلعون على ميزانيتها [illegible] الى عام — فى استطاعة هؤلاء اذا قابلوا [illegible] العام الحاضر بما كان متبعا حتى عهد قريب [illegible] الميزانية تصدر بصفحات قلائل كانت فى [illegible] لا تخرج عن كونها ملخصا مقتضبا لما تشتمل [illegible] الميزانية الجديدة اذ كانت كل ميزانية لاحقة [illegible] تكاد لا تختلف عن غيرها سابقة لها الا [illegible] من ذلك كأن يزاد عليها بعض وظائف [illegible] أو تخفيض البعض الاخر أو تعديل فى [illegible] رغبة فى زيادة ماهية شاغلها استنادا [illegible] جديد ضخم كاستبدال لقب « ناظر [illegible] » بلقب « سكرتير عام » ثم قلب ذلك الى [illegible] » اذا ما كانت الرغبة فى تحسين حال [illegible] مازالت باقية . وما كان للميزانية وقتئذ [illegible] ولا موضوع يشعر به الناس فى خارج [illegible] الحكومة أو فى داخلها الا قليل من كبار [illegible] من غير المصريين . لم تكن للميزانية [illegible] الاهمية التى لها اليوم فقد كانت ميزانية [illegible] وغاية ما ترمى اليه أن تقوم البلاد من [illegible] الى أقصاها بزراعة القطن وجمعه ثم [illegible] الى حيث يغزل فيشترى معظمه الفلاح [illegible] لباسه الوحيد الذى به يحمى جسده [illegible] البرد أو حرارة الشمس . فلم تكن [illegible] أساسها تنمية مرافق البلاد جميعها [illegible] الشعب قبل حاجة غيره . ولم [illegible] أو رفع عبء الجهل عن كاهله [illegible] فيه ذكرى محسوسة [illegible] البلاد على ما يطلق الآن عليه [illegible] أو مشاريع وقاية الطفل أو العناية [illegible] من أمهات الشعب أو تنمية [illegible] فى البلاد أو تشجيع الصناعات . [illegible] ميزانية محروسة القطن لاجل [illegible] ميزانية شاملة صارت تنظر الى حاجة [illegible] قبل نظرها الى الربح [illegible] [illegible]

اليه حالة البلاد فى عام منصرم ، وفى ثنايا هذا الحديث يمكن لجمهور المستمعين أن يحكموا على محدثهم بما عليه عوده من قوة وبأس أو ضعف وسقم فيما يتحدث به اليوم

والواقع أن مذكرة اللجنة المالية التى نراها أمامنا ونحن نكتب هذه الكلمات تذكرنا بما يتقدم به بعض رجال المالية فى البلاد الغربية الى الشعب عند بدء كل عام مالى جديد ولولا أنه من بين المصريين من فى وسعهم تناول الامور المالية بما هى جديرة به واتيح لهؤلاء المصريين ان يديروا دفة شؤون بلادهم المالية ، لامست المذكرة التى يتحلى بها جيد الميزانية جامدة الجمود التى اعتادته من قبل ولا تخذ بعضهم هذا الجمود سلاحا ضارا لمصر .

القطن فى مصر وفى غيرها

بدأت المذكرة كلامها عن القطن لما لهذا المحصول من المركز السامى فى أمور البلاد المالية فقارنت الموسم الحالى بسابقه وأشارت الى الكارثة القطنية فى سنة ١٩٢٦ ، تمهيدا لتحليلها أى بتحليل ماطرأ من عوامل على أسعار الموسم الحالى قائلة : انه « لا مراء فى ان فيضان نهر المسيسبى كان من أهم العوامل — ان لم يكن أهمها — فى ما أصاب أسعار قطننا من ارتفاع نسبى فى سنة ١٩٢٧ » وختمت كلامها فيما يختص بأسعار القطن بحقيقة لامرية فيها أنه « ليس بغريب أن تتأثر جميع نواحى حالتنا الاقتصادية تبعا لحال القطن ، إذ أن قيمة صادراتنا من هذا الصنف وتوابعه من بذرة وكسب تبلغ بالنسبة لمجموع الصادرات حوالى ٩٠ فى المائة ، والواردات مرتبطة فى ارتفاع ارقامها أو هبوطها بمقدرة البلاد على الشراء ، تلك المقدرة التى تزيد أو تنقص تبعا لما يلقى محصول القطن من رواج أو كساد ، وكذلك شأن كمية المتداول من البنكنوت التى يزيدها الرخاء وينقصها الضيق تمشيا مع المحصول القطنى وأسعاره . وليست حال الثروات الخاصة أقل تأثرا . يدل على ذلك أحوال المديونية للبنوك وحركة التعمير والانشاء وايداع الاموال فى البنوك وغير ذلك من وسائل الاستثمار — وهكذا كان شأننا فى الماضى وسوف يكون فى المستقبل مادام القطن وحده أساس ثروتنا ، ومادامت الجهود لاستنباط موارد جديدة لا تزال كما عهدناها محدودة ، وما دامت العوامل المهيمنة على سوق القطن لا سيطرة لنا عليها فيبقى رخاؤنا أو اعسارنا تحت رحمة الطوارىء التى تؤثر فى وفرة المحصول وارتفاع اسعاره من آفات زراعية أو قلة فى المياه أو وفرة فى المحصول الامريكى أو نقص فى المقطوعية »

فى هذا البيان من جانب المذكرة صراحة فى القول يجب على المشتغلين بزراعة القطن خصوصا الصغار من هؤلاء اعتباره رسولا لهم فى تفهيمهم مركز القطن المزروع فى مصر بالنسبة الى أقطان العالم الاخرى ، فليس قطننا المسيطر على الاسعار والمهيمن عليها ان هو علا علت تبعا لغيره ، والا اذا هبط غيره فلا مندوحة لقطننا من الهبوط . ولو أن المزارع فى مصر وجد فيما يساعفه من بين ماتذيعه الحكومة شيئا من نوع هذه المذكرة التى تقول فى صراحة غير خافية الا ما تقوله التجارب لعلمنا كانت هذه المزارع على شىء من حقيقة المكانة التى لمحاصيلنا الزراعية فى الاسواق العالمية ، ولتحاد أكثر [illegible]

حرصا فى شؤونه ومعاملاته المالية وما صار جيبه مزرعة خصبة للمرابين وأمثالهم .

التجارة الخارجية

يتبين من المذكرة أن مجموع التجارة الخارجية لمصر فى سنة ١٩٢٧ بلغ ٩٧٠٢٦٠٠٠ جنيه مصرى مقابل ٩٤١٦٠٠٠ فى سنة ١٩٢٦ من ذلك كانت قيمة الصادرات من بضائع وأخذة ٤٨٣٤١٠٠٠ جنيه يقابلها ٤١٧٦٠٠٠٠ فى سنة ١٩٢٦ وكانت قيمة الواردات ٤٨٦٨٥٠٠٠ جنيه يقابلها ٥٢٤٠٠٠٠٠ فى سنة ١٩٢٦

وأنت ترى من ذلك انه بينما كان ميزان التجارة المنظورة فى سنة ١٩٢٦ فى غير صالح مصر بمبلغ ١١٦٤٠٠٠٠ أى بنسبة ١٢٫١٣ فى المائة من مجموع تجارتها الخارجية لتلك السنة عاد هذا الميزان وكاد يكون متوازنا فى سنة ١٩٢٧ . ولهذه الظاهرة تأويل مختلفة فى عرف الاقتصاديين فقد يدل ذلك على أن عهد توطد الامور قد بدأ يدب دبيبه كما أنه يمكن تفسيره أيضا بأن ما كان باقيا لدى بعض الافراد مما ادخروه فى سنوات الرخاء كاد ينفد ان لم يكن كذلك وان قوة البلاد على الشراء من الخارج سوف تقاس بقوة شراء البلاد الاجنبية واقبالها على المواد الخام وغيرها التى تخرجها موارد مصر الاقتصادية . على أن رقم التجارة الخارجية لمصر فى سنة ١٩٢٧ لولا بعض عوامل محلية وخارجية لكان أعلى مما وصل اليه . فلولا تحديد الزراعة القطنية لكانت جملة ماصدر من القطن أكثر من المذكور وكذلك مجموع قيمتها ولكان رقم الواردات أعلى مما كان عليه لولا ان استغنت البلاد عن جزء غير قليل من المواد الغذائية بوفرة المحاصيل بعد تحديد الزراعة القطنية والتوسع فى زراعة الغلال . وكما تقول المذكرة أيضا كان لانخفاض أسعار بعض الاصناف الرئيسية المستوردة بنسبة تربو على ١٢ فى المائة واحجام كثير من البيوت التجارية عن التوسع فى استيراد البضائع الفرنسية والايطالية على أثر ثبات القطع نسبيا فى القطرين المذكورين أثر فى انكماش الواردات . ولهذا السبب الاخير يد فى زيادة الواردات عن الصادرات فى سنة ١٩٢٦ .

وأملنا كبير أن لا يفوت رجال الغرف المصرية والتجار ، على اختلافهم ، الاطلاع على ما تنطوى عليه المذكرة من تفاسير هامة لشؤون البلاد التجارية ، خصوصا ماكان من ذلك من أرقام تبين مابين تجارة مصر وبريطانيا من ارتباط ، وعلى الاخص تجارة القطن حيث يتبين انه « لا تزال انجلترا — بالرغم مما أصاب تجارتها القطنية — أكبر عميلاتنا اذ بلغ مجموع ماصدر اليها فى سنة ١٩٢٧ ٢٨٤٨٠٠٠ قنطار قيمتها (بحسب تقدير الجمارك المصرية) ١٤٨٠٩٠٠٠ جنيه منها ١٤٨٩٠٠٠ قنطار من القطن السكلاريدس قيمتها ٧٧٤٥٠٠٠ ج . م . و ١١٤٩٠٠٠ قنطار من الاشمونى قيمتها ٩٧٧٢٠٠٠ ج . م . و ٢١٠٠٠ قنطار من أصناف القطن الاخرى قيمتها ٩٢٧٢٠٠٠ ج . م . ٢٢٠٠٠٠ . فما صدر اليها وحدها من القطن يبلغ ٣٨٫٥ فى المائة من كمية المصدر من القطن وقيمة ذلك تبلغ مايقرب من ٤٠ فى المائة من قيمة ماصدر من القطن الى الخارج أو نحو ٣٠٫٦ فى المائة من مجموع قيمة الصادرات من بضائع وأخذة »

فالمشتغلون بالتجارة وبالزراعة فى مصر اذا أرادوا اتخاذ الحيطة فى أعمالهم يجب أن يرقبوا عن كثب ماعليه الشؤون التجارية والعلاقات بين البلاد العاملة فيها وبين أصحاب الصناعة فى بريطانيا اذ لا بد لما تكون عليه هذه من توطد أو تقلقل أو تغير قليل يترجم صداه فى جزء كبير من تجارة الصادرات المصرية التى فى مجموعها تعتبر أساس قوة البلاد ومقدرتها على الشراء فكل قلب أو انتقال [illegible]

تجارة الصادر يؤثر فى تجارة الوارد على السواء .

ومما تشير اليه المذكرة ويجب أن تلفت اليه الانظار أنه « قد زادت صادرات القطن من البذرة فى سنة ١٩٢٧ زيادة محسوسة ، ويرجع ذلك الى قلة المحصول الاميركى من جهة ، ومن جهة أخرى الى ما كان من حاجة أوروبا الى الاستعاضة عن البذور الزيتية التى كانت تستوردها من الصين قبل الاضطرابات الاخيرة ، فضلا عما تستهلكه الاقطار الشمالية الباردة من الكسب فى غذاء مواشيها خلال الشتاء » وفى هذه الفقرة من المذكرة عظة حسنة لرجال التجارة فى مصر وغرفها ، فان لكل حادث محلى أو عالمى أثرا فى تحويل التجارة من قطر الى قطر ، فاذا كان هؤلاء ممن يتعقبون الحوادث من جهة ، ومن جهة أخرى ملم المام بمسائل التوزيع التجارى بالاطلاع على مثل المذكرة السالفة ، وما ينشر من تقارير عن التجارة العالمية بوجه عام — أمكنهم اغتنام الفرصة كلما حان بها الزمان والايام حبالى بها .

أما أصحاب رؤوس الاموال الذين يرغبون فى استثمارها فى الموارد الزراعية أو الصناعة ففى المذكرة ما يجب ألا يعبروا عليه مر الكرام بل ما يجب أن يكون موضع بحث وتنقيب تمهيدا لاستثمار مالهم على الوجه المطلوب إذ تشير المذكرة الى انه على أثر تحديد الزراعة نقصت كمية المستورد من الدقيق والحاصلات الزراعية « ولهذا قد هبط المستورد من الدقيق من ٣٨٥٫٢٠٣ طنا فى سنة ١٩٢٦ الى ١٥٧٫٤٤٠ طنا فى سنة ١٩٢٧ ومن القمح من ١٧٤٢٣٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٦ الى ٣٩٥٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٧ ومن الشعير من ١٥٩٧٩٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٦ الى ٢٠٥٢٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٧ ومن الاذرة من ٩٥٤٨٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٦ الى ٣١٨٠٠٠ فى سنة ١٩٢٧ ومن الارز من ١٢٧٤٤٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٦ الى ١٤٧٣٣٠٠٠ كيلو فى سنة ١٩٢٧ — وهذا يدل بطريقة واضحة على أن البلاد تستطيع تموين نفسها اذا ما زادت مساحة الاراضى المزروعة حبوبا ، وليس ببعيد — اذا بذلت الجهود لتحسين أحوال الانتاج أيضا — أن تكون لنا تجارة صادر ذات شأن من هذه الاصناف » .

وبخلاف ذلك تدلى المذكرة انه « فى المواد الغذائية كاللحوم والاسماك والخضر والفواكه مجال لزيادة الانتاج فى القطر والاستغناء عن كميات تذكر مما يرد من الخارج . فاذا لوحظ مثلا أن مايرد من الاسماك أصبحت قيمته تربو على الثلثمائة ألف جنيه اتضح ما يمكن أن يعود على الثروة المصرية من الفائدة اذا أخذ فى تنمية وسائل تربية الاسماك وصيدها فى المياه المصرية مما يقتضى تحسين وسائل الصيد وانشاء الشركات المصرية المزودة برأس مال كاف والاستعانة بالخبراء الفنيين وتسهيل نقل الاسماك من المرافىء ، فاذا ماتيسر هذا وأقبل الجمهور على استعمال الاسماك غذاء أمكن انقاص الوارد من الاسماك من الخارج واحلال السمك محل اللحوم الى حد ما يترتب عليه أن ينقص أيضا الوارد من المواشى للذبح ، ولن يتعذر بعد ذلك قيام صناعة حفظ الاسماك فى العلب وتجفيفها ويصبح أمام عدد كبير من المصريين مورد رزق جديد » .

الا بدل ماتنطوى عليه المذكرة أن معظم [illegible] لا تعدم الموارد الاقتصادية [illegible] فى استطاعة هذه البلاد أن تنبو أى المكان اللائق بها بجانب البلاد الاخرى لو أن رجال المال فى مصر اهتموا بهذه المباحث [illegible] [illegible]

(الصحافى)

بحث علمي

النـــــوم والارق

بحث فسيولوجي صحي

للدكتور محمد زكى شافعى

ماهو النوم — أسباب النوم — سير النوم الطبيعى ومقداره — ضرورة النوم للحياة — الارق — أسباب الارق — سير الارق — هيجين النوم وعلاج الارق الطبيعى — المنومات

١ — ماهو النوم

النوم فترة راحة للجسم والعقل أثناءها يتعطل الشعور الخارجى والارادة تعطيلا تاما أو جزئيا كما تتعطل وظائف الاعضاء لدرجة ما

٢ — أسباب النوم

لازال تعليل ظاهرة النوم قيد البحث وتشغل الكثيرين من علماء وظائف الاعضاء والامراض العصبية. والمعروف من هذه الاسباب للآن أثبت أمره :

(ا) النوم عادة تعودها المخ مع مرور الزمن وتكرار النوم. ولكن هذا الرأى لايعول عليه الآن لأنه لايفسر هـذه العادة. فما لاشك فيه ان النوم من وظائف المخ. ولكن ماهو المحرض للمخ للقيام بهذه الوظيفة وكيفية قيامه بها لايفسره مجرد ذكر هذه النظرية

(ب) يمكن لبعض الناس النوم بمجرد التجائهم لمكان هادىء واغماضهم عيونهم والبعض الآخر بمجرد ركوبهم قطاراً أو سيارة فحركة هاتين المطيتين التي تذهب النوم تجلب عندهم النوم. وتعليل ذلك فى الحالة الاولى انقطاع الكثير من التيارات الحسية عن المخ فتنقطع الصلة بين خليات المخ والاعصاب الحسية التى تنقل مؤثرات العالم الخارجى. وفى الحالة الثانية الحركة الشديدة تلبه المخ الى النوم

(ج) يقول البعض بأن النوم سببه تعب خليات المخ من اليقظة المستمرة التى يتكون أثناءها فى الجسم مادة كيماوية سامة تصل الى المخ فتوقفه عن القيام بوظيفته

(د) يتفرع من الرأى الثانى رأى آخر أو فكرة تقول بأن النوم ظاهرة بيولوجية تستند الى أن نهايات الاعصاب الحسية التى تحمل الاحساس الى المخ وكذا نهايات الاعصاب الحركية التى تنقل أوامر المخ لاجزاء المختلفة من الجسم وهى متقاربة من بعضها تنقبض فى حالة النوم وبذا تنقطع حلقة الدورة العصبية

(ه) ولعل أهم سبب لحدوث النوم نقص كمية الدم التى تصل المخ أى أنيميا أو فقر دم المخ فيقل حجمه ويهبط الضغط الدموى ويزداد حجم الاطراف السفلى ولذا يشعر المريض بفقر الدم بدوخان

(و) الاوكسجين ضرورى جداً للحياة لعملية الاحتراق الدائمة الحدوث فى الجسم. وأثناء اليقظة تكون عملية الاحتراق أنشط منها فى وقت النوم وتستنفد كمية اوكسجين أكبر فاستهلاك الاوكسجين من بين جزئيات المخ يحدث النوم لتجدد الدائم بنية الاوكسجين

(ز) وأطرف رأى بنى على بعض المشاهدات والتجارب أن للنوم مركزاً خاصاً فى المخ المتوسط أو بجواره كما للتنفس مثلا أو للكلام أو للبصر وكما أن لهذه المراكز الاخيرة أعصابا تنقل لها تيارات تلبيها للقيام بوظيفتها أو تعطلها أو تزيدها أو تنقصها فكذا لمركز النوم. فمرض التهاب الدماغ السباتى الذى يطلق عليه العامة خطأ مرض النوم من أهم أعراضه السبات الذى يشبه النوم العادى حيث يمكن ايقاظ المريض من السبات كما فى حالة النوم. وقد وجد ان سم جرثومة هذا المرض يؤثر فى المخ المتوسط وشوهد السبات كمرض لاورام وخراجات هذا الجزء من المخ

(ح) عندما يريد الانسان النوم يخلع ثيابه ويبدلها بثياب النوم المعتاد عليها فى غرفة نومه ويلجأ لفراشه ككل مساء. فعمليات خلع الثياب والالتجاء للفراش واسترخاء العضلات تنبه مجتمعة فينا النوم الطبيعى تلبيها عكسيا كما يحدث لو مس أصبع نارا فاننا نسحبه فورا وتنتفض عضلات الوجه وتدمع العين وكل هذه أفعال عكسية حدثت بناء على أمر المخ الذى وصله الخبر عن طريق أعصاب الحس التى تأثرت بالالم. فكل العمليات العديدة السابقة للنوم عملت عكسيا وظائف المخ جزئيا فكانت النتيجة النوم

٣ — سير النوم الطبيعى

يبدأ النوم بفقد الحركات الارادية ويليه فقد استعمال الحواس مبتدئا بالبصر ومنتهيا بالسمع وحاسة السمع أول حاسة تتنبه ويليها اللمس فالذوق ثم الشم وترتخى كل العضلات الارادية ويعمق التنفس ويبطؤ كما يقل افراز البول والدمع والمخاط وكثيراً مايدعك الطفل عينيه وهو نائم بسبب جفاف الدمع ويقل النبض ويهبط الضغط الدموى وكل ذلك يدل على نشاط الكتلة المخية

وقيس عمق النوم وسيره بالنسبة لحاسة السمع فوجد أن النوم يكون عميقا جدا فى الساعتين الاوليين وفى الساعة الثالثة يكون النائم قريبا من اليقظة ويستمر فى الهبوط حتى الساعة السادسة ثم يرتفع ثانية وقد يعمق جدا ما بين الساعة السابعة والحادية عشرة عند الطفل. وهذا يفسر اللذة التى يشعر بها الطفل والبالغ فى نوم الساعات الاخيرة من الليل. ويشكو البعض من أنهم ينامون أول الليل ساعتين ثم يستيقظون ثانية ولا يقوون على النوم ثانية خصوصا اذا كانوا من سكان المدن ذوات الحركة الشديدة وهذا أمر طبيعى كما أسلفنا واعا عدم نومهم ثانية تسببه الحركة ويتلافى ذلك بالنوم متأخرا فيقع الساعتان الاوليان العميقتا النوم أثناء الحركة ولا يكون عند النائم الاستعداد لليقظة السريعة.

وأما قدر النوم الضرورى لكل انسان فهذا يختلف باختلاف الاشخاص والعمل والسن فذوو الاعصاب ذات الاحساس الشديد يأرقون لأتفه سبب والبعض يعودون فى فترات سنين مختلفة قد تكون أياما والآخرون ينامون فى أى وقت يريدون خصوصا السمان وأصحاب الاعمال الشاقة ينامون مدة أطول من أصحاب الاعمال الفكرية أو الذهنية والاطفال فى حاجة لمدة أطول من الكبار على الاقل اثنى عشرة ساعة للطفل الذى عمره لغاية ست سنوات والشيوخ لاينامون كثيرا والرجل دون سن الثلاثين فى حاجة الى ثمانى ساعات وعلى كل حال اذا استيقظ الانسان وهو غير نشيط وليس به مرض فهو لم يستوف قسطه من النوم. ولا يفوتنا أن نحسب ضمن وقت النوم نومة القيلولة.

٤ — ضرورة النوم للحياة

لا نزاع فى أن النوم ضرورى للانسان وخصوصا للصغير أكثر منه للبالغ لان النوم يصحبه عمليات التجديد رغم انه نتيجة المجهود العصبى والجثمانى اليومى ويقال بافراز مادة أثناء النوم تحرض على النشاط واليقظة كما يفرز أثناء اليقظة مادة تحرض على النوم وهكذا حتى ينتهى الاجل فالانسان آلة ذاتية فاذا كان فيها قطعتان تتعارضان فى العمل وجب وجود ترتيب كالسابق لكى لا تفنى احدى القطعتين قبل الاخرى فتقف الآلة قبل الاوان وتتعطل وظيفتها فى الحياة.

الارق أشد فتكا فى الجسم من الجوع لانه يسبب دوخانا شديدا وانخفاضا فى درجة الحرارة وفقد جميع الافعال العصبية العكسية وربما نشأ الموت من عدم النوم خمسة أيام بخلاف الصوم فقد سمعنا بصوم الكثيرين لمدة طويلة جدا ولم يموتوا. ولا يمكن الاستغناء عن النوم الا اذا اكتشف شىء يحدث يقظة مستمرة مع تجديد فى القوى والانسجة وهـذا فى حكم الاستحالة.

٥ — (الارق)

الارق هو عدم النوم نسبيا أو اطلاقا ويختلف الناس كثيرا من حيث مسببات الارق لان البعض يرث متانة عصبية وثباتا جثمانيا لا تؤثر فيهم مسببات الارق كالمورفين ورثوا احساسية مخية شديدة تعرضهم للارق كالعصبى المزاج والمستريين

٦ — أسباب الارق

(١) بسبب أمراض عامة كألم جرح أو عملية أو تهيج المخ بسبب حمى أو أمراض القلب وغيرها.

٢ — تعاطى منبهات القلب بكثرة كالشاى والقهوة وخصوصا فى المساء وكذا الدخان والخمور عند بعض الناس والعشاء المتأخر.

(٣) اضطراب المعدة والامعاء له دخل كبير فى الارق بل أعده من اهم الاسباب واكثرها ذيوعا بين الناس فحموضة المعدة وانتفاخها بسبب عسر الهضم يجعلها تضغط على القلب، وهما جاران فيخفق ويسبب الارق، وكذا الامساك وانتفاخ الامعاء يعملان نفس العمل

(٤) قلة التغذية والانهماك الشديد فى العمل حتى ساعة متأخرة، وكبر السن وبرودة الاطراف السفلى

(٥) عدم الرياضة البدنية والفراش غير المريح سواء من تكوينه وتركيبه أو من عدم نظافته أو تلوثه بالحشرات وهواء غرفة النوم الفاسد والدفء المعدوم أو المبالغ فيه بكثرة الاغطية

(٦) أسباب عصبية كبعض أمراض المخ كتصلب الشرايين به أو النيوراستنيا أو الهستريا

٧ — سير الارق

يندر أن يشاهد أرق مطلق [illegible] فى تشخيص الارق وهو غالبا [illegible] أخرى، ويشكو البعض من أرق [illegible] لو تعوسبوا على عدد الساعات التى ينامونها [illegible] أكثر مما يلزمهم، ويصاب السيدات بأرق عند بلوغهن دور اليأس وأثناء الحمل والمرضى بزيادة الحساسية العصبية الوراثية، ويصعب علاجهم، وبعض المرضى بالهستريا يبالغون كثيرا فى عدم نومهم. والمرضى بالنيوراستنيا ينامون كثيرا ولكن لا يشعرون بنشاط التجديد عند اليقظة

ويختلف سير الارق عند مختلف المرضى به فالبعض ينامون ساعتين ويبقون للصباح يتقلبون فى فراشهم والبعض وخاصة المسنين والضعاف يستيقظون عند منتصف الليل ويأرقون للصباح ومنهم من يستغرق فى النوم من أول الليل وآخره ويستيقظ الجزء الاوسط منه وآخرون يأرقون ساعتين أو ثلاث ساعات أول الليل ثم ينامون. وأناس ينامون نوما مضطربا بأحلام مزعجة

٨ هيجين النوم وعلاج الارق الطبيعى

١ — (هيجين النوم) أى صحة النوم هى فى الواقع علاج الارق الطبيعى الذى لا يتطلب مجهودا. ويتلخص فى الاستيقاظ المبكر وهو مجدد للشباب فيجعل الكهل شابا ويصير الشيخ كهلا وفى السيدات هو أنقى ملون لوجناتهن النوم المبكر والاستيقاظ المبكر يجعل الفتاة كالزهرة اليانعة فساعة نوم قبل منتصف الليل تعادل ثلاثا بعده ولذا عرف النوم قبل أن ينتصف الليل بنوم الجمال والرشاقة، وهو العدو اللدود لبائع المساحيق والالوان، ويلزم أن تكون ثياب النوم خفيفة وقليلة، وأن يفتح الجزء العلوى من الكوة بحيث تكون بعيدة عن الفراش وأن لا يتعرض النائم لتيار الهواء ولا البرد القارس، وفى الحالة الاخيرة يترك الباب مفتوحا بعض الفتح اذا أغلقت الكوة، وأن لا يكون مصابا بامساك وان يمتنع عن المنبهات كالقهوة والشاى وأن يمارس الرياضة البدنية وأهمها المشى على الاقدام، ولا ينسى حمام الصباح والاكثار من الفاكهة الطازجة وأن يكون العشاء خفيفا ويجب أن تكون غرفة النوم بقدر الامكان بحرية شرقية سهلة التهوية

٢ — (معالجة الارق) علمنا مما تقدم أن النوم واليقظة يتعاقبان كما يتعاقب الليل والنهار بسبب المجهود النهارى فى الحالة الاولى وتجديد القوى فى الحالة الثانية فيقل ورود الدم للمخ ويهبط الضغط الدموى ويبطؤ القلب والتنفس ويعمق النوم فى الساعتين الاوليين ثم يخف ويعود للتعمق ثانية وتتمدد الاوعية الجلدية طبيعيا لتمتلىء بالدم فيقل نصيب المخ منه كما أن الحواس تفقد وظائفها بالسرعة والترتيب السابق وصفه فأى مؤثر يربك أحكام هـذه الدورة يسبب أرقا. فمثلا النشاط المخى الشديد يحتاج لكمية وافرة من الدم وكذا منبهات القلب تحرضه على ارسال نصيب عظيم للمخ من الدم والنوم فى فراش أجنبى يلبه حاسة اللمس بالشعور بالفراش الغريب. وبتنبه هذه الحاسة يتنبه المخ ففى كل هذه الامثلة تقطع سلسلة مسببات النوم فى حلقة من حلقاتها لتسبب الارق. فبناء عليه الحصول على النوم ومعالجة الارق نجتهد فى ربط حلقات هذه السلسلة خصوصا بالدورة الدموية. وبديهى أن نعالج الامراض التى تسبب الارق فتزول، ويمكن معالجة الامراض العصبية بالآلام شديدة تحدث الارق بتسكين هذه الآلام، وأما الارق الناشىء من أسباب وافلاط [illegible] فيمكن التغلب عليها بالاعتناء بالفراش وتهوية الغرفة والتدفئة، ومن الاجهاد الفكرى أو الجثمانى [illegible]

(البقية على صفحة ٢٧)

خواطر ومشاهدات

فى المحكمة الشرعية

[illegible] لا واحد من أصدقائى أن يتعهد فى شاهدا أمام المحكمة الشرعية، ولذ له أن يزعجنى بهذه الارادة ازعاجا شديدا، فبكر ذات صباح إلى يصحبنى الى هذه المحكمة .. فلما تخطينا بابها [illegible] وجدتنى فى شبه منتزه صغير حافل بالناس الجالسين على السواء. لكننا تخطينا هـذا المنتزه أيضا الى ردهة المحكمة، وهناك كان [illegible] بين الحاضرين والحاضرات شاقا مضيقا، [illegible] صاحبى كان يلتمس إرضائى بفكاهته الداعة [illegible] الى هذه الجموع المحتشدة وهو يقول : [illegible] انت يأتانون التجمهر!

[illegible] دخلنا قاعة الجلسة فوجدناها خالية إلا من [illegible] القضاء وبعض مقاعد خشبية عتيقة لا لون [illegible] خرجنا ثانية الى الردهة وأنا أتأفف وصاحبى [illegible] طول بالك، طولة البال كلها بركة » فلم [illegible] بد من أن أقف وأتفرس فى الناس فأرى وأسمع [illegible] منهم جميعا.

رأيت « تشكيلة » من الازياء فى اللباس لا [illegible] للانسان أن يراها كذا مجتمعة فى أى مكان [illegible] فأحببت أن أنصرف الى درس هذه [illegible] حتى لا أضيع وقتى فى الهباء، لكن جلبة [illegible] استرقت خاطرى فاتجهت اليها بطبيعة [illegible] أريد أن أتفهم موضوعها، فاذا به مشاجرة [illegible] رجل وامرأة طليقين وفيما بينهما طفل يتنازعان [illegible] : يريد الرجل أن يأخذه من أحضان [illegible] بحجة أنه مقتدر على تنميته وتربيته، وتريد [illegible] الاستئثار به بحجة أن الشرع يخول لها ما [illegible]. أما الطفل فكان منظره وهو حاسر الرأس [illegible] الى أبويه بعينين حائرتين نظرات تشف عن [illegible] اليتم فى حياة الوالدين منظرا يرسل العطف [illegible] على مستقبل هذا الابن من أبناء الامة [illegible] وينمو بين أشواك الكيد والعداوة [illegible] خلوا من الاحساس بحلاوة الحب الابوى

[illegible] أحسست من هـذا كله أن التشريع وحده [illegible] ضمنا للناس أن يعيشوا سعداء، وأن هذا [illegible] الذى جاء هـذان الخصمان يحتكمان الى [illegible] يكن كافيا لغرس الطمأنينة فيهما بحيث [illegible] العواطف المتبرمة أن يتنازعا فى دار [illegible] فيها، كأنهما يستعجلان هذا الحكم الذى [illegible] هذه العواطف مادام المحامى يستمهل [illegible] الرجل والشريعة بينهما مرحلة مجحفة، [illegible] التعبير عن هذا الاحساس لصاحبى، [illegible] من هـذا الميل اذ رأيت حذاءنا [illegible] بسمعه وبصره نحونا، وما كاد هذا [illegible] التفاتى اليه حتى خطا خطوة الى [illegible] جبينه الصفراء، ثم بادر بالتحية [illegible] قائلا: « أنا فلان المحامى المعروف، [illegible] دون يدحكوا عليكم ». وخيل الى [illegible] من هذا التصنع لولا أن [illegible] فشكرنا له كثيرا ونحن [illegible] من مقاعد قاعة الجلسة.

***

[illegible] مسجبة بالنظر الى القضاة. [illegible] كل [illegible] على أصحاب القضية الاولى، [illegible] أما الابناء [illegible]

وقفت معهم فى لباس الحزن دامعة العين تسترحم العم لاطفالها مرة وتستغيث لهم بالقضاة مرة ثانية.

لكن العم لم يرحم، والقاضى لم يحكم، وأجلت القضية الى موعد آخر، ثم خرجت هذه الثكلى تحمل طفلا على يد وتكفكف الدمع بالثانية بينما كان طفلان آخران يمسكان بأذيالها، فيحملك منظر الجميع على أن تفكر فى قسوة هذا « الانسان! » الذى يشترى سعادته بشقائهم، وفيما هى القيمة لمعنى « الاسرة — أو الوطن الصغير » ان لم يكن قائما على أسس الاخلاص والوفاء ؟!

على أن القضية التالية اضطرتنى أن أنسى هذا كله، والى أن أتفهم أمرها، فاذا بنا أمام شاب يستحق هو واخوته الصغار فى وقف بعينه، لكن أعيان هذا الوقف فسدت وكادت تبطل أرباحها، واذن فالشاب يريد أن يستصدر حكما ببيعها، وهو يرى أن استبدالها بأعيان مثلها لا يكون الا استبدال شر بشر، فهو يرغب فى استغلال ثمنها بواسطة المساهمة فى شركات بنك مصر مثلا.

اطلعت المحكمة على هذا كله وحققت فى هذا كله، لكنها بعد الاطلاع على وقفية الواقف حكمت بالرفض تماما، لان الوقفية لم تنص على استغلال المال فى بنك من البنوك! . فكان أن الشاب واخوته خرجوا يجففون قطرات الخيبة الباردة التى تناثرت على جباههم، والتفت صديقى الى قائلا : أمازالوا يقولون ان نظام الوقف نظام دينى صالح ؟!

هنا جاء دور صاحبى واستدعيت لتأدية شهادتى، فما كان أعمق تعجبى لسؤال القاضى اياى عن مقر مولدى ومولد صاحبى بالذات، ثم عن اسمه واسم أبيه وجده وجد جده! . . ترى هل كنت أنا « شيخ حارة » . . واذا كنت فهل من المعقول أننى أعرف شيئا عن جد واحد يفوقنى سنا ؟! . . لكن القاضى قبل شهادتى على النحو الذى أديته بها وصدر الحكم فى صالح صديقى.

***

كان فى برنامج زميلى أن يستخرج فى هـذا اليوم صورة لحكم سابق صدر له من هذه المحكمة عينها، فلما بعدنا عن قاعة الجلسة فاتحنى فى الامر فأدهشنى أن يكون هذا الشاب العملى الرقيق صاحب قضيتين فى وقت واحد، لكنه أجاب على دهشتى بقوله : — هذا جزاء كل من مات له قريب فى بلادنا.

واذن فقد كنا بعد دقيقتين فى غرفة من غرف الناسخين، واذا بنا أمام شيخ معمم قد غرس القلم فى طيات عمامته وهو جالس الى مكتبه فوق « كنبة » جلسة هى أشبه شىء بقعود التشهد فى الصلاة، والحق أننا حسبناه مصليا فوقفنا الى أنه صاحبنا، لكن الدقائق كانت تمر بطيئة من غير أن ينتهى من صلاته المزعومة، وعرفنا فى نهاية الامر أننا كانت مرحلة الى ملكوت المنام فى شبه سنة من النوم.

تشجع صاحبى وعرض على الشيخ الناسخ حاجته، فظل يحدق فيه بعينيه طويلا [illegible] [illegible] [illegible]

يكتب الصورة التى يطلبها، ووقفت أنا كمتفرج لا أقل، فلاحظت أن عنق الشيخ يكاد يخرج بأكمله من حافة « القفطان » وهو يتتبع كتابه صديقى بنظره خشية أن يترك حرفا وتصادف أن سها صاحبى من همزة فضرب الشيخ حافة المكتب بما فى يده من الاوراق ضربة قوية وهو يصرخ فى وجه صاحبى :

« هـذا خطأ، همزة القطع يجب أن تظهر ياحضرة الخواجة »

خفت أن يغلبنى الضحك فاتجهت الى الناحية الاخرى حيث يوجد شباك يطل على فناء المحكمة لكنى ما كدت أنصرف بخاطرى قليلا حتى سمعت مناقشة حادة بين الشيخ وصاحبى، ذلك أن هذا الصاحب المسكين كتب فى نهاية الصورة « صدر هـذا الحكم من محكمة كذا » وأبى الشيخ الا أن تكون « عن محكمة كذا » وحتم الا أن يمزق هـذه الصورة، والا أن يستكتب صاحبى صورة غيرها.

فلم يكن بد من أن يطيع الصديق بينما استأذنته فى الانصراف مخافة أن تصل حدة الشيخ الى ابتسامتى.. واذن فقد غادرت هذه الغرفة مباشرة وفيما أنا خارج منها احتك بى رجل ضخم الجسم الى درجة مخيفة، وأسرف أذنى قائلا « مش لازمك شاهد ؟ » فلما لم أجبه بشىء، تركنى الى غيرى من الناس، أما أنا فهبطت السلم مسرعا أريد الفرار على أننى ما كدت أصل الى ردهة المحكمة حتى استوقفنى صوت حاجب ينادى باسماء نسوية على باب قاعة من قاعات الجلسات الاخرى، فخطر لى أن أصرف بقية الوقت فى هذه القاعة.

***

لاحظت أن القضايا المعروضة فى هذه القاعة كلها قضايا نسوية تختص بالزواج، الامر الذى حبب المكوث الى، فاذا أنا اشهد قضية من هذه القضايا التى نقرأ ونسمع عنها كثيرا: رجل تزوج بواحدة من الناس فرزقا فى خمس سنوات ثلاثة اطفال، ثم تعلق الرجل بواحدة ثانية فتزوجها فى غفلة عن الاولى، لكن الامر مالبث أن انكشف للزوجتين معا، فراحت الزوجة الاولى تطالبه بنفقة لها ولأولاده جميعا، وجاءت الثانية تطالبه زورا بنفقة لنفسها حتى تهدم دعوى المسكينة الاولى.

سئلت الزوجة الاولى أو الزوجة الام، فكانت فى اجابتها الساذجة مثالا من الذل والتهيب لحكم القضاء على مستقبل صغارها، وتودى على الزوجة الثانية فجاءت تتبختر فى مشيتها بجرأة وقد بدا خداها فى حمرة كثيفة لاتتفق مع لون يديها .. سألها القاضى عن اسمها فأجابت، وعن سنها فقالت: « معرفشى » ثم استحلفها أن تقول الحق فأجابت: « والله العظيم مايجنيش أبدا ياسيدى القاضى » ... أما سيدى القاضى فلم يجد أمامه الموضوع مستوفيا فأجل الحكم الى أن يسمع شهادة الشهود، فخرجت الاولى وهى أشد ما تكون كآبة، وتبعتها الثانية وهى تخاطبها همسا: « أهو كل يوم من ده باشاطره »

الحق أننى تألمت لهـذا الطفل الذى تلده امرأة تحاييه حنان أبيه وهو لم يزل فى مهده رضيعا، وراحت بى الذكرى الى عشرين طريقين من أخبار أوربا التى نقرأها كلها فى الصحف. أما الاول فموضوعه أن سيدة طلبت الى المحكمة أن تقضى عن زوجها الذى يحبه حبا غير قليل لانه رزق بطفل من سيدة ثانية، وهى تخشى أن دوام زواجها يكون سببا فى عدم الاعتراف بهذا الطفل المولود. أما الثانى فموضوعه أن سيدة وقفت أمام هيئة المحكمة وهى مبالغة فى « النواليت » فاعتبر القاضى هذه المبالغة استهتارا بهيئة القضاء، وحكم على هـذه السيدة بغرامة كبرى.

ذكرت هذا كله وحاولت أن أقارن بينه وبين ماأرى فلم أظفر الا بشىء واحد هو الخزى المركب !.. وأملت أن أجد فى القضية التالية مايمحو هذا الخزى فلم أجدنى الا أكثر تأسفا اذ كانت هنالك احدى المطلقات تطالب زوجها بنفقة سنة مضت وسنتين آتيتين، فحكمت لها المحكمة بما تشاء مستندة على ادعائها الحمل!

ترى هل يوجد فى تاريخ الطب الحديث مثال من امرأة استمر حملها سنة كاملة؟! أو ان هنالك امرأة اعتزمت أن تكون حاملا ثلاث سنوات كاملة فأفلحت ؟!.. اذا كان الجواب نفيا صريحا فأى عدالة تؤيد امرأة فى استرقاق كسب الرجل الذى أصبحت بحكم الشرع والقانون منفصلة عنه انفصالا أية واحدة غيرها لمدى هذه المدة الطويلة وهو لم ينفصل عنها الا لضيقه بها فى الحياة ؟!

هذه خواطر مرت برأسى فطردتها طردا عنيفا وأنا ألتفت يمينا وشمالا خشية أن يكون قد رآها أحد الحاضرين، وأقسم أننى احتلت على طردها باستفراغ كل جزئيات ذهنى فى القضية التى تلتها، لكن شيخا كان يجلس قريبا منى على مقعد المحامين التفت الى الخلف وبصق خفية الى جوار الحائط فاشمأززت ودفعنى الاشمئزاز الى الخروج من المحكمة كلها.

***

بينما أنا ماربشبه المنتزه الذى حدثتك عنه فى أول هذا الفصل تعلق بى طفل يكاد لايجيد الوقوف، وأخذ يشخص ببصره الى فى نظرات تذيب القلب رحمة لهذه الطفولة البريئة المعذبة وهو يقول فى استفهام وترجيح: « انت بابا ؟ » وبينما أحاول أن أتلطف فى الرد عليه هزنى صوت اجهاش سيدة فتية فهمت انها أمه بالطبع، فحملته اليها فى رفق وفى استفسار حريص عن مصابها، فحدثتنى حديث مشتكية لاتجد من تشكو اليه: أنها تزوجت بشاب صغير تحبه ويحبها، لكن خلافا تام بين أسرته وأسرتها، فكانت هى ضحية هذا الخلاف حيث أجبره أهله على فراقها، وأجبرها أهلها على مقاضاته فى هذه المحكمة وهى أشد الناس كرها لمقاضاة عزيزها.

قالت فى عبرة أخرى : ولعل ما دعا طفلى الى التعلق بك هو شىء من الشبه بينك وبين أبيه. أحسست أننى قد أكون مثاراً للوجيعة بالنسبة اليها والى طفلها، فألقيت عليها كلمة تشجيع سريعة وانصرفت راجعا الى بيتى أفكر فى سوآت هذا الزواج المبكر، وفى وحشية أولئك الاهل الذين لايفهمون نصيب الحب من الحياة.

حافظ محمود



قصة الاسبوع

كرديليا

كنا نتحادث بعد العشاء فى ركن من بهو النادى من ... ممثلة أجنبية خلبت كل الالباب فى باريس ، فتناول الجدل مسألة ذكرها ديدرو فى كتابه المسالة « المتناقضات » ، هى : « هل يجب أن يكون شعور الممثل المضحك حقيقيا أو مفتعلا ؟ » . وتساءلنا لم تمتاز هذه المسألة المعضلة على ما يظهر ، بكونها دائما تثير أشد ضروب الجدل؟ كانت كلتا النظريتين أعنى افتعال عقلاء الفنانين أو جودهم تلاقى هذا المساء تأييدا يتماثل فى القوة والرجحان . ولست أروى ما أدلى به هؤلاء وهؤلاء فكثيرا ما عرضت الأدلة المتباينة وأثارت جد الاهتمام . ولكن اليك قصة رواها أحد المتكلمين ، ولعله أقدرهم ، فقد كان ومايزال من أعظم الكتاب المسرحيين فى هذا ... . ويجب لكى أكون صادقا أن أزيد أنه ... تباعا بفشلين يوقن أنهما يرجعان الى ... قطعتيه . وسواء كانت قصته شاذة أو غير شاذة فقد رأيتها جديرة بالرواية، وها أنا أقصها ... دون أن آخذ على نفسى ما كان يضطرم به الراوى من حقد على المجتمع .

— ١ —

قال الراوى : « أتذكرون كوميدية (ممثلة هزلية) بارعة الحسن توفيت فتية ؟ هى هاريت جالك ؟ أجل ! اذن تذكرونها فى مسرح بورت سان مارتان يوم أخرج مديره الادبى رواية لشكسبير هى « الملك لير » . فأى نجاح أحرزت هريت يومئذ فى دور كرديليا ! ولله كم كانت تسلب القلوب . وقد ذهبت ، أنا المتكلم ، زهاء عشر سهرات من خمس وعشرين مثلت فيها الرواية . ولم أك يومئذ كما أنا اليوم شيخا ، ومع ذلك فلم أك فى سن الفتوة اذ كنت قد جاوزت الخمسين، انقضت منها ثلاثين فى المسرح، ومثلت لى فيه مثلها من القطع . وكنت أطرب بالاخص لذلك المنظر الذى تخاطب فيه هريت أباها النائم بقولها: «لو لم تكن أباهم ، لكانت هذه الاقراط البيضاء تثير اشفاقهم !» . فذهبت ذات ليلة الى مخدع الممثلة بين الفصول لاهنئها على تلك البراعة ، فأفضت إلى بأحزانها الخفية التى تجعل هذا الدور عزيزا عليها . قالت لى : « طبيعى أن أجيد تمثيله ، فانى أشعر به كأنه حقيقة، ولعلك تعرف أو لا تعرف أنى لقيطة . ولشد ما تمنيت منذ عرفت الحياة لكونى لاأجد أبا أحبه أو أما أحبها ! وكثيرا ما أحببتهما فى ثمار الحسرات ! اذا مثلت دور كرديليا فانى أتصور أنى قد ... وانى أخلص لاحدهما ولمأساته ... أشعر خلال ذلك بكل مايملأ روحى من حنان أستطيع أن أهبهما اياه . وأكرر لك انى أشعر أنى الشخص الذى أمثل ، وانى لاأتقن تمثيل ما لا أشعر به ، ولا أمثل مالا أشعر به... واجد كل عبقرية فنى هنا . . . » ثم وضعت يدها الصغيرة على قلبها بظرف متواضع تمثلت فيه الصدق حتى انى لم ابتسم لتلك المهنة التى تخرج من الايمان ، ولم ارتب فى صدق هذه القصة — وليتكم رأيتم عينيها ! — وقلت لها : مادمت قد أحببت أبويك الى هذا الحد ، فلابد أنك قد بحثت عنهما .

فصاحت:أجل لقد بحثت عنهما . ولكن أى دلائل ؟ وا أسفاه . لقد التقطتنى أسرة متوسطة أمام باب منزلها فى شارع جرنيل ، وعمرى يومان فقط . وكنت ملفوفة فى الخرق ، ولم تكن ثمة علامة بالطبع .. ولكن وجد معى هذا النصف من القطعة الفضية ، فاحتفظت به دائما كتعويذة سعادة ، وأيضا بفكرة ان المصادفة قد تجمع بينى وبين تلك التى ،أوذلك الذى،اضطر الى تركى للقدر . أجل لابد انهم قد فعلوا ذلك اضطرارا وتلك العلامة الصغيرة التى علقت فى عنقى دليل على أن الذنب لم يكن ذنبهم وانهم لابد قد فوجئوا بمأساة ما . .

«وكانت تلك القطعة الفضية التى تحدثنى عنها بذلك الحنان الذى يخلق بابنة لا تريد الحكم على أبويها ،ولو بجرمين،عبارة عن أحد نصفى قطعة ذات فرنكين قدت من الوسط بالضبط ، وخرقت لتعلق فى خيط . وكانت الكوميدية تعلقها فى سوار تزدان به بين حلى أخرى من مصادر مختلفة . وكان بقاؤها الى ذلك اليوم شاهداً باخلاصها . فقلت لنفسى وأنا أغادر مخدعها فى ذلك المساء « ان عينيها يدلان بصدق كل ماتقول . ولم لايكون صدقا ؟ ترى ابنة من تكون ؟ تصور أن أبويها قد ندما لذلك الترك وانهما يحبانها أيضا دون أن تعلم ، وانهما يبحثان عنها فلا يجدانها الا اذا جمعت بينهما المصادفة التى أشارت اليها . وهذا وجه الرواية فى أمرهما ، ودليل على أنها الزمن بالقطع التى تمثلها . فهى تتصور ان مثل ذلك قد حدث كما حدث لكوردليا . ولله كم كانت فتية حسناء ! »

— ٢ —

«وقد كنت فى الواقع أشد فتوة منها رغم خمسينى ، كما دل القدر بعد — ذلك القدر الذى يبقى دائما أعظم حقيقة فى الفن المسرحى . ولقد انتهيت ، وأنا فى سبيل الكهولة الى تلك النتيجة وهى أن المسرح اذا كان يشبه الحياة ، فذلك لما تتخلله من مفاجآت . فكروا وفكروا ، تجدوا ان ذلك التناقض الظاهر ، انما هو « كتناقض » ديدرو بديهة بسيطة . وقد جاءت قصة هريت فى الواقع دليلا جديدا . ذلك انه لم تمض بضعة أسابيع على ذلك الحديث الذى رويت ، حتى ذهبت لامر ما الى « الاوديون » فى ذات عصر ، فكانت هذه أول مصادفة ، وهنالك لقيت فى أروقته صديق حداثة لم أره منذ أعوام ، فكانت المصادفة الثانية ، فسرنا معا فى شارع مديتشى والمطر ينهمل ، فكانت ثالثة المصادفات ، فدخلنا فى أول مقهى رأينا ، فكانت رابع مصادفة . فكروا ماذا كانت المصادفة الخامسة ؟ لقد لاحظت ان « الخادم» الذى جاء يسألنا ماتريد ، يعلق فى سلسلة ساعته قطعة فضية على شكل نصف دائرة فتأملتها عن كثب ، فاذا بها نصف قطعة ذات فرنكين ، فذكرت للحال تلك القطعة التى أرتها لى كرديليا معلقة فى يدها بظرف وإناقة ، وهى تفضى الى بأحزان طفولتها . أجل ، ماذا ترون فى مثل هذه المصادفة ؟ ان مافكرت فيه يومئذ وما أفكر فيه اليوم وأنا أروى القصة لكم هو ماياتى : ان أبعد كتاب المسرح خيالا لايجرؤ أن يتخذ فى مثل هذه المصادفة موضوعا لقصة . فليس لمثلها من الحقيقة سوى أتفه حظ ، كذلك الذى قد يكون لنا اذا اعتمدنا على أن نتناول العشاء غدا اذا ظفرنا بربح ورقة نصيب ذات مائة ألف فرنك . ومع ذلك فانه يحدث أن اناساً يغنمون الثمرة الكبرى، ويحدث ان ابنة لقيطة تعيش خمساً وعشرين سنة دون ان تظفر بأى أثر ينم عن أصلها . ثم يكفى بعد ذلك ان يحادثها أجنبى ، وان يزور ذلك الاجنبى مقهى فى حى قد لايؤمه عشر مرات فى العام فيبدو هذا الاثر فجأة ، ثم يحدث الباقى . فكروا دائما ، واستعرضوا بالفكر حياتكم الخاصة وقولوا ، اذا لم تكن تطورات مصائركم قد بت فيها فى مقابلات كان من المستحيل عليكم توقعها ؟

وأعود الى قصتى : لما لمحت القطعة الفضية النصفية فى سلسلة الخادم ، لم أقبل ان أتصور بادىء بدء ان هنالك علاقة ما بين ذلك الصعلوك المسكين الذى يرقب عطاءنا ، وبين الممثلة الانيقة التى ترتسم مظاهر النبل على ملامحها وحركاتها ومشيتها . ولكنى قلت لنفسى :« هاك تعويذة كتعويذة هريت» ثم ضحكت فى أعماق نفسى وقلت:« لو كان هذا هو النصف الآخر لقطعتها لكان من الغرائب » . وطردت الفكرة فى الحال فذهبت من تلقاء نفسها ، كما تذهب الفكر التى لايتصورها الذهن الا ليلفظها لتفاهتها واغراقها . ولبثت أتحدث مع صديقى دون أفكر بعد فى الرجل ، الا أن أحدجه طوعاً للغريزة . وكان فى الخمسين ،على مايلوح، أصلع ، هزيلا ، ترتسم عليه أعراض الخمر بقوة ، وتنم عيناه عن الذهول أكثر مما تنم عن الكآبة . ولكنه كان لطيف المندام . والخلاصة ان شيئا لم يلفت نظرى فى ذلك الرجل سوى القطعة الفضية ، فكنت أراها فى كل حركة تتحرك فى صدره . ولكن خيالى كان يعمل بلا ريب دون علمى أثناء هذا التأمل العارض، لانى ما كدت أغادر المكان وأفترق عن صديقى حتى وثبت الفكرة الى ذهنى فجأة، وبدت لى عندئذ قليلة الاغراق حتى انى وقفت ، ثم ارتددت نحو المقهى قائلا فى نفسى : ليس من المستحيل اطلاقا ان يكون هذا الخادم والد الفتاة فقد اجتمعا بمصادفات عجب ، فماذا يضيرنى اذا سألته؟

— ٣ —

قلت للرجل: انت تحمل تعويذة غير مصونة . واذ بدت عليه الدهشة قلت : « أجل فقد رأيت نظيرتها تماما مع فتاة ... انها ابنة لقيطة ، وان هذه الذكرى هى كل مابقى لها من علامات النسب »

فأخذ يكرر « فتاة ؟ فتاة » ... فى صوت غريب ينم عن الريب ثم تردد ... فتاة ؟ وكم عمرها ؟ »

[illegible] الى الثلاثة وعشرين [illegible]

قال ، هل قالت لك انها تركت وهى طفلة ومعها تلك القطعة النصفية ؟

أجبت نعم،وهى نصف قطعة ذات فرنكين فما قيمة هذه ؟

أجاب : قد تكون أيضا . أفلم تقل لك تلك الفتاة انى وجدت ؟

أجبت:« كلا »وكنت كاذبا،ولكنى خشيت الخديعة والنصب، ورأيت قبل ان أمده بالتفاصيل ان استخرجها منه أولا . فقلت له« وماذا يصيبك من هذا ؟ »

فتردد ثانية ، ثم هز كتفيه وأجاب: لاشىء، لاشىء بلا ريب » ثم غادرنى ليخدم سيدين جلسا حول مائدة قريبة

فقلت فى نفسى وأنا أدرسه عن كثب:« لقد أخذت فى الواقع فهو لن يتكلم بعد . ومع ذلك فان لديه ما يقول ، وسأعود اذن فى الغد . فقد يفكر وقد يعتزم ان يروى لى تاريخه

فعولت على الانصراف ،وقرعت المائدة لادفع ماعلى ، فدنا منى خافض العين ، ولاحظت ان يده ترتجف وهو يخرج من جيبه ما تبقى لى من نقود. ثم تهيأت لتناول معطفى وقبعتى،فاذا به يفاجئنى بصوت أجش:« أحق ما قلت الان ياسيدى ! » واذ أجبته ايجابا ، قال «أرجو منك ياسيدى ان تحدد لى موعدا لكى أستطيع ان أحدثك فى غير هذا المكان ، فعندى حديث خطير أفضى به اليك »

— ٤ —

« وقد روى لى بعد كبير تردد، وقد منحته الموعد الذى طلب فى الحال ، احدى هذه القصص المؤسية التى نقرأها كل يوم فى الصفحة الثالثة من الجرائد . نقرأها مطبوعة فلا نتأثر لها ولكنها اذا صدرت من شخص امتزج بها بلحمه ودمه أذابتك اشفاقا مهما كنت . كان الرجل يدعى « بوانتى » وكان فى الثانية والعشرين من عمره يخدم اسرة ارستقراطية ، فأحب الخادمة وغدت خليلته ، وحملت منه بابنة . ولما كانا فقيرين لارزق لهما سوى اجريهما فقد نكلا عن تحمل الاعباء التى يكبدهما اياها ذلك المولود وعولا على تركه ، ولكن الاب تولاه الندم ليلة تنفيذ الجريمة ، فطلب الى صديق له حداد أن يقد قطعة ذات فرنكين الى نصفين متساويين ، أخذ أحدهما الذى يحمله وعلق الثانى فى عنق الطفلة التى تركت تحت مظلة باب فى شارع جرنيل — وتالله لقد كان اسم الشارع دليلا قاطعا — فهل كان السيد بوانتى يحمل الى جانب هذه التعويذة شيئا من الندم لارتكاب هذا الجرم ،وهل كان إذ يقص على نبأ زلته يصغى الى تحريض خفى من ضميره؟ أم هل تصور ،وسيد أنيق يسأله ، انه قد يظفر برزق اذا كانت السيدة ذات القطعة الفضية ابنته ؟ لم أحاول أن اتفهم هذا اللغز . ومن المحقق أنى تبينت فى صوته تهدجا ينم عن الاسف الحق ومع ذلك فانى لم اهتم لمبلغ صدقه ، وهو يقص على حوادث حياته المؤلمة بعد هذا الجرم ،فقد طارده القدر فأمات شريكته بحمى عاجلة ، وتقلب هو من مكان الى مكان ، حتى ألقى به الى ذلك المقهى الوضيع وهو يؤمل طول السنين عبثا أن يعرف ماذا كان مصير ابنته . ولم أفكر إلا فى الوسيلة التى احقق بها بنوة هاريت ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ، دون أن اعطيه أى برهان يستغله اذا لم يكن هو الاب ؟ ذلك لان شارع جرنيل يحتوى مئات الابواب وكل مصادفة ممكنة .

قلت له أخيرا ، هل لك أن تثق بى ، وان تعيرنى تلك القطعة ليومين فقط ؟ [illegible] بالقطعة الاخرى [illegible] قطعة واحدة . »

— ٥ —

لم يعترض على إعارتى ذلك التذكار الثمين ، وفى نفس المساء كنت فى مسرح بورت سان مارتان؛ وفى مخدع هاريت بين فصلين ومازلت ... حتى الآن اضطراب ملامحها الجميلة حينما ... من جيبى القطعة الفضية وطلبت اليها أن تعيرنى سوارها ، ثم وضعت القطعتين كلا الى جانب الاخرى ، فرأينا فى الحال معا أنهما تكونان ... واحدة من سكة نابليون الثالث وان صيغة ... منصلة مطابقة . كنا أمام القطعة كاملة ، ولم تكن ثمة مجال للريب ، وكانت دهشة الممثلة ... حتى انها امتقعت تحت دهانها الاحمر.

قالت : « أوالدى ؟ هل تعرف والدى ؟ ألا تكلم ، ماذا يسميان؟وأين هما ؟ اسرع ، اسرع

قلت : أما والدك فلا ، فقد ماتت أمك ، ... هو الذى اعارنى هذه القطعة ، لانى قلت ... أن اسميك إننى رأيت نظيرتها فى معصم ... وقد اعترف لى انه ألقى فى الواقع طفلة ... أربع وعشرين سنة فى شارع جرنيل ، ... فى عنقها ذلك التذكار . . .

... سألتنى بصوت متهدج : ومن هو ؟

ولست أحاول أن أفسر لكم لماذا شل هذا ... الذى كان واجبا أن يحرك فى كل روابط ... حنانى فجأة ، أفلم يك طبيعيا ان افضى ... تلك الابنة بالظروف التى لقيت فيها والدها ... وكل تاريخه ؟ ملكنى اغراء عنيف هو ... كرديليا هذه ، الخيالية ، بأبيها الملك ... الذى لا يضرب فى الخيال بسهم دون أن ... ذلك لكى أرى مايجيش به عندئذ من المشاعر ... لا يمتزج بفضولى طامة نفسية خبيثة كثيرا ... رجل الادب ؟ أم هل كان بدء اهتمام ... بالفتاة كنت أقاومه ؟ أم هل كنت الكاتب ... فقط يتصور المنظر يتخذه موضوع ... اختاروا بين هذه العوامل، أوعليكم بغيرها.

ولما كان ... أجبتها : « لا تسألينى فلن أقول لك ... أريد أن تعلمى الأمر بنفسك . ... هذا المساء اذا شئت عقب انصرافك ... » .

... قالت : «اذا شئت؟كم عام مضت وأنا أرتب ... آه ، كيف أمثل دور الكوميدية ... ذلك التربص اللهما أشد هذا ! . . .

... المنادى : «الى المنظر » فخرجت وهى ... تلك الزهرة البنوية . ولعمرى إن وجهها ... لا يتأثر بما كان يرتسم على محياها ... لم تفارقها بقية الرواية ، ... ذلك الدور الذى تجيد ... كل عبارة ... تصوروا [illegible]

تخفائى معرفته فهو خادمه الوحيد .

فحدجتنى بعينين تمثل فيهما الروعة والذهول ولكنها لم تأنس فى محياى بادرة من السخرية . وقد يبدو لكم الامر غريباً. ولكن خانى اختنق عندئذ ، وملكتنى الحمى التى تملك المرء اذا شهد مقدمات حادث قد ينتهى بمأساة . وبدا على الكوميدية أنها تفكر برهة . ثم دفعت باب العربة فجأة ونزلت ، وتقدمت الى المقهى الصغير ، وبينما أتساءل أأتبعها أم أنتظر ، اذا بها تخرج فجأة ، ثم ترتمى فى العربة الى جانبى ، وتصيح بالسائق « الى المنزل » فعدنا سراعا صوب باريس وساد علينا صمت وحشى لم أجرؤ على قطعه الا بعد دقائق إذ قالت : « هل رأيته ؟ »

أجابت:نعم

قالت : فماذا قال لك ؟

أجابت لم أحادثه. ثم قالت بعنف يضطرم اضطرام لم أعهده من قبل:«لا أريد أن أراه بعد ، ولا أريد أن يعرف أنى على قيد الحياة... فأعد اليه قطعته» ثم ناولتها لى قائلة:« وقل له إنك خدعت وان القطعتين لاتتماثلان لا أريد هذا الاب ! لا أريده!» وأضافت هذه العبارة الرائعة: « تصور أننى كنت اعتقد أننى ابنة أمير ! » ولعلها أمنية قنوعة ، فان كرديليا ابنة ملك حق !

(عن بول بورجيه) ترجمها ع

النوم والارق

(بقيه المنشور على صفحة ٢٤)

والعمل المتأخر بالرياضة فى الخلاء وقراءة قصة صغيرة أوقطعة أدبية ظريفة قبل النوم ويمتنع بتاتا عن قراءة الكتب المهيجة أو سماع اخبار مزعجة أو قراءة كتب أو مراسلات خاصة بالعمل قبل النوم مباشرة. وأما برودة الأطراف فيعمل لها حمام دافىء ثم تنشف مع الدلك.واذا كان الارق بسبب كثرة الدفء فتخفف الاغطية.ومن العادات القديمة المفيدة جداًدلك الاطراف السفلى قبل النوم فهى مجلبة للنوم بفضل تحويلها جزءاً من الدم الى الاطراف، فيقل نصيب المخ.والدلك بوجه عام مفيدجدا وكذلك الحمام الساخن المسائى لانه يعيدالضغط الدموى لحالته الطبيعية.

وأما اضطرابات الجهاز الهضمى فعلاجها ميسور: ففى حالة الارق الذى ينشأ من حموضة المعدة يؤخذ ملءملعقة صغيرة بيكربونات الصودا قبل النوم بربع ساعة ويمتنع عن المواد المنبهة كالشاى والقهوة خصوصا بالليل، وكذا الخمر والطباق عند بعض الناس. ويعالج الامساك والانتفاخ بالحقن الزيتية قبل النوم بساعة ويعالج الجوع بفنجان مرق دافىءقبل النوم أويوضع بالقرب من الفراش فى ترموس فنجان مغلى الاينسون أو الكراوية،وحتى الشاى الدافىء للمسنين الذين يشعرون بهبوط دموى ويمتنع عن العشاء المتأخر. وفى حالة احتقان المخ أو الكبد المسببان الارق لايوجد أفيد من النزف بوضع علقتين خلف كل أذن أوفى الصدغ فى الحالة الاولى وعلى منطقة الكبد فى الحالة الثانية مع استعمال مسهل شديد.

وأهم حالات الارق العصبية منه أى الذى يصيب العصبيات خصوصا وعلاجه اتباع ماذكرته فى هيجين النوم،وربما عمل بعض تغيرات طفيفة فى غرفة النوم مثلا الآن تكرار رؤية بعض الاثاث تجلب الارق وقد يكون سبب الارق النوم مع آخرين فى غرفة واحدة فيمكن الاشتراك بغرفة حسنة التهوية نظيفة الاثاث

٩ — المنومات

كل ماذكر من أنواع العلاج هو مايجب أن لانبغى سواه لان تعود أخذ المنومات مرض فى حد ذاته أخطر من الارق، ولكن لايمكن أن نستغنى عن المنومات والمخدرات فى ثلاث حالات: الاولى التخدير للعمليات بمنوم أومخدر والثانية فى حالة الالم الشديد كما فى المغص الكلوى أو ضيق التنفس أحيانا والثالثة فى حالات الارق المستعصى اذاكانت الحاجة ماسة له.ويجب أن نفرق بين الارق العصبى الناشىء من حساسية عصبية شديدة موروثة وبين الناشىء من تعب أو اجهاد عصبى فيحتاط فى الحالة الاولى جدا لانه قد يتعود على المنومات وفى الحالة الثانية يمكن اعطاؤه عند الحاجة. وعند اعطاء المنوم يحسن أن يعطيه الطبيب للمريض يدا بيد أو يضعه أهل المريض فى مشروب بغير أن يشعر بحيث يمكن سحبه تدريجيا من المشروب الذى يتقدمه ويا على الدواء وعلى كل حال فلا يؤخذ منوم الا باذن طبيب .

المنصورة . دكتور محمد زكى شافعى